تفريغ شرح كتاب

الرد على الجهمية والزنادقة

للإمام أحمد رحمه الله تعالى

لأبي جعفر عبدالله بن فهد الخليفي

عفا الله عنه

الفهرس

المجلس الأول ٢

المجلس الثاني..... ٢٥

المجلس الثالث ٥٢

المجلس الرابع ٧٣

المجلس الخامس ٩٣

المجلس السادس..... ١١٥

المجلس السابع ١٢٨

المجلس الثامن..... ١٤٦

المجلس التاسع ١٦٦

المجلس العاشر ١٧٨

المجلس الحادي عشر ١٩٣

المجلس الثاني عشر ٢١٣

المجلس الثالث عشر..... ٢٣٠

المجلس الأول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، حياكم الله بالسلام الأخوة جميعاً.

كنت قد أعطيت دورة قبل مدة في أصول الفقه في شرح الأصول من علم الأصول وأعطيت دورة قبلها في علم الحديث وكررت هذه الدورة –دروس تثقيفية–، لكن هذه الدورة من أحب الدورات إلى قلبي حقيقة لأنها تتعلق بأهم المطالب: موضوع العقيدة.

قبل الدخول أود أن أنبه جميع الطلاب بأمر عام، وهو أنك في مثل هذه الدروس قد تمر بك معلومة لا تفهمها، فيأتي الشيطان ويقول لك: أنت لا تفهم عليك أن تدع هذا الباب. فلا تطعه في مثل هذا، فإنك لا يمكن أن تفهم كل الباب من أول مرة، والكثير من المعلومات ان شاء الله تبارك وتعالى سيتم تكرارها وتوضيحها بطرق مختلفة، وأنا أتعهد من الآن لأي طالب سيحضر هذه الدورة بأنه باذن الله تبارك وتعالى سيفهم الكثير من عويصات مسائل العقيدة، سيفهم حقيقة الخلاف بين أهل السنة وأهل الكلام والفلاسفة حتى أنه سيصير ينظر في درء تعارض العقل والنقل ويفهم شيئا كثيرا من مما يقوله الشيخ، فإن الكتاب الذي بين أيدينا ليس كتابا هينا بل هو من أهم الكتب وأعظمها وأجلها،
ولهذا تجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية عني به عناية كبيرة، حتى شرح جزءاً كبيراً منه في درء تعارض العقل والنقل.
وبعض الشباب ربما إذا سمعوا هذا الكلام سيقولون: اه هذا الكتاب إذًا هو كتاب متقدم وصعب وعسير علينا. لا لا لا ابدا، سنحاول أن نأخذك من القاع إلى أعلى الهرم. باذن الله تبارك وتعالى، غير أنه ينبغي أن تصبروا علينا وألا تستثقلوا بعض الكلام الذي تسمعونه فإننا نبني الأمر شيئا فشيئا وباذن الله تبارك وتعالى سيكون هذا الكتاب نقلة نوعية لعموم الشباب الحاضرين، وسيستفيدون فوائد كثيرة.

مبدئيا الكتاب هو كتاب الرد على الزنادقة والجهمية المنسوب للإمام أحمد بن حنبل من رواية الخضر بن المثنى عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه، وهذا الكتاب حصل تشكيك في نسبته للإمام أحمد علماً أن الخلال قد رواه عن الخضر بن المثنى عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه.

وهنا عندنا عدة فوائد تتعلق بنسبة الكتاب:

الفائدة الأولى:

الفرق بين هذا الكتاب وكتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، فإن كثيرا من المعاصرين يخلطون، كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد اسمه كتاب السنة والرد على الجهمية، لهذا تجد الخطيب البغدادي والذهبي أحيانا يسمون كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد: كتاب الرد على الجهمية، فحصل عند بعض المعاصرين مثل محقق السير أعلام النبلاء خلط، فالذهبي نقل شيئا من كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد فتجده في التعليق يعلق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ويقول هذا كتاب طعن فيه المصنف وقال فيه كذا وكذا وكذا، وهذا خطأ متكرر.

فكتاب الرد على الزنادقة والجهمية يختلف عن كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، هما كتابان مختلفان.

كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد هو كتاب شامل للرد على جميع الفرق وليس فيه كلام الإمام أحمد فقط بل كلام عموم الأئمة بأسانيد عبد الله لهم، وأما كتاب الرد على الزنادقة والجهمية فهو كتاب للإمام أحمد شخصيا ويرويه عنه ابنه عبد الله. وهو في الغالب ليس كتابا مسندا، وإنما استشهد فيه الإمام أحمد ببعض الاحاديث، هذه هي الفائدة الأولى معنا في هذا الكتاب.

الفائدة الثانية:

تتعلق بكلام الذهبي عن هذا الكتاب، هذا الكتاب قبله عموم الحنابلة، وعموم الناس حقيقة قبلوا كتاب وصححوه عن الإمام أحمد غير أن الذهبي في سير أعلام النبلاء تشكك في هذا الكتاب وقال: ربما قاله.

وهذه **لا ينتبه له كثيرون**، فالذهبي كان مترددا، ومعلوم أن الذهبي شافعي المذهب، وأما الحنابلة طرا فقد قبلوا الكتاب، يقول ابن تيمية في [درء تعارض العقل والنقل جـ١ صـ١٢٢]:

ولهذا قال الإمام أحمد في أول ما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله مما كتبه في محبسه، وقد ذكره الخلال في كتاب السنة.

الخلال هو جامع علوم الإمام أحمد، فحين يروي شيئا عن الإمام أحمد غالبا هذا لا يكون مستنكراً أو له تخريج في كلامه.

يقول: وقد ذكره الخلال في كتابه والقاضي أبو يعلى وأبو الفضيل التميمي وأبو الوفاء بن عقيل وغير واحد من أصحاب أحمد، ولم ينفه أحد منهم عنه.

وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية صـ٣١٨: ونقل منه أصحابنا قديما وحديثا – يعني هذا الكتاب–

وقال أيضا في [الصواعق المرسلة جـ٢ | صـ٣١٨]: وذكره سائر اصحاب الإمام أحمد

وقال السفاريني في لوامع الأنوار البهية: قد قرأناه ورويناه عن علماء معتبرين وفضلاء راسخين والله ولي التوفيق.

هذا الكتاب من تشكك فيه تشككوا بسبب الخضر بن المثنى، راويه.

فقالوا: أن الخضر بن المثنى هذا راوي مجهول لا يُعرف فيه توثيق.

فيقال في دفع مثل هذا الكلام:

أنه لا مشكلة فالذين قبلوا الكتاب هم مصححون له، وبالتالي هذا يكون توثيقا لهذا المجهول، وعامة ما في هذا الكتاب له شواهد عن الإمام أحمد في غالبه، فربما هو لا يضبط ألفاظ الإمام أحمد بدقة، ولكن المضامين هي كلام الإمام أحمد.

وقالوا أيضا: أن ابن رجب وهو حنبلي فاضل له ملاحظة على الخضر بن المثنى في كتابه القواعد الفقهية، ابن رجب كان يتكلم عن قاعدة: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه. هذه قاعدة فقهية.

هذه القاعدة لها أمثلة، منها: أن من يقتل مورثا له لا يرثه، لا يرث القاتل المقتول.

فيذكر ابن رجب أمثلة على هذه القاعدة يقول: ومنها من تزوجت عبدها فإنه يحرم عليها على التأبيد،

-يعني استعجلت الشيء قبل أوانه فتعاقب بحرمانه- كما روي عمر رضي الله عنه نص عليه أحمد في رواية عبد الله ذكره الخلال في أحكام العبيد عن الخضر بن المثنى الكندي عنه، والخضر هذا مجهول ينفرد عن عبد الله برواية المناكير التي لا يتابع عليها.

هذه الكلمة قالها ابن رجب، وهذه الكلمة ذكرها المحقق أنها وجدت في نسخة ولم توجد في نسخ أخرى.

الغريب ما هو؟ الغريب أن رواية الخضر هذه ليست منكرة، فهي رواية تابعة لقاعدة فقهية، وهي فتيا صحابي. وعادة الإمام أحمد أنه يأخذ بفتوى الصحابي إذا وافقت القياس.

فدعوى ابن رجب أن الخضر يروي مناكير لا يتابع عليها فيها نظر.

ومما يقوي روايات الخضر أنه روى عن عبد الله بن أحمد عن أبيه كتابا في الآيات التي جمعها الإمام أحمد وترد على الجهمية.

وهذا فصل نفيس كنت شرحته في الدرس السادس والثلاثين من كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، وهذا الفصل يشبه طريقة الإمام أحمد،

أحمد له كتابان آيات قرآنية فقط:

كتاب طاعة الرسول جمع الآيات القرآنية الدالة على اتباع السنة وهذا لي مجلس في شرحه وهذا يصلح رداً على منكري السنة اليوم، وله كتاب جمع فيه الآيات القرآنية التي ترد على الجهمية وأظهر في ذلك فقها وعلما واسعا جدا.

فراوية الخضر لمثل هذا الكتاب تؤكد أن رواياته عليها استقامة بالجملة فمن غير أحمد ممكن أن يكتب كتابا مثل هذا؟ وابن رجب جاء بعد الذهبي وهو متأثر بطريقته، فكلامه هذا هو اجترار لكلام الذهبي وإن كان حنبليا فاضلا.

ظهر بعض الناس يقولون: أن كتاب الرد على الزنادقة والجهمية هذا كتاب لمقاتل بن سليمان وليس للإمام أحمد.

مقاتل بن سليمان هذا مفسر مشهور، صاحب أقدم تفسير مطبوع بين أيدينا توفي سنة مئة وخمسين، يعني قبل أن يولد الإمام أحمد، ومقاتل أُتهم بالتشبيه، وأنا لي بحث في مقاتل بن سليمان ونسبته للتشبيه موجود صوتي في قناتي على اليوتيوب لمدة ساعة، وفي القناة الأخرى، الواجب عليكم اليوم أن تلخصون لنا هذا البحث.

لنأتي إلى مبحث نسبة هذا الكتاب لمقاتل بن سليمان، **لما قرأت البحث الذي يزعم أن مقاتلا هو صاحب هذا الكتاب اعترضت بعدة اعتراضات،**

أولها: في الكتاب يذكر أن جهما تبعه على مقالته عدد من أصحاب أبي حنيفة وعمرو بن عبيد، ثم صار يرد عليهم، وهذا يدل على بعد هذا التصنيف عن مقاتل من وجوه:

الأول: أن مقاتلا متقدم جدا، أكبر من مالك وسفيان فيبعد أن يخصص قوما من طبقة تلاميذه بالرد ومقامه سنا أن يرد على جهم مباشرة فهو قرينه.

الثاني: أن المقالات التي ذكرها عن الجهمية من التصريح بنفي العلو والرؤية ما ظهرت في المعتزلة وأصحاب أبي حنيفة إلا في وقت متأخر، فيكفيك أن رأس نفاة العلو والرؤية والقائلين بخلق القرآن من الحنفية: هو بشر المريسي، ولد قبل وفاة مقاتل باثني عشر عاما فقط.

الثالث: الكلام يوحي أن أبا حنيفة متوفى لأن أصحابه لو كان يخالفهم وهو حي لاشتهرت مناظراته معهم وبراءته منهم، كما اشتهر كلام أبي يوسف في المريسي.

ويزداد هذا الوجه وضوحا إذا علمت أن مقاتلا وأبا حنيفة ماتا في عام واحد، عام مئة وخمسين للهجرة وهو العام الذي ولد فيه الإمام الشافعي.

ثانيا: ورد في الكتاب قول المصنف: (من حديث سفيان عن إسحتق عن عامر بن سعد)، وهذا يبعد جدا أن يكون كلاما لمقاتل، فهو أكبر من سفيان ولا يروي عنه، ومعلوم أن مقاتلا متهم بالكذب، والذي يروي عن تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه ويصرح بذلك هذا انسان صادق في الغالب، وليس انسانا متهما بالكذب.

ثم طبقة مقاتل لا يوجد عندهم هذه القصة انهم يقولون من حديث فلان عن فلان ما عندهم هذا، قص الأسانيد هذه طريقة ائمة العلل، على العموم النقاش في نسبة الكتاب لمقاتل هذا يطول وان شاء الله أثناظ قراءة الكتاب ستظهر لنا قرائن جديدة على بعد نسبة هذا الكتاب عن مقاتل.

وكثيرون يقولون: لماذا لم ينقل البخاري عن هذا الكتاب؟ لماذا لم ينقل فلان؟ يا جماعة الخير الخلال أخص من كل هؤلاء بالامام أحمد، وحين يروي الخلال أمر عن الإمام فهو ثابت، فمثلا رسالة الامام احمد إلى المتوكل هذه الرسالة رواها عبدالله وصالح ولا تجد البخاري ولا غيرها ينقلونها.

هذا الكلام على نسبة الكتاب مبدئيا، وطبعا هناك نقل لابن عقيل في رسالة الواضح والكلذاني في التمهيد وغيرهم وغيرهم.

وللشيخ حماد الانصاري بحث في اثبات نسبة هذا الكتاب للامام أحمد نقله خالد محمد عثمان المصري في تحقيقه وهناك تحقيق للدكتور دغش العجمي على لكتاب الرد على الزنادقة والجهمية أيضا توسع في اثبات نسبة الكتاب، ولا زال البحث فيه المزيد.

وأما الكلام عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى فقد أخترت أن يكون الكلام بعد الانتهاء من الكتاب، لأن الإمام أحمد شخصية مشهورة جداً وفي أثناء الكتاب سأذكر مجموعة من الأمور وأنا لي درس كامل في ترجمة الإمام أحمد فلم أرد الإعادة.

سندخل مبدئيا على عنوان الكتاب: "الرد على الزنادقة والجيمية"،

من هم الزنادقة؟ وما الفرق بين الزنادقة والجهمية؟

ما معنى كلمة الزنادقة؟ الزنادقة هذا مصطلح ظهر في زمن العباسيين، نسبة إلى كتاب زندي كتاب المجوس، القضية مبدئيا بدأت بسياق سياسي فإن دولة الأمويين كانت عاصمتها في الشام كما هو معلوم، والأمويون كان لهم حظوة عند العرب، وأما العباسيون فقامت دولتهم في خراسان عند العجم، وبدأوا بالزحف على بلاد الإسلام حتى استطاعوا إسقاط الخلافة الأموية بإسقاط آخر خلفائها: مروان الحمار.

لما جاء العباسيون جاء بذيولهم الكثير من الأعاجم والشعوبية، الذين كان فيهم من الفساد العقدي والبعد عن الإسلام ما فيهم، فظهرت مسألة الزنادقة حيث ظهر مجموعة من الناس ظهر أنهم هم مجوس باطناً أو يبغضون العرب أو هم مسلمون ولكنهم يبغضون العرب، فصار الناس إذا وجدوا إنسانا منافقا أو عليه أمارات النفاق لا يقولون منافق كما كان يقال في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الأول، وإنما صاروا يقولون زنديق نسبة إلى كتاب زندي، زندي هو كتاب المجوس. الذي كان للزردشت، وهو قد لا يكون مجوسيا قد يكون لا دينيا قد يكون كافرا تماما لا يؤمن بأي دين، ولكنهم يعبرون بهذا اللفظ لأن الزندقة فشت في هؤلاء القوم، وقد يكون عربيا وقد يكون قد يكون.

ما الفرق بين الزنديق والمرتد؟

المرتد هو الذي يكفر صراحة يقول لنا أنا صرت يهوديا أنا صرت نصرانيا.

وأما الزنديق فهو الذي نعرفه في لحن القول نكتشف اكتشافا أنه يبطن الكفر كما أوجدوا على الحلاج، أن يقول كلمة كفر ثم إذاد جئناه وقلنا له أنت تقول بهذا يقول لا والله ما

قلت. فيشهد عليه الشهود أنه قال فيثبت ذلك عليه. فهذا عند الإمام مالك لا يستتيبه، لأنه يقول لو أظهر لنا التوبة فهو كذاب لأنه من البداية كان يكذب علينا.

ولهذا لماذا لم يقتل المنافقون؟ يقول الإملم مالك: أن الشهادة لم تتم عليهم. وقد قال الله عز وجل {أخذوا وقتلوا تقتيلا} قال: إذا أظهروا ذلك حتى تتم الشهادة عليهم.

وقد فشت الزندقة في الزمن العباسي وصار يتهم فيها حتى بعض من ليس زنديقا أصلا، والزنادقة كانوا أنواعا، فمنهم من كان يضع الأحاديث يؤلفها مثل محمد بن سعيد المصلوب الذي صُلب على الزندقة، والرجل الذي قال لهارون الرشيد: ما تصنعون بي وقد وضعت لكم كذا وكذا حديث.

فقال له هارون: تعيش له الجهابذة الأوزاعي والفزاري ينخلونها نخلا.

ومن الزنادقة من كان يصنف الكتب ويضمن زندقته بشكل لطيف على هيئة تساؤلات ونحوه. ومن هؤلاء ابن المقفع فيما أُتهم.

وممن أُتهم بالزندقة: أبو نواس الشاعر المعروف، فإن هذا الرجل ذكر له ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء أشعارًا عديدة فيها الكفر الواضح، وما يظهر منه الاستهانة بالدين، وقد تساهل معه هارون.

ولما حصلت المشكلة بين الأمين والمأمون بعد وفاة هارون، حصلت مشكلة بين ابنيه على الخلافة وكان من ضمن الدعاية التي استخدمها المأمون ضد أخيه: أن شاعر الأمين زنديق، يقول بين يديه أشعارا فيها زندقة.

والزندقة هو الكفر الاستهانة بالدين.

وهناك أيضا الخليفة محمد المهدي العباسي الذي هو والد هارون الرشيد وابن أبي جعفر المنصور، كان مشهورا بتتبع الزنادقة وقتلهم وقد كثروا بين الرافضة، وكان مشهورا بهذا الامر أنه يتتبع الزنادقة، جاء في ترجمة الهادي ابن المهدي الذي هو أخ هارون الرشيد في سير أعلام النبلاء يقول: وكان كوالده في استئصال الزنادقة وتتبعهم، فقتل عدة منهم: يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم، وظهرت بنته حبلى منه.

يعني هذا الرجل تزندق وصار يقتدي بالمجوس الذين علموه الزندقةذ فالمجوس كان يقعون على بناتهم وأمهاتهم وهذا رجل مطلبي هاشمي نسبه شريف، دخلت عليه هذه الزندقة وهذا نظير حال العلمانيين اليوم، تجد أن كثيرا منهم تأتيه القصة من جهة الشهوات فيظهر الكفر.

حتى أبو العتاهية الشاعر المشهور بالزهد أُتهم بالزندقة، فانه قال بيتا مرة:
يا رب لو انسيتنيها بما في جنة الفردوس لم أنسها
فجاء الواعظ منصور بن عمار وقال: هذا متهاون بالجنة وأتهمه بالزندقة.

يقول محمد بن أبي العتاهية: فلقي أبي من العامة البلاء. وهذا يدلك على أن الناس كانوا متحفظين جدا وخائفين جدا من انتشار الزنادقة، حتى قيل أن من الأسباب انقلاب هارون الرشيد على البرامكة أنه كُشف فيهم الزندقة،
والزندقة أنواع قد يكون الانسان مجوسيا، قد يكون ملحدا، قد يكون لا دينيا، قد يكون شعوبيا مشكلته مع أهل الإسلام بغض العرب، وليس كل الشعوبية كانوا كفارا.
ما هم الشعوبية؟ هم الشعوبية الذين لا يرون للعرب فضلا على الناس.
وعامتهم يقول هذا الكلام ثم تجده بعد ذلك يفضل عرقه الفارسي، وقد كان الفرس مبدئيا قوما عظام يعني مثل الولايات المتحدة الامريكية الآن، فبقي الأمر في نفوسهم إلى زمن متأخر فكان فيهم هذا الكلام ولهذا أُتهم البرامكة بذلك وأُتهم ابن المقفع وأُتهم أيضا بشار لن برد وقد كان من نسلهم أُتهم بأنه كان يصرح دائما بفضل النور على الطين، وهذا من كلام المجوس. وهو في حقيقته تفضيل للشيطان لإبليس على آدم وهذا هو كلام المجوس.
ولهذا مسألة المعتزلة ودخول القدرية فيهم، ولهذا السلف ماذا كانوا يقولون عن القدرية؟
مجوس هذه الأمة.

وهم فعلا تأثروا بشبهة المجوس، فإن الفتوحات الإسلامية على عظمتها وعلى جلالتها لها فائدة ولها أيضا أثر جانبي، وهو أننا سنقاوم أصحاب الثقافات الدخيلة، وهنا تأتي فائدة

العلم، فإن القادة الفاتحين يفتحون البلاد ويهزمون الأعداء ولهم بذلك فضل عظيم، ثم بعد ذلك هؤلاء الأعداء يبقى فيهم منافقون، هؤلاء المنافقون لا يوقف لهم بالسيف لأنهم أهل لين وتدرج، يقول حذيفة رضي الله عنه كما روى البخاري في صحيحه: المنافقون كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرون والآن يعلنون.

يعني يرمون شبهات ويعملون مشاكل ويتسترون تحت ستار أهل البدع، وحقيقتهم الكيد للاسلام وأهله، حتى أن الذهبي في تاريخ الإسلام ترجم إلى رجل رافضي وقالوا أنه كان عالما بالحديث وكان يقول معظم الصحيحين لا يصحان. فقال الذهبي: هذا من كيده وحقده على أهل الإسلام أنه يريد الطعن في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر الأمر على أنه بحث علمي، وهذا كثير في هؤلاء الزنادقة.

وربما تجد بعض الناس يتأثر بشبهاتهم وليس زنديقا، فمثلا معمر بن المثنى عالم اللغة أبو عبيدة، الذي كان يستشهد به الإمام البخاري في مباحث اللغة، كان خارجيا وكان من ضمن مشاكله أنه كان شعوبيا

فحتى أنه جمع في مثالب قريش، ولهذا يقول الجاحظ والجاحظ هو متهم بالزندقة أيضا، يقول: أن الشعوبية جذر كل زندقة.

أنهم يبدأون يقولون: لا فضل العرب علينا ثم يبدأون يبغضون العرب فيميلون حتى يبغضوا المهاجرين والأنصار ثم بعد ذلك يبغضوا النبي صلى الله عليه وسلم شخصيا ويسقطون الدين تحت هذا الداعي.

ولابن حزم كلمة قريبة من هذه الكلمة علما أن ابن حزم أصله البعيد فارسي وهو مولى للأمويين.

هؤلاء الزنادقة لم يقف أمرهم في زمن المهدي أو في زمن حتى هارون الرشيد لما كان مقتديا بوالده لما روى أحد المحدثين حديث أحتج آدم موسى، فقال رجل: أين التقيا آدم وموسى؟ فقال هارون: إلي بالسيف والنطع زنديق.

من كثرة انتشار الزندقة صاروا يتهمون أي إنسان يورد شبهه يورد كذا يقال: ها أنت زنديق.

فلم يزل الناس يهدئون هارون ويقولون له لا هذا رجل صالح وهذا رجل كذا هذا فقط طرح استشكالا حتى هدأ هارون.

لكن الزنادقة ضعفت مقاومتهم بسبب أهل الكلام، فإن أهل الكلام صاروا يقولون له: نجلس ونناظرهم.

وممن تأثر بهذا الأمر: المأمون. ففي زمن المأمون انتشر الزنادقة جدا وقووا.
يقول الجاحظ في كتبه: ليت لنا ما للزنادقة من تزويق كتبهم.
أن كتبهم صارت يعني منمقة ومزوقة، ويتعبون عليها. وهذا يدلك على انتشار الأمر، بل الجاحظ حكى مناظرات بين المأمون والزنادقة وصار هناك تعاون بين النصارى والزنادقة، فصاروا يوردون الشبهات على كتاب الله وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتصدى لهم أهل الحديث فكتب مثلا ابن قتيبة كتابه تأويل مشكل القرآن وكتابه تأويل مختلف الحديث. وصنف عدد من أهل الحديث في أعلام النبوة ودلائل النبوة، وصنف المصنف في الرد على الشعوبية.
ثم أيضا موضوع البراهمة فقد رد حفص الفرد، وقد قوى رده الإمام الشافعي وهو معتزلي ولكن لما كانت له علاقة مع الإمام الشافعي عرض الرد على الشافعي وصار كثير من الناس ينسبون الرد للإمام الشافعي.

والزنادقة تحولوا إلى قوة عسكرية، واظهروا زندقتهم ولم يعودوا أفرادا يطرحون الإشكالات هنا وهناك، بل تحولوا إلى قوة عسكرية حقا، فكما أن المنافقين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت ردتهم، أيضا في زمن المأمون حين ضعفت مقاومة الزنادقة، الزنادقة قووا جدًا حتى قامت لهم دولة، فكان هناك بابك الخرمي المشهور الذي أقام الفتنة وأقام دولة داخل دولة الإسلام وسيطر على عدد من الأقطار الإسلامية وصار يقطع الطريق على المسلمين ويقتلهم ويسبي نسائهم حتى صار الطفل يولد من المسلمة ويكبر ويصير يقاتل مع بابك،

وصار الفقهاء يُسألون عن حكمه، حتى أن بابك لما قُتل بكت عليه النساء، فسبهن قاتله وقلن أنه كان يحسن إلينا. هذا من طول الصحبة.

فبابك له قوة عسكرية وكان زنديقا إباحيا يبيح كل الفروج المحرمة، ثم بعد ذلك تطورت هذه الزندقة حتى صار القرامطة والباطنية الذين كانوا يظهرون الرفض وباطنهم الكفر المحض، وقامت لهم دولة في مصر وهنا وهناك، وصارت لهم مؤلفات ودعوة ودعوتهم انتشرت في أفريقيا وفي القيروان وأثروا على الكثير جداً من الناس. حتى ذكر عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق خططهم خطط الباطنية. وقد كتب الغزالي فضائح الباطنية وماذا يكتبون للناس، حتى من ضمن ما يكتبونه كيف يزينون للناس نكاح بناتهم وأمهاتهم وهذه من بقايا المجوسية فيهم، وهذا أمر عجب بل ذكر من أحوالهم أنهم عندهم ليلة في السنة يطفئون الأنوار ويصيرون يتهارتون كما تهارت الحمر هذا يقع على امرأة هذا وهذا يقع على امرأة هذا وهكذا.

ومع هذه الشهواتية تأتي الشبهات بعد ذلك، وحتى محمود بن سبكتكيل لما قهر حصنهم في الشام وجدهم يستحلون الفروج المحرمة وقد أقيمت المجازر في الشام عدة مرات للباطنية وقد كان لهم وجود هناك فكان يقتل منهم ثلاثة الآف اربعة الآف ثم بعد ذلك صار منهم النصيرية والاسماعيلية وتطوروا، وحتى تأثر بوادي افريقيا التي هي تونس وغيرها هذه الدول بهم حتى وجد في أزمنة معينة لما قامت دولة المرابطين قامت على مقاتلة هؤلاء الذين كانوا يصلون ويصومون ولكن يرفضون حكم الشريعة تماما أو حتى الصلاة فيهم يسيرة يعني لكن حدثتهم في الصلاة قال لك الصلاة أمرها هين ولا تتركون من شرع الله عز وجل.

فهؤلاء الزنادقة صار لهم شبهات وصار أهل الكلام يزعمون أننا نحن نرد على هؤلاء الزنادقة وأن اهل الحديث هؤلاء قوم مساكين لا يفقهون شيئا، وسيأتي أن الجهم بن الصفوان أراد أن يرد على بعض أهل الأديان فألف دينه هذا، وهنا نعرف عمق فقه الإمام أحمد لما جمع بين الرد على الزنادقة والرد على الجهمية، فهو أول الرد على الزنادقة الصرحاء الذين كفروا وبدأوا يطعنون في القرآن صراحة، ثم هو أيضا رد على الزنادقة الباطنة الذين يشهدون الشهادتين ولكنهم ينكرون قطعيات الدين، هذا أول فائدة من الجمع بين الردين، الفائدة الثانية من الجمع بين الردين أنه يقطع الطريق على أهل الكلام فإنهم يزعمون أن أهل الحديث هؤلاء

مساكين، ولا يمكنهم الرد على الزنادقة والملاحدة وهذا إلى يومنا هذا يطرح مثل هذا الأمر، علما أن معظم شبهات النصارى والزنادقة وغيرهم لا تتوقف على تأييد دينهم فهم يعرفون أن دينهم تناقضه الفطرة بشكل واضح، ولكن يشوشون على القرآن والسنة فيشككون ضعاف العلم، وهذا لا يستطيع الرد عليهم إلا العلماء الذين تضلعوا بالكتاب والسنة، وصار يمكنهم الجمع بين النصوص ونقض الشبهات، فمنهج الإمام أخحمد الذي سيأتينا كيف أنه رد على شبهات الزنادقة هذا يمكننا أن نستخدمه أيضا في الذب عن الأحاديث فهم مبدئيا لهم خطوات فهم ليسوا شيئا واحدا، فمنهم من يطعن بالأحاديث ولا يطعن في القرآن، ومنهم من يكفر بالقرآن صراحة، ومنهم من بابه دعوة الناس للتهتك واحدة واحدة ويبعدهم عن مسائل العقيدة وغير ذلك، ثم بعد ذلك إذا استقرت الشهوات في نفوس الناس أدخلوا عليهم شبهاتهم. والإمام أحمد أراد أن يغلق على الناس كل هذه الأبواب، فالإمام أحمد نظر أين الخبث؟ أين ينتشر، فرأى أنه ينتشر في مجالس الخمر، فإن الخمر أم الخبائث وقد انتشر ذلك في زمن المأمون فكانوا يأتون بالجواري يغنين ويشربون ويسمونها مجالس المنادمة، وهذه المجالس كانت فتحا لباب كل شر، الزنا واللواطة وكل بلاء.

فنظر الإمام أحمد أين دخل هذا على أهل الإسلام؟ فرأى أنه دخله من اجتهاد خاطئ لبعض الفقهاء، الذين أباحوا النبيذ، والنبيذ يختلف عن الخمر.

فالنبيذ عصير ولكن إذا اشتد يصير يسكر كثيره دون قليل، هناك جماعة من الفقهاء أباحوا القليل دون الكثير. ولكن أين يضبط الناس القليل والكثير؟ فكان هذا باب الشر ما زال الناس يشربونه حتى ابن حزم يقول: أن هارون الرشيد بدأ سكره مع هذا الأمر. فيصير يسكر ثم بعد ذلك يقول أنا سكران سكران فيصير يشرب الخمر صراحة.

فاشتد أحمد والشافعي ومالك وصاروا يقولون أننا نقيم الحد على شارب النبيذ كما نقيمه على شارب الخمر. وإن لم نسقط شهادته، أفتوا جميعا، أما مالك فمالك كان أشدهم قال: أُسقط شهادته أيضا.

ثم أن الإمام أحمد كان يأخذ معه كتاب الأشربة وكتاب الإيمان إذا خرج إلى الصلاة يأخذ هذين الكتابين.

لماذا كان يأخذهما؟ يأخذ كتاب الاشربة حتى يحذر الناس من هذا الانحراف السلوكي، ويأخذ كتاب الايمان حتى يحذرهم من الانحراف العملي لأنه يرد على المرجئة الذي يخرجون العمل من مسمى الإيمان، فمن هاهنا الإمام رضي الله عنه وأرضاه قاوم الزندقة من جميع أبوابها في السياق الأخلاقي وفي السياق كذا **وقال رحمه الله كلمته التي نقلها الخطيب في شرف أصحاب الحديث قال: لا أعلم زمانا كتابة الحديث فيه أعظم من هذا الزمان لانتشار البدع.**

أما اليوم فيقولون لك انتشر الإلحاد انتشرت العلمانية انتشرت الزندقة اتركوا الحديث هذه كتب صفراء هذه كذا.

لا لا لا الأمر معكوس، فإنه كلما فشى العلم والحديث في الناس كلما ضعف أسباب هذه الأمور، وانظر دائما تجد انتشار الزندقة معه انتشار البدع العقدية، والإمام أحمد سيبين لنا العلاقة بين الجهمية والزندقة.

اليوم أقولها كلمة احفظوها عني:

من أكثر أبواب الانحراف العقدي أن تدخل في الرد على الملاحدة وأنت غير مؤصل عقديا.

فربما اخذت بدع أهل الكلام وحاولت أن ترد بها على الملاحدة والزنادقة وظننتها جوابا وهي في الحقيقة تهدم في القرآن والسنة أكثر مما تهدم في قول أهل الإلحاد، كما سيأتي من أمر جهم.

والآن نقرأ مقدمة الكتاب ونقرأ أول شبهة ونجيب عليها، ويكون هذه نهاية المجلس الأول اليوم، وسيكون مشينا في المجالس الأخرى أوسع وأسرع.

يقول المصنف رحمه الله:

الحمدلله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى.

ذكر عدد ممن تحدث عن هذه الرسالة أنها صنفت في محبس الإمام ، أن الامام صنفها في محبسه.

وتقدم معنا نص ابن تيمية وأيضا نص على ذلك أبو يعلى.

فهو رحمه الله يتكلم عن هذا يقول ويصبرون على الأذى. وكان هذا أمرا ملهما لابن تيمية فكان يصنف المصنفات في محبسه.

يقول الإمام: يحيون بكتاب الله الموتى.

كتاب الله حياة، {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} حياة القلوب.

ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم.

فالإمام يتحدث في وقت خذلان له رحمه الله، ونحن في هذه الليالي الشتوية هو جُلد في الشتاء، جُلد رحمه الله في الشتاء وتعرفون أصلا حتى الضرب في الشتاء يؤثر في الجسم أكبر.

يقول: ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

بارك الله فيك هذا حديث يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه الغاليين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلينذ وهذا الحديث الراجح فيه الإرسال غير أن له شواهد.

فمثلا عندنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: إن من إكرام الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه. فذكر فريقين.

وفي الحديث: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين.

هذا يشهد لمعناه وخبر عمر بن الخطاب: يهدم الدين ثلاثة زلة عالم وحكم الأئمة المضلين وجدال المنافقين بالكتاب.
وهذه كلها اجتمعت في محنة الإمام أحمد، فقد زل بعض العلماء وتأولوا في غير محل تأويل الإجابة، وكان هناك أئمة مضلون مثل المأمون يحكمون في الناس، وكان هناك منافقون يجادلون بالكتاب أخذوا الفلسفة اليونانية وهم في باطنهم زنادقة لا يؤمنون بالنصوص ثم صاروا يستدلون بمتشابه القرآن.

يقول رحمه الله: الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب.

يقول ابن تيمية: أن هذه العبارة من الإمام احمد تدل على فهمه لحقيقة مذهب القوم الجهمية بالذات، فإنهم صرحوا في الأزمنة المتأخرة أنهم يقدمون العقل على النقل، والنقل يشمل الكتاب والسنة، وقد صرح عدد منهم كما صرح ابن العربي في قانون التأويل: أنه لا تؤخذ عقيدة في مسائل الصفات من السمعيات.
وهذا أمر متكرر في كلامه. فالإماك علم أنهم أصلا لا يؤمنون بالقرآن وإن جاءوا لك ببعض الآيات، كما يأتيك العلماني مثلا الذي تشبع بالعقيدة الانسانوية، وهو ينكر حد الردة لهذا الداعي لانه يتبع الغرب يتبع مواثيقهم ثم يقول لك: { لا إكراه في الدين} يضع الآية في غير موضعها، أنت تعلم أنه لو كانت الآية على خلاف هواه ما رفع بها رأسا، ولكنه هنا يقول هذا الكلام من باب اتباع المتشابه ومن باب مغالبة الخصم

يقول: على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم.

كما قلت لكم أن الزنادقة هناك من المسلمين من تأثر ببعض كلامهم ولم يتأثر بمذاهبهم كلها، فدخل في حيز الابتداع على الأقل.

يقول: فنعوذ بالله من فتن الضالين.

باب: بيان ما ضلت به الزنادقة من متشابه القرآن

يقول: شك الزنادقة في قوله: {كلما نضجت جلودهم}
قال أحمد في قوله عز وجل : {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها}
يقول: قالت الزنادقة فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودا غيرها، فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودا لم تذنب حيث يقول بدلناهم جلودا غيرها. فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض.

-يعني لأن الله عز وجل في القرآن نص أنه لا تزر وازرة وزر أخرى-

يقول: فقلت: أن قول الله تعالى: {بدلناهم جلودا غيرها} ليس يعني جلودا غير جلودهم، وإنما يعني بدلناهم جلودا غيرها، تبديلها: تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله.
وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء.

فهم غلطوا في فهم كلمة أيش؟ بدلناهم، فظنوا أنها جلود تأتي من شخص آخر كأنها، وإنما الجلود بمعنى تجديدها أنها تنبت جلوداً أخرى. كما الأظفر الآن أنا أقص أظفاري فيأتي أظفر مكانه، الآن أنا لو ضربتك وصنعت جناية فأخذت بأظفري وأدخلتها في عينك، ثم بعد ذلك قصصت الأظفر. ثم جئتم تريدون أن تفقؤوا عيني أو أن تعاقبوا اصبعي هذه التي ضربت بها. فقلت لكم على قول هؤلاء الزنادقة: ماذا تفعلون الاظفر الذي ضربت به عين فلان قطعته أنتهى أمره، هذا أظفر آخر، ما ذنبه؟ أليس كذلك؟
لا الأمر ليس كذلك، لكن حقيقة شبهتهم هذه جاءت أولا من قلة فقههم،
فإن الفقهاء عندهم أن التابع يأخذ حكم المتبوع، فالجلد هذا الذي ينبت هو تابع للجسم الذي أذنب وفعل مبدئيا، فمثلا الدابة يتبعها حملها، فلا يجوز بيع المجهول إلا تبعا لأمه، فأنا

الآن لو أردت أن أشتري حملا في بطن أمه لا يجوز، لكن إن اشتريت الأم واشتريته في بطنها؟ لا مشكلة. يقال التابع تابع.

أيضا لا يجوز أن أسترق مسلما، مسلم أخذه رقيقا عندي، لكن والله استرققت كافرة فحملت وولدت وإذا بولدها بعد ما جاء وعقل أسلم فأنا استرقه تبعا لأمه، فدائما في التابع يجوز ما لا يجوز في الأصل، هذا أولا.

ثانيًا: ثم شبهتهم هذه تشبه شبهة الجهمية أيضا.

ما علاقة شبهة الجهمية؟

الجهمية جاءوا لكلام الله الذي هو تبع لله، فجعلوه شيئا مستقلا، وقالوا هو مخلوق.

جعفر بن محمد ماذا يقول؟

القرآن كلام الله ليس بخالق -ليس هو ذات الله- وليس بمخلوق.

لأنه هو قائم بذات الله هو فعل الله، فهم جاءوا للجلود وعاملوها وهي أمر تابع، عاملوها معاملة الأصل فشبهته تشبه شبهة الجهمية.

الأمر الثالث: جاء الأمر من خلل عندهم في فلسفتهم. وهذه مسألة ركزوا معنا بها جدًا، الفلاسفة كثير منهم لا يؤمنون بالروح، كثير منهم لا يؤمنون بالروح.

الروح نحن نؤمن أن الروح شيء ثبوتي وجودي موجود، شأنه شأن الجن والملائكة، نعم لا تُرى لكنها موجودة. فالفلاسفة يقولون الروح شيء ذهني لا داخل العالم ولا خارجه، هكذا يقولون في الله عز وجل. فمثل عندنا سعيد فوده يقول: الروح هكذا لا داخل العالم ولا خارجه.

ولهذا قال من قال منهم بأزلية الروح أنها ليست مخلوقة. نحن نقول الله عز وجل يقول: {رب الملائكة والروح}

هم ماذا قالوا؟ أنكروا بعث الأجساد،

ابن سينا وجماعته قالوا: الأجساد تفنى وتموت والأرواح لا تموت.

لماذا؟ أصلا الأرواح عندهم غير داخلة في حيز الزمان والمكان، هم عندهم شيء يسمونه عالم المثل الافلاطونية،
طيب أيش علاقة هذه الشبهة بقصة الجماعة مع الروح؟ أنا أقول لك وركز بالله عليك،

هذا البدن بدني وبدنك، أليست أبدان تكبر؟ تتغير.. الخلايا تتبدل.. أليس كذلك؟ أنا الآن لو مت ووضعت في القبر أليس جسمي هذا كله سيذهب؟ ثم بعد ذلك سيعود.
وفي الحديث: أن السماء تمطر منيا كمني الرجال تنبت منه أجساد الناس من عجب الذنب.
أليس كذلك؟ هذا البدن ينبت على ماذا؟ ينبت على روحك، كما اظفرك ينبت على اصبعك، فالبدن هذا هو أصلا تابع للروح، البدن تابع للروح، والجسد ينبت عليه وغير ذلك.
فهم لما كانوا لا يؤمنون بالروح كما نؤمن بها، هم لا يؤمنون بوجودها أصلا، منهم من لا يؤمن بما لا يرى فلا يؤمن بالروح.
فهنا استشكل فهو لا يرى إلا بدن.

لهذا بعض الناس اليوم لما يظنون أنني إذا أخذت قلبي ووضعته عند إنسان أن هذا الإنسان سيصير مثلي. لا. القلب متعلق بالروح، فمهما اخذت من أعضاء ووضعت مكانها أعضاء أخرى، أنا أنا هذا.
لماذا؟ لان المسألة معلقة بالروح.
أنت فقط تغير الاظفر، الأصبع هو هو.

يقول الشيخ محمد خليل هراس في شرح النونية:
يزعم الفلاسفة المنكرون للمعاد الجسماني أنه لا بد من إعادة الأجسام التي كانت بالدنيا بأعيانها يعني بجميع صفاتها وأعراضها التي كانت لهم بالدنيا -يعني هي هي بعينها- ولما كان ذلك مستحيلا أدى بهم إلى إنكار البعث.

هم ماذا يقولون؟
يقولون طيب أنا جسمي أكله شيء ثاني، أنا مثلا جاءني مثل حيوان أكلني، لحمي صار مع دمه ولحمه وغير ذلك وهو سيموت.
أو في ناس يأكلون لحوم البشر، فيصير لحوم البشر في أجسادهم، ومن ضمن اعضائهم وخلاياهم. هكذا يشبهون.
ويقولون يوم القيامة الله سيبعث هذا أو هذا والجسم أيش يصير. هكذا يقيدون قدرة الله.

يقول: وللرد عليهم نقول:
أن الله ينشئ الخلق ويؤلفهم تأليفا جديدا –مثل ما قال الإمام أحمدي تجديد– كما قال تعالى: {ثم الله ينشئ النشأة الأخرة}{وأن عليه النشأة الأخرى}
وليس ذلك بلازم في الإعادة ولا كون الشخص عين الأول يعاد الجسم بجميع اعضاءه، فإن الشخص في الدنيا يكون صغيرا ينمو وينتقل من طور إلى طور وهو في كل الأطوار مع تجدد دائم واستحالة مستمرة.

فهي هذخ. أنا أحببت أن أذكر في إجابة بعض الشبهات الأصل الذي بني عليه لأن هذه الأصول باقية معنا إلى يومنا هذا.
ومع مرور الوقت سنشرح لكم أصولهم وكيف يبنونها وكيف الشيطان يضلهم.

أيضا مسألة مصطلح التجديد، الإمام أحمد هنا نبه على التجديد.
اليوم الناس يظنون مثلا يقول لك تجديد الخطاب الديني يعني أيش؟ يعني أنك تأتي بشيء جديد من أساسه لا علاقة له بالأول، هؤلاء فهموا التجديد كما فهمه هؤلاء الزنادقة.
والواقع أن التجديد أيش؟ إعادة إحياء الميت، فهذا أيضا الأعضاء يحييها رب العالمين هكذا. فهذا نفس الشيء.

هناك مصطلحات، لماذا الإمام أحمد قال لهم العلماء يفهمون وكذا؟

المصطلح الواحد يكون له عدة معاني، وهذه من الأمور التي طعن فيها الشعوبية في لغة العرب، ابن الانباري له كتاب اسمه الأضداد، الأضداد هذه الالفاظ العربية التي لها معنيان متعاكسان مثل: عسعس تأتي بمعنى أقبل وتأتي بمعنى أدبر.

رأيت حفظك الله فهنا قال الشعوبية طعنت وابن الانباري معاصر قريب من عصر الإمام أحمد، قال. طعنت الشعوبية وقالت هذا من ضيق اللغة العربية، فقال لهم: أنتم تعلمون أن اللغة العربية واسعة، ولكن هذا من تفنن أهلها.

حتى أنت تفهم الكلمة في السياق الآن مثل كلمة المحصنات،

تطلق على الحرة {والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب} طيب الآن المحصنة ذات زوج متزوجة؟ لا.

وتطلق على المتزوجة، حد المحصن. وتطلق على المسلمة.

طيب ما العلاقة بين هذه الألفاظ؟

أن هذه الاوصاف: الإسلام والحرية والزواج، تبعد عن الزنا. لكن في كل سياق تفهم هذه الألفاظ.

الآن مثلا لفظ {بدلناهم}

أنا أقول لك: أنا أبدلك مكان هذا.

فقد يكون لها معنيان، قد يكون معناها أن أتيك بشيء جديد لا علاقة له بالسابق، وقد يكون معناه أنني أجددها لك {يوم تبدل الأرض غير الأرض}

ما الذي يحصل في الأرض؟ تجدد أوصافها. {والبحر المسجور} البحر يصير نارا النار التي تحته، والسماوات عندنا النصوص أنها تفتح أنها كذا أن صفاتها تتغير. هذا معنى تبديلها، ليس معنى تبديلها أنه يأتي شيء غيرها تماما جذريا، وهي تلك تذهب وتفنى بالكلية هذا المراد.

وهذه الشبهة ذكرها من المفسرين وأجاب عليها بنحو جواب الإمام أحمد: القرطبي والسمرقندي.

السمرقندي من الحنفية والقرطبي من المالكية، وبقية المفسرين لم يعرضوا لها بشيء.

وحقيقة هذه الشبهات وطريقة القائها تجعلنا نستبعد أن هذا الكتاب كان لمقاتل حتى مع المقدمة، لأن المقدمة طريقتها ليست طريقة أهل ذاك الزمان، هذا أولا.
ثانيا: طريقة الزنادقة في إلقاء الشبهات بهذه الصورة إنما فشت في آواخر زمن هارون وبداية زمن المأمون، لأنهم عندهم هذه الأريحية وأنهم يطرحون ما يشاؤون وغير ذلك.

بارك الله فيكم، هنا منتهى المجلس الأول لقاؤنا إن شاء الله تبارك وتعالى الأربعاء القادم.
نحن اعطيناكم واجبا رسالة بحثي في مقاتل بن سليمان يلخص الصوتية.

وأيضا في موضوع الزنادقة وأحكامهم، هناك رسالة دكتوراة أظنها رأيتها في مجلدين والله لا أذكر هي لمن، لكن إذا واحد من الشباب يجيبها لنا ويعطينا إفادة.
في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة هناك أخبار تتعلق بموضوع أبو نواس وإتهامه بالزندقة وحتى المتنبي الشاعر المشهور، هناك شخصيات مثل أبي العلاء المعري حصل نقاش، وهناك شخصيات طعنت في القرآن بعد هؤلاء مثل ابن الرواندي له كتب في ذلك.
وهذا أمر لا يجعلنا نشعر بالاحباط بل هذا أنا أراه أمرا مبشرا نوعا ما، نحن اليوم نرى هناك هجمات ناس تهجم على البخاري ناس تهجم على مسلم ناس تطعن في القرآن ناس تلحد؛ حين نعلم أن لهؤلاء الناس أسلافا وقد رد عليهم العلماء ونقضوا عليهم ثم ذهبوا هباء.
اليوم الكثير من الناس يقول لك قد حاولت الدولة البيزنطية وحاولت الدولة الفارسية وحاول التتر وحاول كذا أن يقضوا على أهل الإسلام وانتصر عليهم أهل الاسلام ويضعون صورا لجيوش متقابلة.

في الواقع هذه معركة من المعارك، هناك معركة أخرى كانت عميقة جدا، وهي معركة أهل العلم مع الزنادقة مع هؤلاء المنافقين الذين كانت معركة علمية واليوم الآن الأمر عندنا أوسع، فاليوم قد يذهب الزنديق في ديار الكفر حتى لو كانت بلادنا تقيم الحدود وتفعل كل شيء،

يعيش في بلاد الكفر ثم يستغل هذه الوسائل ليشبه على الناس، فالحمد لله ولا إله إلا الله عندنا تراث جليل على الأقل تحصل منه دربة، فهذا الجمع بين الآيات التي يظن فيها التعارض ونحن عندنا من ضمن المعاصرين الذي أنصح برسالته رسالة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

فهذه رسالة جليلة هي على نسق رسالة الإمام هنا، وهذا وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:
فهذا هو المجلس الثاني من التعليق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

تنبيهات قبل الشروع في الدرس الجديد في ردود الإمام أحمد على الزنادقة، **تنبيهات متعلقة بالدرس الماضي:**

التنبيه الأول: الأثر الذي نسبته للإمام أحمد فيما يتعلق بأهمية كتابة الحديث، فقد روى الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من لفظه: أن محمد بن أحمد بن أبي الثلج يقول: حدثني جدي، سألت أحمد بن حنبل قلت: يا أبا عبدالله أيهما أحب إليك الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟ فقال: يكتب الحديث. قلت: فمن أين فضلت كتابة الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: لئلا يقول قائل إني رأيت قوما على شيء فاتبعتهم. فقال الخطيب معلقا: قلت: طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع لأجل دروس السنن وخمولها وظهور البدع واستعلائها.

التنبيه الثاني: فيما يتعلق بنسبة الكتاب للإمام أحمد كنت قد نبهت في الإجابة على سؤال أحد الأخوة وفقهم الله تعالى أن ابن بطة روى بعض مضامين هذا الكتاب عن مقاتل بسند، وابن بطة على جلالته وإمامته فيه ضعف ويروي مناكير، وأيضا في السند إلى مقاتل كلام كثير.
وأيضا هناك الملطي روى بعض الأجزاء المتعلقة بالرد على الزنادقة عن مقاتل وقال أنه رواه عن الثقات، غير أن الملطي ليس من أئمة الحديث ولم يسمي هؤلاء الثقة فلا يمكن أن نعتمد على روايته التي أُبهم رواتها لتؤكيد النسبة لمقاتل، وقد نبأ إلى سمعي أن هناك مصنفا جديدا

لأخ أظن اسمه ناصر آل متعب في الدفاع عن نسبة كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

الآن نبدأ بالقراءة وإشكالات الزنادقة وأجوبة الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

يقول الإمام رحمه الله:

وأما قوله عز وجل: ﴿هذا يَومُ لا يَنطِقونَ ۝ وَلا يُؤذَنُ لَهُم فَيَعتَذِرونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦]
ثم قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيامَةِ عِندَ رَبِّكُم تَختَصِمونَ﴾ [الزمر: ٣١].
فقالوا: كيف يكون هذا الكلام من المحكم؟!
قال: ﴿هذا يَومُ لا يَنطِقونَ﴾، ثم قال في موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيامَةِ عِندَ رَبِّكُم تَختَصِمونَ﴾
فزعموا أن هذا الكلام ينقضُ بعضه بعضا، فشكُّوا في القرآن.

هذه الشبهة الآن يبدأ بالرد عليهم،

يقول: أما تفسير ﴿هذا يَومُ لا يَنطِقونَ﴾ الآية: فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في كلام فيتكلمون.

طيب هذا جواب الإمام ولنا عليه تعليق، وقد تكلم على هذه الآية أيضا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فلخص الأجوبة على هذا الإشكال بثلاث أجوبة:
الجواب الأول: أن يوم القيامة هو مواطن، ففي موطن ينطقون وفي موطن لا ينطقون.
الثاني: أنهم لا ينطقون بما لهم فيه فائدة، وما لا فائدة فيه كالعدم.

والثالثة: أنهم بعد أن يقول لهم الله عز: اخسئوا فيها ولا تكلمون ينقطع نطقهم.
وهذه كلها توجيهات وجيهة،
لكن التوجيه الأول الذي اختاره الإمام أحمد ما شاهده من القرآن؟ عامة إشكالات الزنادقة التي ستأتي فيما يتعلق بخلق الانسان وفي عذاب جهنم وفي أحوال يوم القيامة أجوبتها في القرآن، هذا جوابه في القرآن في قول الله عز وجل: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]
يعني حالا بعد حال، يعني يوم القيامة مراحل، ففي القرآن نبه كأن يوم القيامة مراحل فلما نبهك أن يوم القيامة مراحل إن وصف لك مرحلة فالمرحلة الأخر ثم ذكر لك وصفا آخر فأحمل الوصف الآخر على المرحلة الثانية.
فهو في القرآن نص لك على أن يوم القيامة مراحل، وهذه المراحل تناسب أحوال أهل الكفر فإن أهل الكفر منهم المعرض الساكت عن الحق الشيطان الأخرس الذي لا يهاجم الحق ولا ينصر الباطل وإنما هو محايد وتبع للباطل هكذا، وهناك منهم من يتكلم بنصرة الباطل فهؤلاء يقر أعين أهل الإيمان بأن يتكلموا فتدحض شبهتهم،
وأيضا القول الثاني الذي ذكره الشيخ محمد الأمين وسيأتي معنا أيضا في بعض التوجيهات الذي هو **نفي الشيء النافع هو نفي للأصل**، يعني كيف؟ لا ينطقون بما ينفعهم، كما تقول العرب فلان ما صنع شيئا، عندنا في الحديث نقول: فلان ليس بشيء.
وهو شيء ولكن روايته والعدم سواء، هذا المقصود.

ثم ذكر آية اخرى وهذه الآية الأخرى سُئل عنها عبد الله بن عباس، استشكل هذا الاستشكال الذي طُرح على الإمام أحمد استشكل على عبد الله بن عباس وقد فات الشيخ محمد الأمين في كتابه أن يذكر كلام عبد الله بن عباس،

يقول: وأما قوله تعالى: ﴿فَلا أَنسابَ بَينَهُم يَومَئِذٍ وَلا يَتَساءَلونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]
وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقبَلَ بَعضُهُم عَلى بَعضٍ يَتَساءَلونَ﴾ [الصافات: ٥٠]

فقالوا: كيف يكون هذا من المحكم؟! فشكوا في القرآن من أجل ذلك. أما قوله تعالى: ﴿فَلا أَنسابَ بَينَهُم يَومَئِذٍ وَلا يَتَساءَلونَ﴾ فهذا عند النفخة الثانية، إذا قاموا من القبور، لا يتساءلون ولا ينطقون في ذلك الموطن، فإذا حُوسبوا ودخلوا الجنة والنار، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، هذا تفسير ما شكت به الزنادقة.

جواب عبد الله بن عباس الذي رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ بسنده عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال يا ابن عباس إني اجد في القرآن تختلف علي، فقد وقع ذلك في صدري. فقال ابن عباس: أتكذيب؟! قال: ما تكذيب –قال لا أُكذب مؤمن أن هذا كتاب الله عز وجل عندي عليه براهين لكن عندي بعض الإشكالات التي تحتاج إلى جواب–

قال: ما تكذيب ولكن اختلاف، فقال: هلم ما وقع في نفسك. فقال له الرجل: اسمع قول الله عز وجل: ﴿فَلا أَنسابَ بَينَهُم يَومَئِذٍ وَلا يَتَساءَلونَ﴾

وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقبَلَ بَعضُهُم عَلى بَعضٍ يَتَساءَلونَ﴾

وذكر آيات، فقال ابن عباس: أما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فهذا في النفخة الأولى ﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّماواتِ وَمَن فِي الأَرضِ إِلّا مَن شاءَ اللَّهُ﴾ الآية. [الزمر: ٦٨]

فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم إذا كان في النفخة الأخرى قاموا فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. وستأتي آية أخرى أيضا أجاب عنها عبد الله بن عباس.

وأما قوله: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}[المدثر: ٤٢،٤٣] .

وقال في آية أخرى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤] .

فقالوا: إن الله قد ذم قومًا كانوا يصلون قال: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} وقد قال في قوم: إنهم إنما دخلوا النار لأنهم لم يكونوا يصلون فشكوا في القرآن من أجل ذلك، وزعموا أنه متناقض.

قال: وأما قوله: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} عنى بها المنافقين: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} حتى يذهب الوقت.

{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} [الماعون: ٦] يقول إذا رأوهم صلوا، وإذا لم يروهم لم يصلوا.

وأما قوله: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر: ٤٢، ٤٣] . يعني الموحدين المؤمنين، فهذا ما شكت فيه الزنادقة.

وحقيقة هذا من أضعف اعتراضات الزنادقة، فإذا كان الساهي عن صلاته متوعدا بالنار فتاركها من باب أولى، فهذا صنف من أهل النار وهذا صنف آخر، **هذا أول جواب.**

ثاني جواب: أن من لا يصلي صلاة صحيحة هو كمن لا يصلي كما مر معنا: ﴿هذا يَومُ لا يَنطِقونَ﴾ يعني لا ينطقون بالنطق النافع،

طيب ما شاهد هذا في السنة؟ شاهد هذا في السنة: حديث النبي صلى الله عليه وسلم **حديث المسيء صلاته** لما قال له؛ ارجع فصلي فإنك لم تصلي. وهو كان قد صلى، وقلت لكم العرب تقول: فلان ما صنع شيئا، وأهل الحديث يقولون: ليس بشيء، أو ما قلت شيئا ما صنعت شيئا يعني ما صنعت شيئا نافعا.

ولهذا في حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ماذا قالت ملائكة العذاب؟ قالت: أنه لم يعمل خيرا قط. مع أنه ذهب وسأل الرجل وسأل عن التوبة وسعى للهجرة، فهم نفوا أنهم ما رأوا له عملا كاملا صالحا مكتملا. وعلى هذا حمل من حمل من أهل العلم حديث: (لم يعملوا خيرا قط) فقالوا: أنه لم يعملوا خيرا قط أي لم يعملوا خيرا ينفعهم، فقد عملوا خيرات ولكنها أكلتها الحقوق.

فقد يحمل: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} لما سهوا عن صلاتهم صلاتهم صارت بحكم العدم، **فالسلف مسروق وغيره فسروا {عن صلاتهم ساهون} قال: يؤخرونها عن وقتها، قال: ولو تركوها لكانوا كفارا.**

ولهذا الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ليسوا كالذين لا يصلون نهائيا (ما أقاموا فيكم الصلاة)، فهذا وعيد لهؤلاء الذين يؤخرونها عن وقتها، بل ويقال أيضا من باب التوضيح أكثر وأكثر **أن الذي يؤخرها عن وقتها والذي يسهو عنها لا يزال كذلك حتى يتركها؛**

فإن أولى مراحل الترك هذا أن تصير تؤخر الصلاة عن وقتها ولا تقوم بحقوقها ثم تصير لست مصلي، كما في الحديث: **(مراء في القرآن كفر) يعني يؤدي إلى الكفر** وإلا ليس هو كفر في إبتداء الأمر.

وأما قوله عز وجل:

{خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [فاطر: ١١] .

ثم قال: {مِنْ طِينٍ لازِبٍ} [الصافات: ١١] .

ثم قال: {مِنْ سُلالَةٍ} [المؤمنون: ١٢] .

ثم قال: {مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦] .

ثم قال: {مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن: ١٤]

فشكوا في القرآن، وقالوا: هذا تلبيس ينقض بعضه بعضًا.

هذا مثل {لتركبن طبقا عن طبق} هي مراحل، فهم حسبوها مرحلة واحدة، طيب ما الآسة التي دلت على أن خلق الانسان مراحل؟ **{وقد خلقكم أطوارا}** وهذا وارد في السنة أيضا في حديث أنه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم مخلقة وغير مخلقة أليس كذلك؟ فالأمر هكذا.

فيقول الإمام أحمد رحمه الله: نقول: هذا بدء خلق آدم، خلقه الله أول بدء من تراب، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فكذلك ذريته طيب، وخبيث، أسود وأحمر وأبيض.

وهذا وارد في حديث أبي موسى الأشعري، وهذه الكلمات لم تنسب لمقاتل أبدا ولا تشبه أسلوبه ولا طريقته، بل هي أقرب لطريقة الإمام أحمد بن حنبل لأنها تفصيل بمظامين الأحاديث والآثار.

يقول: ثم بلَّ ذلك التراب فصار طينًا، فذلك قوله:"من طين" فلما لصق الطين بعضه ببعض، فصار طينًا لازبًا، بمعنى لاصقًا، ثم قال: {مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ} .

يقول: مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأ مسنونًا، فخلق من الحمأ، فلما جفَّ صار صلصالاً كالفخار، يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار، له دوي كدوي الفخار

فهذا بيان خلق آدم، وأما قوله: {مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [السجدة: ٨] .

فهذا بدء خلق ذريته، من سلالة يعني النطفة إذا انسلت من الرجل، فذلك قوله: {مِنْ مَاءٍ} ، يعني النطفة، {مَهِينٍ} يعني ضعيف.

فهذا ما شَكَّت فيه الزنادقة.

وهذا مثل أمر الإنسان، فأنت العربي تارة تقول عنه عدناني وتارة تقول معدي وتارة تقول مثلا قرشي وتارة تقول هاشمي وتارة تقول كذا، هو هذا وهذا كلها ألقاب كلها أسماء لاسم واحد.

وأما قوله:

{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [الشعراء: ٢٨] .

{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧]

{رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج: ٤٠]

فشكوا في القرآن، وقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟

أما قوله: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار، أقسم الله بمشرقه ومغربه،وأما قوله: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} فهذا أطول يوم في السنة، وأقصر يوم في السنة، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما، وأما قوله: "رب المشارق ورب المغارب" فهو مشارق السنة ومغاربها، فهذا ما شكت فيه الزنادقة.

هو الآن هل يوجد تعارض بين الإفراد والتثنية والجمع؟

المفرد المضاف لا ينافي الجمع،

{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها} نعمة الله واحدة أم جمع؟ جميل.

ولا تناقض بين التثنية والجمع، لماذا؟ لأن أقل الجمع اثنين على الصحيح، {إن تتوبا إلى الله فقط صغت قلوبكما} "قلوب" وهي تثنية.

نقول: "صليت جماعة مع فلان" ونحن اثنان.

وهذه الآية كنا درسنا قديما علم الفلك الإسلامي عند رجل والله نسيت اسمه فقال: هذا من الإعجاز. قال: لأنه فعلا في المشرق أجمالا والمغرب أجمالا له حظور، وهناك مشرق للشتاء ومشرق للصيف وهكذا وكل يوم هناك فرق يسير في تحرك الشمس، فقال هذه اعتبروها من الاعجاز.

يقول ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد:

ومن هذا المعنى مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارةً مجموعَيْن، وتارة مثنَّيين، وتارة مفردين؛ لاختصاصِ كلِّ محلٍّ بما يقتضيه من ذلك، فالأول: كقوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج: ٤٠]

والثاني: كقوله تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ١٧ – ١٨]

وحقيقة سياق {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}

كان السياق الحديث عن الجن والإنس، عن اثنين أصلا. وأما لما قال: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ}

هي السورة كان اسمها المعارج.

والثالث: كقوله تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: ٩]، فتأمّلْ هده الحكمةِ البالغة في تغاير هده المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب مواردها يُطْلِعُك على عظمة القرآن وجلالته، وأنه تنزيلٌ من حكيم حميد.

فحيث جُمِعَت؛ كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيَّام السنة، وهي متعددة، وحيث أُفْرِدا؛ كان المراد أفقي المشرق والمغرب، وحيث ثُنيا؛ كان المراد مشرقَي صعودها وهبوطها

كما نحن نقول: شمال شرقي جنوب شرقي، شمال غربي جنوب غربي. أليس كذلك؟ هذا هو قصد ابن القيم.

فإنها تبتدئ صاعدةً حتى تنتهي إلى غايةِ أَوْجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها وارتفاعها...

الآن ابن القيم يتحدث عن صعودها عند الظهور ونزولها، نعم وهكذا إلى آخر كلامه الجميل في رسالته بدائع الفوائد.

أما قوله: {وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: ٤٧]
وقال في آية أخرى: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة: ٥]
وقال في آية أخرى: {تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً} [المعارج: ٤، ٥] .
فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم، وهو ينقض بعضه بعضًا؟

طبعا هو واضح أن كل آية تتكلم عن وقت معين،

قال: أما قوله: {وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: ٤٧] فهذا من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض، كل يوم كألف سنة،

طيب بعض الناس يستشكل يقول: أليس عمر الكون كذا وكذا مليار سنة؟ فكيف في ستة أيام، الآن إذا أنا صنعت قصرا في ستة أيام، بعد ألف سنة يكون عمره كم؟ ألف سنة، لكني أنا صنعته في ستة أيام، بعد ألفين سنة يصير عمره ألفين سنة، لكن أنا صنعته في ستة أيام.

وأما قوله: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} [السجدة: ٥] وذلك أن جبرائيل كان ينزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– ويصعد إلى السماء في يوم كان مقداره ألف سنة، ذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، فهبوط خمسمائة، وصعود خمسمائة عام، فذلك ألف عام.

وأما قوله: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}

هذا يوم القيامة واضح.

يقول: لو ولي حساب الخلائق غير الله، ما فرغ منه في يوم مقداره خمسون ألف سنة، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، إذا أخذ في حساب الخلائق فذلك قوله: {وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[الأنبياء: ٤٧] يعني سرعة الحساب.

وأما قوله:
{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} إلى قوله: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٢، ٢٣]

يلاحظ أنهم نفوا عن أنفسهم الإشراك وأثبتوه في مكان آخر،

قال: فأنكروا: أن كانوا مشركين.
وقال في آية أخرى: {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}[النساء: ٤٢] .

فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.

وهذه الشبهة قد أجاب عليها عبدالله بن عباس لكن نسمع جواب الإمام أحمد وفيه فائدة إن شاء الله:

أما قوله:

{وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] وذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض: إذا سألنا نقول: لم نكن مشركين، فلما جمعهم الله، وجمع أصنامهم وقال: {أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}[القصص: ٦٢] .

قال الله: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] .

فلما كتموا الشرك، ختم الله على أفواههم، وأنطق الجوارح، فنطقت بذلك، فذلك قوله: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥] . فأخبر الله عز وجل عن الجوارح حين شهدت، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

وهذا نحو جواب عبد الله بن عباس، أي أن المشركين ينفون بألسانتهم أولا ثم ينطق الله جوارحهم.

وفي هذه الآية أيضا فائدة دقيقة والله أعلم، يوجد في أمتنا من هو مشرك وغير معترف بالشرك، يقول أنا لست مشركا، كتاب كشف الشبهات للإمام المجدد كله رد على هؤلاء الناس الذين يقولون نحن لسنا مشركين نحن نتخذهم شفعاء.. هذه شفاعة.. هذه استغاثة فالله أعلم في هذه الآيات إشارة إلى هؤلاء القوم، فإن من المشركين من هو معترف {أجعل الالهة إلها واحدًا} هو معترف، وأما هؤلاء فليسوا معترفين، فكأن هذه الآيات فيها إشارة من بعيد لهم.

أما قوله عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: ٥٥] .

وقال: {يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا} [طه: ١٠٣] .

وقال: {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا} [طه: ١٠٤] .

وقال: {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء: ٥٢] .

ومن أجل ذلك شكت الزنادقة.

أما قوله:{إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا}

وذلك إذا خرجوا من قبورهم، فنظروا إلى ما كانوا يكذبون به من أمر البعث، قال بعضهم لبعض: إن لبثتم في القبور إلا عشر ليال، واستكثروا العشر، فقالوا: {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا} في القبور، ثم استكثروا اليوم فقالوا: {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً}ثم استكثروا القليل فقالوا: إن لبثتم إلا ساعة من نهار. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

وهذه أيضا لها تخريج آخر، الله عز وجل ذكر أن أمثلهم طريقة يقول إن لبثتم إلا يوما، فهؤلاء مجموعة من المشركين كل واحد منهم يقول، فمنهم من يكثر جداً فيقول عشرة، ومنهم من ينزل فيقول ساعة وكذا، فأمثلهم طريقة الذي هو في الوسط، يقول لا أنت ولا أنت، هو يوم، نحن لبثنا يوما. وهذا كله للتقريب أن عقولهم تفاوتت وذهلت مما رأت، فاضطربت ارائهم، ما استقروا على رأي واحد من هول ما يرون، وهذه الآية عجيبة جداً، والإمام أحمد سيفسرها بشيء مروي عن مجاهد رضي الله عنه تلميذ عبدالله بن عباس.

وأما قوله:{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا} [المائدة: ١٠٩] .

وقال في آية أخرى: {وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} [هود: ١٨] .

فقالوا: وكيف يكون هذا فيقولون: لا علم لنا.

وأخبر عنهم أنهم يقولون: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم.

فزعموا أن القرآن ينقض بعضه بعضًا.

بعضهم قالوا أن هذا من باب الأدب، يعني أن لا علم تفصيلي لنا، نحن لا نعرف من أجابنا إخلاصا ممن أجابنا نفاقا، لكن مجاهدا فسرها بالتفسير الذي ذكره الإمام أحمد.

يقول الإمام أحمد: أما قوله:
{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ} [المائدة: ١٠٩] فإنه يسألهم عند زفرة جهنم، فيقول: ماذا أجبتم في التوحيد؟ فتذهب عقولهم عند زفرة جهنم، فيقولون: {لا عِلْمَ لَنَا} [المائدة: ١٠٩]

وهذا تفسير ثابت عن مجاهد الذي عرض القرآن على عبد الله بن عباس ثلاث مرات.
الأنبياء الآن من الهول يقولون لا علم لنا،

ثم ترجع لهم عقولهم من بعد،

وهذا نظير الوارد عندنا في حديث الشفاعة، لما الناس يسألونهم الشفاعة فيقولون في بداية الأمر ومن هوله: نفسي نفسي، ثم بعد ذلك يشفعون ويشفع غيرهم. {لتركبن طبقا عن طبق} تذكروها معنا، يعني القيامة أحوال وأوقات مختلفة.

ثم ترجع لهم عقولهم من بعد،فيقولون: {هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} [هود: ١٨] فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

وأما قوله:
{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣] .
وقال في آية أخرى: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣] .

فقالوا: كيف يكون هذا؟ يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم،وقال في آية أخرى: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} .
فشكوا في القرآن، وزعموا أنه ينقض بعضه بعضًا.

أما قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} يعني الحسن والبياض {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} يعني تعاين ربها في الجنة.
وأما قوله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} يعني في الدنيا دون الآخرة،

وهذا مثل قوله عز وجل في الكفار في الموت: {ولن يتمنوه أبدًا} وهم في الآخرة يتمنونه.

وذلك أن اليهود قالوا لموسى: {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ} [النساء: ١٥٣] .
فماتوا وعوقبوا لقولهم: {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} وقد سألت مشركو قريش النبي– صلى الله عليه وسلم– فقالوا: {أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً} [الإسراء: ٩٣] .
فلما سألوا النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه المسألة قال الله تعالى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} [البقرة: ١٠٨] .
حين قالوا: {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ} الآية.
فأنزل الله سبحانه يخبر أنه {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} ، أي أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة

وهذا أيضا ورد في حديث الدجال (وانكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).

فقال: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} يعني في الدنيا، أما في الأخرة فإنهم يرونه. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

وأما **عكرمة تلميذ ابن عباس فوجهها توجيها آخرا** رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، أن عكرمة سئل {لا تدركه الأبصار} فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: فكلها ترى؟.
يعني نحن نرى الله ولا نحيط به، وهذا لا تؤمن به الجهمية ولا الزنادقة لأن رب العالمين عندهم ليس له وجود حقيقي في الخارج بحيث يُرى بعضه ولا يُرى البعض الآخر، الله عز وجل كتب بيده التوراة وداود يقترب من رب العالمين حتى يمس بعضه، هكذا الأخبار عن السلف، فهذا الخبر أيضا هكذا، وأيضا لها نظير الله عز وجل يقول: {ولا يحيطون به علما} ومع ذلك يعلمنا عن نفسه بالقرآن، فنحن نعلم عن الله ولكن لا نحيط به علما، وكذلك إذا رأيناه يوم القيامة نراه ولكن لا نحيط به رؤية.

وأما قول موسى:{سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣] .
وقال السحرة: {إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٥١] .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلى قوله: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .
قالوا: كيف قال موسى: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}[الأعراف: ١٤٣] . وقد كان قبله إبراهيم ويعقوب وإسحاق، فكيف جاز لموسى أن يقول: {وأَنا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} وقالت السحرة: {أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} وكيف جاز للنبي أن يقول: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} وقد كان قبله مسلمون كثير، مثل عيسى ومن تبعه؟ فشكُّوا في القرآن وقالوا: إنه متناقض.
أما قول موسى: {وأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} فإنه حين قال: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣] ، ولا يراني أحد في الدنيا، إلا مات.
{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣] .
يعني أول المصدقين، أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات.
وأما قول السحرة: {أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} يعني أول المصدقين بموسى من أهل مصر من القبط.

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} يعني من أهل مكة. فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

هذه يفيدنا في مسألة علمية مهمة جداً، هذه اسمها **مسألة الأولية النسبية**، الأولية المطلقة والأولية النسبية.

عندنا في علم الحديث شيء اسمه مطلق ونسبي، فيقال: فلان أوثق أهل البصرة مطلقا وفلان أوثق أصحاب شعبة نسبي، الآن مثلا نحن نبحث في مسألة أول من أسلم؟ يعني بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

الآن أنا لو سألتك هل يمكن أن يخلق الله عز وجل عالما قبل عالمنا بألف سنة؟ ستقول: نعم.

أقول لك لماذا؟ تقول لي: لأن الله أول لا بداية له ولأنه على كل شيء قدير.

فاسألك هل يمكن أن يخلق عالما قبل هذا العالم بألف سنة أيضا؟ أو بمئة سنة؟

فتقول لي نعم وهكذا.. هل

يمكن أن نقف عند حد ونقول هنا ستتوقف القدرة وتتوقف الأولية؟ لا.

هذه هي المسألة التي سميت مسألة تسلسل الحوادث، يعني إمكان أن يكون الله عز وجل يخلق ما شاء متى شاء أو يفعل ما شاء متى شاء.

طيب نحن عندنا بحث للعلماء في أول مخلوق، هذا في عالمنا أولية نسبية، وفد تميم لما جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا: جئنا نسألك عن أول هذا الأمر.

فقال لهم: كان الله ولا شيء معه وكان عرشه عن الماء.

هو ذكر مخلوقا الذي هو العرش والماء، طيب ما معنى ولا شيء معه؟

يعني ولا شيء معه من العالم الذي جاء بعد العرش والماء.

وأيضا الخبر: (أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب) أول ما خلق الله القلم هل معناه أن القلم وجد قبل العرش؟ لا.

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

إن الله كتب المقادير قبل أن يخلق الخلق وكان عرشه على الماء.

فإذًا أول من بعد العرش، فهذه أولية نسبية. وأولية العرش؟ قال: والماء. الماء ذكرت أوليته. عبد الله بن عباس قيل له: أين كان العرش قبل أن يخلق الله الماء؟ قال: كان على متن الريح. وأيضا حديث أبي رزين العقيلي لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان في عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء. يعني العماء نفسه، العمى مثل السحاب، يعني كان مع عماء، فسره على شيء وجوده. قال: ثم خلق الله العرش. إذًا في مخلوق قبل العرش، كل هالأحاديث التي تقول لنا: العرش أول شيء. أيش معناها؟ أولية نسبية، مثل الأولية التي هنا.

ومسألة الحوادث والتسلسل هذا سيأتي بحثها في موضوع خلق القرآن، لأن لها اتصال بمسألة الملاحدة وخلق القرآن وفناء الجنة والنار، هذه المسائل كلها على بعضها عائدة إلى أصل واحد، هذه نشرحها إذا تكلمنا على الجهمية.

وأما قوله:

{أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦] .

وقال في آية أخرى: {فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: ١١٥]

وقال في آية أخرى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: ١٤٥] .

فشكُّوا في القرآن وقالوا: إنه ينقض بعضه بعضًا.

طبعا لو كان هؤلاء كلهم مشتركون في دركة واحدة لا مشكلة.

أما قوله: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} .

يعني عذاب ذلك النار الذي هم فيه.

لأن النار أبواب ودركات، الآن قلنا {لتركبن طبق عن طبق} في يوم القيامة. {وقد خلقكم أطوارا} في خلق الإنسان. طيب في النار؟ ما الآية التي تبين لنا تنوع عذاب أهل النار بحيث أننا لا نرى شيئا متناقضا فيه؟ **{لابثين فيها أحقابا} قالوا: الحقب ثمانين سنة.** طيب ما معنى أحقابا لو كان العذاب هو هو؟ إذا كل حقب له خصائص تختلف عن خصائص

الحقب الآخر بدليل ذكر عذاب الزمهرير والنار هي نار تحرق، طيب إذا الزمهرير هذا متى يأتي؟ هذا له وقته.

وأما قوله: {فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} .
وذلك أن الله مسخهم خنازير. فعذبهم بالمسخ ما لم يعذب من سواهم من الناس، وأما قوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} لأن جهنم لها سبعة أبواب: جهنم، ولظى، الحطمة، وسقر، والسعير، والجحيم، والهاوية، وهم في أسفل درك فيها.

ولا تناقض أصلا إذا كان قوم فرعون والمنافقين كلهم مع بعض أشد العذاب، قال ادخلوهم أشد العذاب ليس معناه أن غيرهم لن يدخلها معهم. سبحان الله. ولهذا مثلا عندنا في الحديث في تارك الصلاة (فيحشر مع فرعون).

وأما قول الله تعالى:
{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ} [الغاشية: ٦] .
ثم قال: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ} [الدُّخان: ٤٣، ٤٤] فقد أخبر أن لهم طعامًا فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض.

هذه يجاب عليها بـ{لابثين فيها أحقابا}

أما قوله: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ} يقول: ليس لهم طعام في ذلك الباب إلا من ضريع، ويأكلون الزقوم في غير ذلك الباب، فذلك قوله: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ} فهذا ما شكَّت فيه الزنادقة

لماذا؟ لأنها أحقاب، وروي عن سعيد بن جبير أن الزقوم هو الضريع.

وأما قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد: ١١] .
وقال في آية أخرى: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ}[الأنعام: ٦٢] .
فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟! يخبر أنه مولى من آمن، ثم قال: {وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ}[محمد: ١١] فشكُّوا في القرآن.
أما قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} يقول: ناصر الذين آمنوا، وأن الكافرين لا ناصر لهم.
وأما قوله: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ} [الأنعام: ٦٢] لأن في الدنيا أرباب باطل. فهذا ما شكَّت فيه الزنادقة.

هذا المعنى الخاص والمعنى العام، فالله عز وجل له ربوبية عامة للخلق تشملهم في الخلق والرزق وله ربوبية خاصة لأهل الايمان، لهذا مثلا الرحمن الرحيم قالوا: ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، أما الرحيم قالوا هذه الرحمة الواصلة لأهل الإيمان {فسأكتبها للذين آمنوا}، {ورحمتي وسعت كل شيء} كل شيء. جميل، {فسأكتبها} إذًا هناك رحمة خاصة لأهل الإيمان هذا الأمر نسفه بالولاية وأيضا في المعية {وهو معكم أينما كنتم} {إنني معكما أسمع وأرى}
فالمعية تأتي بمعنى العلم وتأتي بمعنى النصر والتأييد.

وأما قوله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: ٤٢] .
وقال في آية أخرى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٥] .
فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟
أما قوله: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} يعني العادلون بالله، الذين يجعلون لله عدلا من خليقته فيعبدونه مع الله.
وأما قوله: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الحجرات: ٩] يقول: اعدلوا فيما بينكم وبين الناس، إن الله يحب الذين يعدلون.

وقال في آية أخرى: {أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}[النمل: ٦٠] يعني: يشركون، فهذا ما شكَّت فيه الزنادقة.

وهذه من ضمن الألفاظ التي نحن نسميها الأضداد في لغة العرب، أن اللفظة تأخذ المعنى وتفهم من السياق وضده مثل لفظة {عسعس} معناها: أقبل وأدبر. مثل {القرء} تأتي على الأطهار وتأتي على الحيض. هذا من ضمن اتساع كلام العرب ويفهم في السياق، وقلنا لكم في الدرس الماضي الشعوبية تشككوا في أمر الأضداد وقالوا أن هذا مشكل في لغة العرب. وليس كذلك بل هذا من جمالية اللغة لأن الكلمة دائما تفهم في سياقها.

وأما قوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[التوبة: ٧١] .
وقال في آية أخرى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال: ٧٢] وكأن هذا عند من لا يعرف معناه ينقض بعضه بعضًا.
هذا أيضا من باب الولاية العامة والولاية الخاصة، االنبي صلى الله عليه وسلم مثلا قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا كذا.. وحق المسلم على المسلم كذا وكذا وذكر أمورا. طيب المسلم إذا ابتدع؟ تسقط بعض حقوقه وتبقى حقوق أخرى، فالموالاة أنواع، فالولاية تزيد وتنقص بحسب قرب الإنسان منك وبعده، فالآية هذه الذين آمنوا ولم يهاجروا، معناه أنه ليس لهم الولاية الكاملة، وهذه آية منسوخة أصلا كان الإنسان قريبه إذا لم يهاجر لا يكون بينهم توارث، فنسخ هذا الحكم.

أما قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} يعني من الميراث، وذلك أن الله –عز وجل– حكم على المؤمنين لما هاجروا إلى المدينة أن لا يتوارثوا إلا بالهجرة، فإن مات رجل بمكة له ولي مهاجر مع النبي –صلى الله عليه وسلم– كان لا يرثه المهاجر، فذلك قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} من الميراث {حَتَّى يُهَاجِرُوا} فلما كثر المهاجرون رد الله ذلك

الميراث على الأولياء هاجروا أو لم يهاجروا، وذلك قوله: {وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ}[الأحزاب: ٦] .
وأما قوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} يعني في الدين، والمؤمن يتولى المؤمن في دينه.

هذه الآية وإن نسخت في حكمها إلا أنه يستفاد منها معنى عام، أنت كل المسلمين تواليهم، لا مشكلة. لكن لا توالي المسلم الصالح كما توالي الفاسد، لا توالي السني كما توالي المبتدع، كلهم لهم حق ولاية

ولهذا مثلا تجد الحديث على عدم الصلاة على المبتدع مثلا أو عدم الصلاة خلفه أو مشروعية هجره هذا نوع من سقوط ولايته كما في الآية ويبقى قدر آخر من الولاية أن تترحم عليه في سرك أن تنصره على الكافر أن تنصحه.. إلى آخره. فهذا تفسير ما شكت به الزنادقة.

وأما قوله لإبليس: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر: ٤٢] .
وقال موسى حين قتل النفس: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}[القصص: ١٥] .
فشكُّوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.
أما قوله: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} يقول: عبادي الذين استخلصهم الله لدينه ليس لإبليس عليهم سلطان، أن يضلهم في دينهم أو في عبادة ربهم، ولكنه يصيب منهم من قِبَلِ الذنوب،

بل الآية تقول: {إلا من اتبعك} يعني لها تتمة.

فأما في الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم؛ لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه. وأما قوله موسى: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} يعني: من تزيين الشيطان، كما زين ليوسف ولآدم وحواء، وهم عباد الرحمن المخلصون. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

طيب أحيانا ينفى الشيء في النصوص ويراد نفي أنه علة تامة، يعني أنه يؤثر بشكل مطلق، مثل: (أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته.

وفي الاية {ادخلوا الجنة بما عملتم} هل يوجد تناقض؟ لا، العمل سبب ولكنه ليس هو العلة التامة، فهو متوقف على مشيئة الله عز وجل.

كما تجد مثلا: يقول لك التدخين سبب رئيسي للسرطان.

هل كل من دخّن سرطن؟ لا.

لكن غالب من سرطن بسبب التدخين. لماذا؟ لأن هناك اسباب أخرى عوامل أخرى والأمر بمشيئة الله عز وجل، هذا أيضا مثل خبر (لا عدوى ولا طيرة) وخبر آخر (لا يدخل ممرض على مصح) فيثبت مطلق التأثير لا التأثير المطلق يعني أن الشيء نعم يؤثر ولكنه لا يأتي بأثره التام إلا باذن الله، وهذا مثل الشفاعة لأن يوجد موانع ممكن تمنع تأثيره، ويوجد عوامل ممكن تقوي تأثيره. هذي بيد من؟ بيد الله عز وجل.

فهو الشيطان ليس له على عباد الله عز وجل سلطان، لماذا؟ لأنه هو يوسوس فقط إلا من أسلم نفسه للشيطان ولو لحظة، فهو يوسوس لكن بإذن الله إن شاء الله أسلمك وإن شاء الله عصمك، يعني أنت سلطانك ليس مطلق إلا بما يعني الله عز وجل يأذن به.

يعني مثلا أنا الآن ادفعك أنت ممكن تسقط بسبب دفعتي، لكن هذه الدفعة ممكن يأتي انسان خلفك ويسندك، فدفعتي لا تستطيع أن تسقطك، ليس معناه أن دفعتي لا تؤثر بل هي تؤثر، لكن هنا قام مانع منعها من التأثير، وأحيانا دفعتي قد تسقطك وتذهب بك بعيداً بسبب ريح ساعدت دفعتي فليس معناه أن دفعتي في نفسها تسبب كل هذا التسبيب ولكن أعانها شيء آخر.

طبعا الإمام أحمد يتحدث عن يوسف وآدم وحواء **فإذاً الإمام يشير إلى مذهب أهل السنة بذنوب الأنبياء**، أن الانبياء تقع منهم الذنوب ولكن لا يقرون عليها ويتوبون. وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: أن ذكر ذنوب الانبياء له علة له سبب لكي يكون لنا عبرة ولأن الله عز وجل يحب التوابين ويحب المتطهرين وما كان ليترك انبياءه من هذا المقام، لكن الذنوب التي تقع منهم صغائر وليست كبائر (أخشيت أن يحيف عليك الله ورسوله) (ويحك من يعدل إن لم أعدل) فعُلم أن هذه الكبائر ممتنعة عليهم، لكن الصغائر نعم تصدر.

وكان السلف يقولون: كانت خطيئة داوود النظر. وهذا خلاف مذهب الأشعرية ونحن واجبنا المرة هذه يتعلق بمسألة ذنوب الأنبياء، وفيه كلام للطبري جميل جداً في تفسير سورة يوسف على لماذا يذكر الله لنا ذنوب الأنبياء؟

وأما قول الله للكفار:{الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}[الجاثية: ٣٤] .

وقال في آية أخرى: {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى}[طه: ٥٢] .

فشكُّوا في القرآن.

أما قوله: {الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} يقول: نتركم في النار {كَمَا نَسِيتُمْ} كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا

{فنسي آدم} هذه لفظة نسي تحتمل معنى الترك وتحتوي المعنى النسيان بمعنى فقدان الذاكرة، فنسي آدم لو كان آدم نسي بمعنى أنه غفل لا يؤخذ الله بالنسيان. معناه ترك.

{كما نسيتم} كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا. {وما كان ربك نسيا}.

وأما قوله: {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى} يقول: لا يذهب من حفظه ولا ينساه.

وأما قوله: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا} [طه: ١٢٤، ١٢٥] .

وقال في الآية الأخرى: {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: ٢٢].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟ فيقول:إنه أعمى، ويقول: {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} فشكُّوا في القرآن.

أما قوله: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤] عن حجته، وقال: {رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى} عن حجتي {وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا} بها مخاصمًا بها، فذلك قوله:{فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ} [القصص: ٦٦] .

يقول: الحجج {فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص: ٦٦] ، وأما قوله: {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} .

وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره، شخص بصره، ولا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فذلك قوله: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: ٢٢].

يقول: غطاء الآخرة. فبصرك يحد النظر، لا يطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.

وأيضا {لتركبن طبقا عن طبق} تحمل على عدد الأحوال، الآن على آية المعية:

وأما قوله لموسى:{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦] وقوله في موضع آخر: {إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ} [الشعراء: ١٥] وقالوا: كيف قال: {إِنَّنِي مَعَكُمَا} وقال في آية أخرى: {إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ} فشكوا في القرآن من أجل ذلك

أما قوله: {إِنَّا مَعَكُمْ} فهذا في مجاز اللغة،

طبعا هنا أحمد لا يستخدم المجاز بالمصطلح الكلامي، لا هو يقول مجاز يعني ما يجوز في اللغة، يعني الكلمة تشمل عدة معاني.

يقول الرجل للرجل: إنا سنجري عليك رزقًا، إنا سنفعل بك كذا.

وأما قوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} فهو جائز في اللغة، يقول الرجل الواحد للرجل: سأجري عليك رزقاً، أو سأفعل بك خيرًا.

هذا تذكير{إنني معكما أسمع وأرى} هما مؤمنان بذلك، ولكن يخبرهم الله بذلك حتى لا يخشيا من فرعون.

وعلى **مسألة المجاز** نشرحها شرحا سريعا، علماء الأصول يعرفون المجاز تعريفين، التعريف الأول: يقولون استخدام اللفظ في غير ما وضع له.
وهذا تعريف منتقد؛ إذا قلنا أن اللغة الهام فالله عز وجل الهم الكلام لآدم أصلا فمن أين نعرف أن كلمة أسد وضعها الأول للحيوان ثم صارت للرجل الشجاع؟ ربما العكس. فمن أين نعرف أن هذا الوضع الأول وهذا الوضع الثاني.

هناك تعريف آخر: يقولون صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة اقترنت. وهذا أيضا منتقد لأن اللفظ لا يأتي لوحده وإنما اللفظ دائما يأتي ضمن جملة، وضمن الجملة يكون له ظاهر، والآن تلاحظون أن **عامة شبهات الزنادقة جاءت من هذا المعنى، أنهم يجردون اللفظة من سياقها.**
مثلا أنا اقول لك: اليوم رأيت أسدا يقاتل الكفار. فأنت تعرف أن أسد هنا الرجل الشجاع. "رأيت أسد يفترس غزالا".. لا تأتي الكلمة هكذا لوحدها، وهذا له منشأ في عقيدتهم في الله عزوجل هذا التعريف، ذلك أن اليونان يعتقدون أن الله عزوجل –أفلاطون بالذات وهذه عقيدة جهم التي سيأتي عليها الكلام في المجلس القادم– يعتقدون أن الله عزوجل ذات مجردة عن الصفات وأنه يمكن أن يوجد موجود مطلق بشرط الإطلاق.

يعني موجود بلا صفات، وهذا شيء فقط يوصف بالذهن ولا يمكن، يعني مجرد أن تقول هو خالق ظهرت له صفة، هو مخلوق ظهرت الصفة ومعها صفات أخرى، "موجود" هذه صفة ثانية، هم يقولون: الله فقط، ولهذا يقولون: لا يسمى أو العلة التامة أو الإله الذي لا يسمى كما في البرديات الفرعونية الذين هم متأثرين باليونان.

فهم تصوروا وجود أشياء مجردة يقولون مجردة، يعني لا تتصف بأي صفة، فالتجريد هذا صار معهم في عموم سياقتهم الفكرية، فحتى لما بحثوا في كلام العرب ادخلوا هذا الأمر فدخلت معهم قصة تعريف المجاز، حتى ابن تيمية يعني يقول ظنهم وجود إيمان بلا عمل وبلا قول غريب، أين الإيمان؟! قال وعقيدتهم في الله مثلا أنه لا داخل العالم ولا خارجه أيضا هذا لا وجود له، وقولهم بوجود كلام لا حرف ولا صوت هذا ليس كلاما إذا تجرد من الحرف والصوت ليس كلاما، وكذلك أيضا بارك الله فيكم دعوى وجود كلمة مجردة عن السياق، حتى بحثهم مثلا يقول خبر الآحاد يفيد الظن أو يفيد اليقين، هو أصلا ما فيه خبر آحاد ما فيه حديث إلا ويوجد في الشريعة ما يشهد له من القرائن يمينا وشمالا أو ما يدفعه، لا توجد أخبار هكذا مجردة، فالشريعة وحدة واحدة، الكتاب كامل جملة واحدة، حتى إذا قرأت العلماء، اليوم حتى كثير من الشباب من أكثر اشكالاتهم أنهم إذا جاءوا مثلا يقرأون كلام العالم خصوصا لابن تيمية، يقرأ لابن تيمية يقرأ جملة فقط ولا يفهم سياق الرجل كلامه كاملا، فهذه الجملة ممكن تجد فيها إشكال، لكن إذا قرأت سياق الكلام يذهب الإشكال كله.

هكذا تلاحظون أن الزنادقة لما كانت عقيدتهم في الله عز وجل فاسدة -وسيأتي الكلام على الجهمية-، طريقتهم في إلقاء الشبهات غريبة جداً أنه كل آية ما ينظر في السياق نهائيا، مباشرة ينظر في كلمة وينظر هنا في كلمة ويقول خلاص.

مع أنه لو ينظر في السياق {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا} لها تتمه! هو وقف عند هذه، ثم قال هذه من عمل الشيطان مع ما عندهم ما تحامل. فالمجاز حقيقة من نفى وجوده كان بصيرا أن اللفظة دائما تأتي في سياق عام.

قال الإمام أحمد رحمه الله: وكذلك الجهم وشيعته، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم.

نأتي إلى آخر آية،

فذلك قوله: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا}[السجدة: ١٢] الآية.

فإذا أذن لهم في الكلام فتكلموا واختصموا،

هذه كأنها تتمة لجواب شبهة سابقة كما قلت لكم {لتركبن طبقا عن طبق} الآية هذه تبين.

فذلك قوله:{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك.

{لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} أي: عندي: {وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} [ق: ٢٨] فإن العذاب مع هذا القول كائن.

وأما قوله: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء: ٩٧] .

وقال في آية أخرى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} [الأعراف: ٥٠]

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟

{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} .

ثم يقول في موضع آخر: إنه ينادي بعضهم بعضًا؟ فشكوا في القرآن من أجل تلك.

أما تفسير: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ}[الأعراف: ٤٤] {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}.

فإنهم أول ما يدخلون النار يكلم بعضهم بعضًا،وينادون: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧] .

ويقول: {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} [إبراهيم: ٤٤] و {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون: ١٠٦] فهم يتكلمون حتى قال لهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ}[المؤمنون: ١٠٨] .

فصاروا عميًا وبكمًا وصمًّا، وينقطع الكلام ويبقى الزفير والشهيق.

فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة من قول الله.

لا إله إلا الله، ثم بعد ذلك يأتي الكلام على الجهمية نكون هنا قد وقفنا هذا منتهى هذا المجلس بارك الله فيكم.

المجلس الثالث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:
هذا هو المجلس الثالث للتعليق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

اليوم الدرس في البداية مع **موضوع الجهمية**، وفي التعليق على مسألة مناظرة الجهم للسُّمنية، وقبل الشروع أود أن أنبه الشباب على أن **هذا الدرس من أهم الدروس** والذي حصل مع الجهم بن صفوان هذا يا أخوة يتكرر كثيرا هذه الأيام، يتكرر بشكل كبير جدا مع من يخاطب الملاحدة وكثيرون يظنون أن الطريقة التي انتهجها الجهم أو ما قاربها هي الطريقة الأنسب لمناظرة أهل الإلحاد وفي الواقع هي نصرة للإلحاد من حيث لا يشعرون، أرجو أن تصبروا معنا هذا الدرس سيكون فيه بعض الأمور المستصعبة ولكني سأشرحها بشكل ميسر وأعيد وأزيد فيها حتى تنتبهوا وحتى تستفيدوا، فاصبروا فإن خلاصة الكتاب مادة الكتاب في هذا الدرس وفي هذا ستتضح لكم الكثير جدا من الأمور التي ستسهل عليكم الأبحاث العقدية وتزيل لكم الفصام الذي يراه الكثير من الناس بين تعلم العلم الشرعي والرد على أهل الإلحاد وأهل الباطل أو الرد على أهل الإلحاد وأهل البدع، فيرون أن هذين البابين مختلفان والأمر ليس كذلك بل هما باب واحد ولا إله إلا الله.

يقول الإمام أحمد رحمه الله:

وكان الجهم وشيعته كذلك، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا. فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدوّ الله: أنه كان من أهل خرسان، من أهل ترمذ،

هذه من أهل خرسان من أهل ترمذ، مقاتل بن سليمان لعلكم تعرفون أنه هو خرساني

وكان صاحب خصومات وكلام،

ركزوا على هذه الجهم بن صفوان كان رجلا يجادل كثيرا يناظر كثيرا بدون علم، وهذه مسألة مهمة وينبغي أن يعلمها اليوم حتى الشباب الذين يطلبون العلم الشرعي فإن كثيرا جدا من الشباب يتعلم شيئا يسيرا في دورة كهذه أو يسمع كلاما من أي شيخ، فيأخذه عنوانا جدليا ويذهب يجادل الناس فيه فقط، هذا خطأ هذه ليست طريقة أهل العلم الربانيين، ويمتحن الناس حتى من لا يفهم من لا يعرف لا يأخذ معه واحدة واحدة،

وكان أكثر كلامه في الله تعالى،

يعني في أسماء الله وصفاته على جهل، **ثبت عن محمد بن الحنفية رحمه الله في الطبقات لابن سعد أنه قال: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم.**

يعني خصومة أهل الملة أهل الإسلام يختلفون في أسماء الله وصفاته، وقد تأخر الخلاف في أسماء الله وصفاته، فوقع الخلاف في التفضيل بين الصحابة في الإيمان مع المرجئة مع الخوارج مع كذا..

يقول: فلقي أناسًا من المشركين يقال لهم السُّمنية، فعرفوا الجهم،

-يعني عرفوه رجلا مجادلا قالوا نجادله-

فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان من مما كلموا به الجهم أن قالوا له: "ألست تزعم أن لك إلَهًا؟

قال الجهم: نعم.

فقالوا له: فهل رأيت إلهك!.

قال: لا.

قالوا: فهل سمعت كلامه؟

قال: لا.

قالوا: فشممت له رائحة؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له حسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له مجسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فما يدريك أنه إله؟

قال: فتحير الجهم فلم يدرِ من يعبد أربعين يومًا.

وهذا ثابت عن ابن شوذب أنه قال: ترك الجهم الصلاة أربعين يوما على جهة الشك.

يقول: ثم انه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى.

الجهم لما جاء يرد على هؤلاء الملاحدة رد عليهم بمنهج النصارى الزنادقة لا النصارى الذين أخذوا أصل دينهم وهذا اليوم يتكرروسنعطيكم أمثلته، وقول الإمام أحمد زنادقة النصارى دقيق، لأنها فلسفة مأخوذة عن اليونان، وسنشرحها لكم إن شاء الله.

استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني:

ألست تزعم أن فيك روحًا؟

قال: نعم.

فقال: هل رأيت روحك؟

قال: لا.

قال: فسمعت كلامه؟

قال: لا.

قال: فوجدت له حسًّا؟

قال: لا.

قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان. ووجد ثلاث آيات من المتشابه:

وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] . {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ} [الأنعام: ٣] .

{لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}[الأنعام: ١٠٣].

نقف هنا مع هذه القصة ذات العبرة العظيمة جدا جدا جدا، بارك الله فيكم.

ما قصة السُّمنية؟ ما مذهبهم؟

هذه أول نقطة نقف عندها اليوم، ستجد في عموم كتب أهل الكلام يقولون أن السمنية هؤلاء أناس لا يؤمنون إلا بالمحسوس.

تعرفون هذا مثل الملاحدة الذين يقولون كان رأيت ربك؟

يقول شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية أن هذا ليس صحيحا وأنه ما يوجد إنسان يقول أنا لا أقر إلا بما فيه حس، فلابد أن يستدل بالقياس العقلي، ولولا هذا ما كان الجهم ليتكلم معهم أصلا، ما كان ليدور حوار معهم، يا أخوة أي حوار بين اثنين دليل على وجود أمور يستدل عليها بالعقل، لهذا أنا أتكلم معك، لست أنا أخذك وأقول لك تعال انظر تعال اسمع أليس كذلك؟ فأي نقاش بيننا معناه حوار عقلي، **ومعناه أن فيه بديهيات عقلية ننطلق منها.**

أنا الآن حين أريد أن أعلمك الرياضيات أو أريد أن ادرسك العقيدة، كيف ستفهمني إن لم يكن بيني وبينك ثوابت؟ هذه الثوابت أنا أبني عليها، أليس كذلك؟ لو أردت أن أعلمك الرياضيات لو كانت الرياضيات تبنى على نفسها فأنت عالم بالرياضيات قبل أن تتعلمها، يعني سأقول لك أنت تعرف أن واحد زائد واحد يساوي اثنين وأنت تعرف أن كذا وكذا..

إذًا ما الذي أعلمك؟ أليس كذلك؟ وإن بنيت لك الرياضيات على علم آخر، فأنا أحتاج أن أعلمك هذا العلم الآخر، وإن بنيت العلم الآخر على علم آخر أنا محتاج أن أعلمك العلم الآخر، أليس كذلك؟ فلابد أن تكون هناك بديهيات موجودة فيك مغروسة فيك، فطرة فيك أنت من البداية فمن خلالها أستطيع أن أخذ وأعطي معك وأعلمك الأشياء الأخرى أليس كذلك؟

فلهذا يقول شيخ الإسلام: أن هؤلاء السمنية ما دخلوا في مناظرة إلا وهم يقرون بشيء من القياس العقلي، لهذا الجهم استدل عليهم لكنهم أرادوا المماحكة.

يقول ابن تيمية وهو يعلق على هذه المناظرة في بيان تلبيس الجهمية: فلو لم يكونوا يقرون بشيء من القياس العقلي لما سمعوا مثل هذا الكلام، ولا أمكن مخاطبتهم به كما لا يمكن أن يحتج بقول الأنبياء على كذبهم، ولا يقال هو أقام عليهم الحجة ببيان وجود موجود غير محسوس ثم قاس عليه لأن لو كان من أصلهم أن لا يقبلون القياس في المحسوس لكانوا لا يقبلونه فيما لزمهم به من غير المحسوس.

فهم واضح أنهم يقبلون وهذا كل البشر يقبلون هذه الأقيسة وكل الناس يستدلون، وضرب مثال شيخ الإسلام ابن تيمية قال: أنت تعلم أن أجدادك وجدوا وماتوا، هل رأيتهم؟ أنت تستدل على وجود أجدادك بوجودك، بوجود أبيك.

ولهذا يقول شيخ الإسلام أنه لا توجد أمة معطلة كلها أو هي ملحدة أو تنكر الضروريات كلها.

لكن هذه قصة بين السمنية والبراهمة وبين الفلاسفة المشائين والفلاسفة الطبائعين وقد أشار أحمد لهذا، وأرعي لي سمعك حتى تفهم أوجه الضلال الموجودة بين الناس،

في أيام اليونان كان هناك **طبائعيين** هؤلاء الفلاسفة عندهم الطبيعة هي الإله أنه ما يُرى ما يُحس، فالله عز وجل عندهم معنى في أذهانهم، يعني عندهم هو هذا الموجودات.

وهناك فئة يقال لهم الفلاسفة **المثالية او المشائية**، هؤلاء المشائون ما الذي قالوه لهم؟ قالوا لهم: الإله ليس هو هذه الطبيعة ولا هو شيء له أي خاصية من خصائص الطبيعة، لا يشترك مع الطبيعة بأي صفة.

قالوا: إذًا ما إلهكم؟

قالوا: إلهنا معنى في أذهاننا مطلق بشرط الإطلاق، شيء لا يشترك مع شيء -كما سيأتي الكلام عن الجهمية- بأي معنى.

طيب يقال لهم: ألسنا نحن موجودون؟ ثم إلهنا موجود.

فيقولون: لا هذا مجرد اشتراك لفظي.

ما معنى اشتراك لفظي؟ عندنا شيء اسمه اشتراك لفظي وشيء اسمه اشتراك معنوي.

لا بأس هذه الأمور تفهمونها هي لها حضور في النصوص،

الاشتراك اللفظي أن تقول المشتري المبتاع، أنا الآن اشتريت شيئا اسمي مشتري، والمشتري الكوكب: اشتراك لفظي فقط، ولكن المعاني متفاوتة أشد التفاوت.

أما الاشتراك المعنوي حين أقول نور الشمعة ونور الشمس، المعاني متفاوتة لكن بينهما قدر مشترك.

طيب صفاتنا وصفات الله اشتراك لفظي أو اشتراك معنوي؟

-اشتراك معنوي.

ما الدليل على هذا؟

-الدليل: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) (أن الله أنزل رحمة..) (إن الله جميل يحب الجمال) إن الله (عفو يحب العفو)

والوجود اشتراك معنوي، بدليل أننا نقسمه نقول قديم الوجود أو أول لا بداية له وحادث الوجود، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم تلى الآية: **{سميعا بصيرا}** أشار إلى سمعه وأشار إلى بصره. قال أبو داوود: في هذا الحديث رد على الجهمية.

يعني لأن فيه اثبات الاشتراك المعنوي.

بل هذا الموجود الذي لا يشترك مع أي موجود آخر بأي معنى هذا هو العدم، ولولا هذا لم نكن لنفهم صفات الله عز وجل.

الآن الصحابي حين يسأل النبي صلى الله عليه وسلم. يقول له: أويضحك ربنا؟ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: نعم. قال: لن نعدم الخير من رب يضحك.

هو يعرف معنى الضحك، هل هذا يقتضي التشبيه؟ لا، لا يقتضي التشبيه، بل عكسه يقتضي تشبيه الله بالعدم، بل هذا معناه أن الله متصف على أكمل ما يكون.

وهنا نشرح لكم قصة، الموجودات بحسب الصفات تنقسم إلى قابل وغير قابل، فالجماد مثلا لا يقبل مجموعة من الصفات، والحيوان يقبلها والحيوان والانسان أكمل من الجماد ثم الحيوان والإنسان قد يتصف بها وقد لا يتصف، فنحن نرى إنسان أخرس وإنسان أعمى وإنسان بصير وإنسان متكلم، ثم المتصف يتصف به على درجات فنرى إنسان أبصر من إنسان، وانسان أسمع من انسان **لكن الله عز وجل هو الذي يتصف بالصفات على أكمل ما يكون وهو واهب الكمال وهو أولى به.**

أما العدم فهو غير القابل، إذا أردت أن أعرف لك العدم ما الذي أقوله لك؟

أقول لك: العدم هو ما لا داخل عالم ولا خارجه، لا يقبل بصر ولا عمى، ولا سمع ولا صمم، ولا حركة ولا سكون ولا كذا ولا كذا. ستقول لي: هذا ليس موجودا.

فهؤلاء الفلاسفة اختلفوا على مذهبين وكلاهما إلحاد، النصارى تأثروا بهذه الفلسفة، فأيضا جمعوا بين النقيضين، وقالوا أن الله عز وجل له روح قدس وله كذا وله الذات الآب، فيقول كثير منهم: الآب هو في كل مكان، وبعضهم يقول لا، هو ما له كذا ما له كذا. ويخلطون فيجعلونه خالقا ومخلوقا في آن واحد. ودعنا منهم.

لكن ما قصة السمنية هؤلاء؟ **السمنية هؤلاء هم ورثة الفلاسفة الطبائعيين**، فصار مذهبهم مثل مذهب الطبائعيين أو قريب منهم، فيعبدون الأوثان يقولون هذا إلهنا، كفار قريش يؤمنون بالله ويعبدون أوثانا.

قابلهم من؟ **قابلهم من تأثر بهم الجهم: البراهمة.**

البراهمة هؤلاء مثل الفلاسفة المثاليين، يقولون نؤمن بإله لكن هذا الإله هم والصابئة يصفونه بصفات العدم، حتى يهربوا من التشبيه يصفون الله عز وجل بصفات العدم.

وعندهم حاجة يسمونها الكائنات المجردة، يعني لا يقيدها أي وصف، وهذا يسمونه عالم المثُل الذي هو الله عز وجل لا داخل عالم ولا خارجه، ومنها أيضا الروح عندهم وعند الجهم، فيقول: لا تجوز عليها رؤية ولا سماع ولا كذا لا ترى ولا تسمع.

نحن عندنا في النصوص أن الملائكة تقبض الروح وتضعها في كفن وتحنطها بحنوط، والنبي لما أسري به رأى الأرواح فالأرواح ترى وتسمع وتمس،

وأيضا منها مسألة الأخلاق عند كانط وغيره، فهذا يقول لك الأخلاق مطلقة، القيم مطلقة لا تتقيد بزمان ولا مكان.

نحن عندنا مثلا الحديث أنه لا يحل الكذب إلا في أحدى ثلاثة، في أحدى ثلاث الكذب يصير جيدا: الإصلاح بين اثنين.. كذب الرجل على امرأته... بالسياق.

عندنا الشدة مذمومة لكنها في عقوبة أهل الباطل حسنة لأن يترتب عليها خير.

الصدق محمود لكن لو كنت رأيت رجلا يزني بامرأة وليس معك شهود؟ هنا الكتمان محمود.

إذًا المسألة بحسب السياق.

كانط فهم الأخلاق كما يُفهم الله عند هؤلاء، قال: أنا الأخلاق عندي مجردة من الزمان والمكان. ولهذا الليبراليون تجد غالبهم يقولون لك: لماذا قطع يد السارق؟

هو ينسى أنه سارق، وأن قطع يده يعني حماية اموال الناس، يخرجها من السياق.

يذم العنف مطلقا، يقول لك لماذا الإعدام؟ هكذا. هذه مبالغة في التنزيه، تؤدي إلى التعطيل.

لما سئل جهم لما قيل له هل رأيت الهك؟ هل سمعت كلامه؟ طيب ما الجواب الصحيح على مثل هذا؟ وأين الخطأ في جواب الجهم؟ الآن لو يأتيك إنسان يقول لك مثل كلام السمنية هؤلاء؟ أجبنا قبل قليل يقال له: رأيت جدك؟ رأيت جد جدك؟ أنت تستدل بوجودك، **البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، كثير من الناس يسخر من هذه الحجة، والواقع أن هذه من أعمق الحجج وأقواها**، ولكي نقرب لكم الأمر، قول الله عز وجل: **﴿أَم خُلِقوا مِن غَيرِ شَيءٍ أَم هُمُ الخالِقونَ ۝ أَم خَلَقُوا السَّماواتِ وَالأَرضَ بَل لا يوقِنونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]**

هذه أحيانا يستدل عليها بحاجة يسمونها امتناع تسلسل المؤثرات أو امتناع تسلسل الفاعلين أو امتناع تسلسل الأعيان، ما معنى هذا؟

أشرحها لكم بعدة أمثله، ولا تحتاج أن تثبت حدوث العالم، لا لا.

بعض الامثلة وهي من: {أَم خُلِقوا مِن غَيرِ شَيءٍ أَم هُمُ الخالِقونَ}

أنت ولدك أبوك، أنت إذا الآن وجدت طفلا في الشارع،

هذا الطفل دليل على وجود الله مجرد ما تراه. كيف هذا؟

مع أن المسألة فطرية وبديهية تأتي تقول هذا الطفل لا يمكن أن يكون ولد نفسه،

لأن العدم لا يفعل لأن الفعل من لوازم الوجود، هذه بديهية، هذه الاية {أم خلقوا من غير شيء}، وتقول الطفل هذا لم يلد نفسه فلابد له من والد ولده، نأتي بعدها نقول ووالد هذا الطفل هل له بداية؟ أم لا بداية له؟ إن قلت: له بداية لا شك، بشر وجد بعد أن لم يكن، كان على حالة معينة كان نطفة مضغة ترابا كان كذا ثم صار بشرا، فله عمر له بداية وله نهاية.

فنسأل نقول هو أوجد نفسه؟ يستحيل لأنه لم يكن موجودا. أوجده العدم؟ لا. نبقى نستمر نمشي نتسلسل نتسلسل نتسلسل حتى نصل لله عز وجل الذي لم يلد ولم يولد، طيب تقول لماذا لا بد أن نصل للذي لم يلد ولم يولد؟ نقول لأننا إذا نصل لهذا فلا يمكن أن يكون المولود موجودا.

إذا ولادتك مترتبة على ولادة إنسان قبلك والذي قبلك مترتب على إنسان قبله والذي قبله مترتب على الذي قبله والذي قبله ... لابد أن تقف السلسلة عند واحد وإلا أنت لن تكون موجودا.

يضربون لها مثالا آخر، أنا لو أردت أن أستدين منك مالا، فجئت لأبا المنذر وقلت له: اعطني مالا فقال أبو المنذر: حتى استأذن أحمد. فذهبنا واستأذنا أحمد، فقال أحمد: حتى استأذن فلان. وفلان قال: حتى استأذن فلان وفلان قال: حتى... إذا استمرت السلسلة هل يمكن أن أقبض المال؟ يستحيل، فإذا فجأة أبو المنذر جاءني وأعطاني المال، نعرف أننا وصلنا إلى إنسان لا يحتاج أن يستأذن أحدا وأعطى الاذن للناس والبقية أذنوا هذا هو الأول.

هذه اضربها بكل الأمثلة، **هذه يسمونها امتناع تسلسل المؤثرات امتناع تسلسل الفاعلين.**

هذا النوع من الدليل يقول به الكثير من الناس لكن لا يعرفون لوازمه.

احفظها هكذا امتناع تسلسل الفاعلين. احفظها الفاعلين.

طيب هذا الفاعل ما الذي وجدناه فيه؟ هذا الفاعل وجدناه أنه أول لا بداية له، لأنه لو كان له بداية لأحتجنا أن نسأل من أين جاء؟

لهذا سؤال من خلق الله سؤال فاسد؛ لأنه يسأل ما أول من لا أول له؟ سؤال سفسطائي.

السؤال الآن: هذا الأول الذي لا بداية له، هذه أول صفة وجدناها في الخالق في الموجد، أحد صمد غير مفتقر لخلقه ويفعل شاء متى شاء.

هذا يترتب عليه جواز تسلسل الأفعال وجواز تسلسل المفعولات، يعني الآن لو سألتك نحن كوننا هذا خلقه إله؟ تقول: بلى عرفنا استدللنا على ذلك.

طيب هذا الإله هل يجوز أن يخلق كونا قبل كوننا بألف عام مثلا؟ فتقول لي: نعم.

أقول لك: لماذا؟ تقول: لأننا نحن نعتقد أنه أول لا بداية له ونعتقد أنه يفعل ما شاء متى شاء، فالقدرة موجودة والزمن موجود. فأنتهى الأمر إذًا ممكن.

أقول لك طيب هل يمكن أن يخلق عالما قبل هذا العالم بألف؟ ستقول لي: نعم بلى. أقول لك هل وهل .. ممكن نتوقف؟ ممكن نأتي عند حد نقول الإله توقف؟ لا يمكن. يستحيل. لماذا؟ لأنه دائما فيه زمن وفيه قدرة.

هذا الكلام يكفر به كل أهل الكلام كلهم يعتقدون أن الله عز وجل بدأ خلقه عند وقت معين، فلهذا قال ابن تيمية: وقيدوا قدرته.

فلهذا شيخ الإسلام يقول: كلامهم حقيقته الإلحاد.

فالآن المسألة الأولى عرفنا لماذا الجهم بن صفوان أعتقد أن الله عز وجل ليس فوق عرشه وليس في العلو لأنه تأثر باعتقاد البراهمة الذي جعل الله وجوده فقط في الذهن لا وجود حقيقي له في الخارج، ولماذا فرض أن الله لا يتكلم؟ **لأنه خلط بين التسلسل الجائز الذي هو تسلسل الأفعال والمفعولات، وبين التسلسل الممتنع الذي هو تسلسل الفاعلين.**

كيف هذا؟ قالوا: إذا قلنا أن الله يفعل ما شاء متى شاء فعلا قائما بذاته وهو أول لا بداية له إذًا سنقول الله دائما يفعل، وإذًا قلنا الله دائما يفعل هذا يعني أن الله –سبحانه وتعالى– حادث.

عندهم شبهة يقولون: ما حلت به الحوادث لم يخلوا منها، وما لم يخلوا منها فهو حادث.

أيش معنى هذا الشبهة؟ يقول لك: أنتم قلتم الله هو الأول يعني لا بداية له، طيب كيف تقوم به أفعال لها بداية؟ نقول: لأنه يفعل ما شاء متى شاء. قال: لكن لازم فيه فعل معه يكون

أول فعل. نقول: لا مو لازم، مثل ما نقول الله عز وجل ليس له فعل هو آخر أفعاله –الجهم قال لله فعل هو آخر أفعاله– **الله عز وجل بما أنه الأول ويفعل ما شاء متى شاء إذًا كل فعل قبله فعل قبله فعل إلى ما لا بداية، وهذا ظاهر القرآن**

{كان سميعا بصيرا} قال ابن عباس: لم يزل كذلك.

{وكان عفوا غفورا} يقول الطبري: لم يزل كذلك.

طيب يقول واحد: هذا أليس معناه أنه فيه فعل منه لازم يكون مع الله؟

لا، لأن **الجنس يختلف عن الأفراد**، أكلات أهل الجنة كل أكله لها بداية ولها نهاية، وجنس أكلات أهل الجنة لا نهاية له.

{لابثين فيها أحقابا} كل حقب له بداية وله نهاية، وجنس عقاب أهل النار لا نهاية له.

أفعال الله كل فعل لوحده له بداية وله نهاية لكن جنس أفعال الله لا بداية لها ولا نهاية. لماذا؟

لأنه ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾ [الحديد: ٣]

هو الأول لا قدرته يقيدها شيء والزمن مفتوح، لأنه هو الأول، هذا ما جهله الجهمية.

رأيتم كلام الجهم هذا؟ الأشعرية والمعتزلة وكلهم مع جهم أن الله لا يتكلم بما شاء متى شاء، وكلهم مع جهم أن الله عز وجل وجوده ذهن مثالي فقط، ويقولون نحن ننزهه عن المكان. فنقول لهم إن أردتم بالمكان فوقيته على خلقه فلا شك لأن الله عز وجل له وجود حقيقي، فلهذا دائما ماذا يقولون؟ يقولون: تجسيم تجسيم تجسيم. ما الذي يريدون بالتجسيم؟ يريدون أنه كائن مقيد بقيود كما يظنون، يعني أنه ليس مثل الكائنات المثالية التي في أذهانهم التي لا داخل العالم ولا خارجه، يعني أن الله عز وجل لا وجود حقيقي له، لهذا أنكروا رؤيته، لأن الله عندهم ليس موجودا في الحقيقة هو موجود في الذهن فقط، كل ما أثبت أن الله عز وجل له

حقيقة مثلا يَمس يُمس يُرى يُسمع له كلام إلى آخره، يقول لك: هذا تجسيم. والصفة التي وصفوا بها الله هي صفة العدم.

الآن فهمنا أمرا أن الله عز وجل دلت عليه مخلوقاته.

طيب كلام جهم في الروح مقبول عندنا؟ أن يقول هل رأيت روحك؟ نعم هو ما رأى روحه ولا سمعها كجدل ممكن يقال هذا. لكن الروح أيضا يُستدل عليها، يستدل عليها بالنصوص، يستدل عليها بالحس، الروح موجودة وموجودة بالزمان والمكان، وقلنا الملائكة تأخذها وكذا والله عز وجل نثرنا بين يديه مثل الذر، لكن الروح عند جهم وعند السمنية وعند الفلاسفة الطبائعيين وعند المثاليين وعند البراهمة: الروح هذا شيء غير مقيد لا في الزمان ولا في المكان، وكذلك يعتقدون هذه الملائكة وفي الجن، عند عدد منهم.

طيب قد يقول قائل: طيب نحن الآن فعلا لا نرى الله ولا نرى الروح؟

أنت لا تراها لكن الملك يراها، الله يرى هذه الكائنات ولكنها ستُرى وسنراها نحن، ونحن مثلا تلتقي أرواحنا في المنام إلى آخره.

فهناك فرق بين كائن نحن لا نراه -ركز بهذه النقطة- لعجز في حواسنا أو لضعف وبين كائن لا يُرى يعني مستحيل أن يُرى.

لهذا الله عز وجل ماذا قال لموسى؟ قال له: **{لن تراني}** يعني أنت فقط الآن.. البشر، ما قال: أنا لا أُرى، عند الجهمية لا يُرى يستحيل أن يُرى لا يراه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أي أحد.

الآن الجن يرى بعضهم بعضا، نحن لا نراهم هم يرون بعضهم بعضا بعض بنو آدم قد يراهم الملائكة يرونهم، فلا يخلطون عليك بهذا الخلط.

أي شيء يستحيل أن يُرى أو يستحيل أن يراه أحد فهو عدم. بإختصار.

أي شيء لا يُسمع له كلام ولا يُرى ولا يوجد في مكان أو لا يشار إليه، هذا تعريف العدم.

ما تعريف العدم؟ هو الذي لا يشار إليه ولا يُسمع له كلام ويستحيل أن يُرى.

الآن هذا تعريف العدم. هذا تعريف الله عند هؤلاء الجهمية ومن ورثهم.

يقول الجهم: فكذلك الله لا يرى له وجه،

نفى الرؤية.

ولا يسمع له صوت،

إذا موسى ما الذي سمع؟ لهذا لما قُتل الجعد قالوا: زعم أنه لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما.

لماذا نفوا هذا؟ لأنهم عندهم هذه الشبهات الفلسفية التي أبطلناها.

ولا يُشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار،

لا غائب عن الأبصار بمعنى أننا لا نراه في الدنيا ولكن قد نراه لاحقا، لا عنده هو لا يُرى مطلقا.

يقول: ولا يكون في مكان دون مكان. ووجد ثلاث آيات من المتشابه.

الواجب اليوم كل طالب يجمع لنا ثلاثين دليلا من أدلة صفة العلو عز وجل، ثم المتشابه هذا سنتحدث عنه وعن استدلالاتهم.

لاحظوا هو بعد أن ناظر الزنادقة مناظرة لا علاقة لها بالقرآن ولا بالسنة وألف مذهب ليرد على هذه الزنادقة، أخذ كلام زنادقة ليرد على زنادقة آخرين، راح ينظر في الكتاب والسنة يبحث عما يوافق هواه، علمًا أن الجهمية لا يوجد عندهم أي دليل شرعي بخلاف الخوارج والمرجئة وغيرهم عندهم أدلة فهموها غلطا، أما هؤلاء فهم يعلمون مناقضة النصوص لقولهم.

طيب أيش علاقة هذا الكلام بفرعون؟ ترون فرعون؟ فرعون علاقته وطيدة جدا بهذا الكلام الذي نقرأه الآن في كلام الجهم بن صفوان، أيش علاقة هذا بعقائد الهنود التي نراها اليوم؟ أيش علاقة هذا ببعض الرادين على الإلحاد خصوصا الذي اسمه عمرو الشريف وحتى عدنان إبراهيم.

علاقة هذا فرعون دخلت عليه عقيدة {إنني أنا الله} من هذا التعطيل، كما نبه عليه ابن تيمية وغيره.

الله إذاً ما وجوده عند اليونان؟ الله لا وجود حقيقي له في الخارج، لا يشار إليه، هذا ضيعوه.

لهذا أشير بالقصة لما قال: ﴿وَقالَ فِرعَونُ يا هامانُ ابنِ لي صَرحًا لَعَلّي أَبلُغُ الأَسبابَ ۝ أَسبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ موسى وَإِنّي لَأَظُنُّهُ كاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]

موسى أخبره أن الله فوق العرش. قال: لا.

فالله ما هو عندهم؟ لا وجود حقيقي له، موجود في الذهن. وليس له أفعال تقوم بذاته، إذًا ما مظاهره هنا؟ مفعولاته فقط: المخلوقات. وفرعون أيش قال؟ قال: أنا أعلى المخلوقات أنا التمظهر الإلهي الأعظم أنا الله؛ لهذا أستدل قال أنا تجري الأنهار من تحتي أنا الله حقيقة.

دياك شوبرا هذا الآن يقول: اكتشفت أننا نحن آله. هذا المدرب يعلم اليوجا وكذا، لهذا موضوع اليوجا الآن الموجود هذا فلسفته من هذه الفلسفات أن الله معنى من المعاني موجود

في كل مكان –وسيأتي أنهم يقولون في كل مكان ولا يُماس شيء إذًا هم لا يثبتون وجودًا– فيقول لك: أنت لما تعمل هذه الصلاة تضبط نفسك مع هذا العالم مع هذا العقل الفعال فيصير فيك شيء من صفة الألوهية، ولهذا أيضا قالوا بالنبوة المكتسبة، عندهم يقول لك: أنا ممكن أؤمن بالنبوة، لكن النبوة لا تعني أن الله يرسل ملك والملك يكلم بني آدم لأنه أصلا الملائكة ليس لها وجود حقيقي "غير متزمنة" مثل ما يقول عدنان إبراهيم في خطبته، لا وجود لها في الزمن.

إذًا ما الملائكة حقيقةً؟ الملائكة معاني، المعاني هذه أنت تلتقطها مثل الرؤى المنامية، تكتسبها اكتسابا، هذا معنى كلمة النبوة مكتسبة.

ولهذا قالوا: الولي فوق النبي وكذا، لأن النبوة والولاية كلها أمور فيها مجاهدة يعني، ولهذا ابن عربي هذا مذهبه أن كل شيء هو الله.

ابن تيمية يقول في الرد على الشذالي: دعاني أحد هؤلاء إلى مذهبه –مذهبه أن كل شيء هو الله– فقال له رجل يهودي بعد أن أسلم يحكي لابن تيمية: جاءني واحد من جماعة ابن سبعين، فقلت له: هذه كلام فرعون الذي تقولونه الآن –لهذا قال من قال منهم بإيمان فرعون–، فقال له: نعم نحن على مذهب فرعون.

فابن تيمية علق قال: يهودي خير من فرعوني.

ولهذا بعضهم يزعم في شيخه أنه هو الله، القرامطة. الحاكم بأمر الله الذي حكم لماذا زعم أن روح الإله حلت فيه؟ نفس شبهة فرعون.

القبورية الذين يعبدون غير الله، لماذا يعبدون غير الله؟ لماذا يستغيثون بعبد القادر والرفاعي وغيره وغيره وغيره؟ لأنهم أصلا العلاقة بينهم وبين الله منقطعة، هو لا يفهم الرحمة كما ينبغي، لا يفهم المحبة، هناك من الجهمية من يقولون: الله لا يحب ولا يُحب، مثل الرازي يقول لك ما بينك وبينه مناسبة أصلا لتحبه أو يحبك، محبتك إرادتك طاعته ومحبته إرادته ثوابك فقط والعياذ بالله.

ومنهم من قال هو يُحب لكن هو لا يحب، أنت حين تعبد إلها لابد أن تحبه ويحبك، فلهذا ذهبوا وعبدوا الأوثان عبدوا المقبورين لأنه إذا قال للنبي رأفتك علينا علينا عطفك عين يحس فيها وما يحس نفسه مشبه.

هذا التعطيل أساس كل بلاء، لهذا ابن تيمية يقول: هو في الأمم أقل من الشرك بكثير.

فأنتم الآن لا تظنون أنه مثلا نقد أحمد الآن للجهم هذا منفصل عن واقعنا، لا هذا متعلق بواقعنا تعلقا شديدا جدا، مناظرة الجهم هذه عادها في كتاب اسمه رحلة عقل رجل اسمه أنتوني فلو، هذا أيش عمل؟ هذا بعد جهاد طويل اكتشف أن الله موجود ومات وهو كافر ما آمن بأي دين، هذا الرجل طار فيه الناس الذين يردون على الملاحدة عمل كتاب: هنالك آله. كان يناظر ملحد.

فهذا الكتاب ترجم للغة العربية وترجمه عمرو الشريف، وفي هذا الكتاب تقرير كلام جهم أن الله عز وجل لا يُرى ولا يُسمع له كلام، كلام جهم بالضبط، وأن هذا افضل رد على الملاحدة، حتى أن هناك رجلا فيزيائيا اسمه محمد باسل الطائي هو جهمي متعاطف مع الملاحدة يقول للناس: أنا أقدر أن الملاحدة لا يؤمنون بهذا الإله المتجسد.

يعني هو متفق معهم مثل ما أن المثاليين اتفقوا مع الطبائعيين.

قال: الله {ليس كمثله شيء}.

نعم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وعلى فكرة الجهم لا يؤمن أن الله شيء -انظر قوة تعطيله- يقول: لا يقال الله شيء. من نصر هذا؟ الرازي في تفسيره.

لهذا تجد البخاري يبوب: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾

انظر حتى هذه اللفظة لا يريدونها يهابونها يخافون منها، توحي بالتجسيم توحي بوجود حقيقي، لهذا لا تخاف من كلمة تجسيم عندهم، تجسيم عندهم يعني أنك تخرج الله عز وجل تعالى الله سبحانه يعني تخرجه في اعتقادك من حيز هذا العدم الذي هم يتحدثون عنه إلى وجود حقيقي.

وهذا هو حقيقته الكفر، ويقول ابن تيمية: أن حقيقة مذهبهم هو مذهب الملاحدة وإن تظاهروا بالرد على الملاحدة.

أنت ألاحظ تلاحظ أن جهم أعدم الإله وهو يريد أن يرد على الذين أعدموه. بالضبط. ألا تلاحظ أن الأمر عائد للفطرة؟ كل الناس فطرة تؤمن تأتي إنسان تقول له أين الله؟ يشير إلى السماء مباشرة. مؤمن بوجود الله. كل انسان حين يتحدث عن لذة النظر إلى وجه الله عز وجل يتحرك، ذكر ابو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر أن شخصا أتعبته وساوس أهل الكلام يقول وكل ما ننتهي ننتهي إلى تكافؤ ادلة، يعني لا أنا أغلبه ولا هو يغلبني يقول ولكني أجد في نفسي ضرورة شوق لله عز وجل أن أراه فأعلم أن الأمر حق وهذه فطرة.

وقلنا نحن كل علومنا عائدة للبديهيات ولولاها ما استطعنا أن نعلم بعضنا بعضا، فحتى مثلا تطّلب إيجاد الدليل على وجود الله عز وجل أمر سخيف، لأن المسألة بديهية وفطرية ولولاها ما في ثقة بأي شيء من علومنا أصلا.

الآن أنا لو أردت أن أعاندك هل أخاف من الحساب؟ لو أردت أن أعاندك أن أكذب أقول لك لست مقتنع وأنا مقتنع أو أكذب عليك لكي أقوي حجتي، ما المشكلة ما دام ما في إله ولا في حساب ولا في شيء؟ من يعاقبني لما أسفسط معك في جدل؟ أصلا اليوم العالم فرحانة بهذا الموضوع يقول لك: حرية رأي.

فلاحظ الآية **{ليس كمثله شيء}** حجة عليه لأن تتمة الآية **{وهو السميع البصير}**

ليس كمثله شيء يقرأها الجهمي: ليس شيئا. وسيأتي كلام أحمد أنه قال لهم هذا ليس شيئا.

الآية **{وهو الله في السماوات وفي الأرض}** يقول لك: انظر هو الله في السماوات والأرض.

نعم يعني هو الله في السماوات والأرض معبود مألوه، يقول لك: ما الدليل؟ أنت تصرف عن الظاهر. أقول: سبحان الله أنا لا أصرف عن الظاهر، أنا أجمع بين النصوص **عندنا مئات النصوص التي تدل أن الله عز وجل فوق وأنه ليس في كل مكان، {الرحمن على العرش استوى} {ءأمنتم من في السماء} {إليه يصعد الكلم الطيب} {تعرج الملائكة والروح إليه} {تنزيل} (ينزل ربنا) (تجلى للجبل) إذا لو كان في كل مكان يتجلى.. بل صراحة قال: أين الله؟ قالت: في السماء.**

الآن ألم يمر معنا عند ردنا على الزنادقة مثل هذه الصور من الجمع {إنك لا تهدي من أحببت} {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} فعلم أن الهداية هنا غير الهداية هنا وهكذا.

والآية أيضا التي ذكرها **{لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}** هذه فيها رد عليه، ذكرنا كلام عكرمة: أنك ترى السماء ولا تحيط بها.

لكن وهو يدرك الأبصار أثبت لنفسه صفة الادراك وهذه الصفة ثابتة لمخلوق.

ولا يقتضي ذلك المشابهة، الله عز وجل يقول: {فجعلناه سميعا بصيرا} وقال عن نفسه: سميع بصير. قال في النبي صلى الله عليه وسلم: {بالمؤمنين رؤوف رحيم} وقال عن نفسه: الرؤوف الرحيم، فترى يصف نفسه بالأمر ويصف عباده هو على ما يليق بجلاله وعباده على ما يليق بهم، ولهذا يكون الثواب بالجنس (الراحمون يرحمهم الرحمن) {يحبهم ويحبونه} هذه الفطرة.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء.

يعني على نفسه وهو حاكم الناس، يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء إلا من حكم بالعدل. وهكذا تعبدوا لله، أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قالوا له: ألا ندعو لك

الطبيب؟ قال: هو أضجعني. يعني رب العالمين هو الطبيب، من اسمائه عند جماعة من السلف وأبو عوانة ذكره في اسماء الله الحسنى في صحيحه.

لما عذبه المشركون كان يقول: سبحانك ربي ما أحلمك.

الآن صفة الحلم ألا يتصف به بعض الناس؟ لكن الله يتصف به على الكمال والله هو الذي وهبها. الآن أنت حي الله حي، لكن حياة كالحياة؟ لا.

لكن الله واحد وكلنا أزواج، الله لم يلد ولم يولد ونحن نلد ونولد، الله الصمد سبحانه وتعالى لا يأكل ولا يشرب، لا يفتقر لا يحتاج، وذُكر أن الملائكة صمد في بعض الآثار، أما نحن فنأكل ونشرب ونحتاج ونفتقر، وهذا كمال فينا لنقصنا حتى يستمر نوعنا، أما الله فلا بداية له ولا نهاية، الله عز وجل له حق علينا هذا ما لا يؤمن به العلمانيون، الله له حق علينا، نحن لنا حقوق على بعضنا البعض، لكن أنا إن انتقصت حقك ذهب شيء من دنياك، أما الله عز وجل فلا.

قال: (لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا) فالله له حقوق لكن بدون افتقار، ويثيب ويعاقب بدون افتقار، أما نحن فلنا حقوق، أبوك له حقوقا عليك لافتقاره لك، أما ما لا حق له نهائيا هذا الضعيف أو العدم، من لا يملك الثواب والعقاب للناس على حقوقه.

والله عز وجل ليس كمثله شيء، تدبر هذا المعنى تجد المسألة مستقيمة تماما، وهي الفطرة تماما.

ولعنة الله على البراهمة والسمنية والطبائعيين والمثالين والجهمية.

مهم هذا الدرس هو درس أساسي في فهم عموم العقيدة، وأظنه درس مهم.

وبقية الكتاب سنبدأ نعيد فقط بعض المضامين التي اخذناها في هذا الدرس مع إضافات يمينا وشمالا، بارك الله فيكم.

المجلس الرابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه من اهتدى بهداه، أما بعد:

هذا المجلس الرابع في التعليق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

سبحان الله بالأمس جاءني سؤال من أحد الأخوة أن شابا حصل معه مثل ما حصل مع الجهم بن صفوان شيء عجيب والله، بدأ بمناظرة الملاحدة ثم تعلم أدلة المتكلمين ثم رأى أن أدلة المتكلمين تخالف ظواهر النصوص فدخل في حيرة، فسبحان الله أرسلت له الدرس الذي سجلناه قبل يومين ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما قلت لكم في المجلس الماضي هذا الذي حصل مع الجهم يتكرر وفي وقتنا قد فشى الجهل وكثرت التشكيكات فإمكانية تكرر مثل هذا الأمر أكبر من الأزمنة الماضية، لأن **وقود هذا الأمر الجهل والتشكيكات والرغبة بالرد على أهل الباطل على جهل** فهذا الوقود متوفر بشكل كبير في زماننا لهذا وقع الاختيار على هذه الرسالة.

نقرأ كلام الإمام أحمد رحمه الله يقول بعدما ذكر الآيات التي زعم الجهم أنه يستدل بها:

فبنى أصل كلامه على هذه الآيات، وتأوَّل القرآن على غير تأويله وكذَّب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف الله شيئًا مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدَّث عنه رسوله ﷺ كان كافرًا، وكان من المشبهة.

فأضلَّ بكلامه بشرًا كثيرًا.

هنا نقف عند قوله فبنى كلام على هذه الآيات التي قرأناها في المجلس الماضي {ليس كمثله شيء} {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} {وهو الله في السماوات وفي الأرض}

يقول ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل:

وذكر أحمد أن الجهم أعتمد من القرآن على ثلاث آيات تشتبه معانيها على من لا يفهمها، آية نفي الإدراك لينفي بها الرؤية والمباينة.

وقد بينا أنه لا حجة له فهي تنفي الادراك، نفت الأعم فتثبت الأخص مطلق الرؤية، فهناك فرق بين الإدراك بمعنى الإحاطة ومجرد الرؤية، قالوا: {إنا لمدركون} وهم يرونهم، ففرق بين الأمرين.

يقول: وآية نفي المثل لينفي بها الصفات ويجعل من أثبتها مشبها.

وهذا استدلالهم إلى يومنا هذا.

وقوله: {وهو الله في السماوات وفي الأرض} لينفي بها علوه على العرش، أو ليثبت بها مع ذلك الحلول والاتحاد وعدم مباينته، وهذه أصول الجهمية.

طيب هنا ممكن نقف وقفة، الإمام أحمد سمى هذه الآيات من المتشابه ومع ذلك سيذكر لها تفسيرا، **وهذا خلاف دعوى بعض الناس أن المتشابه لا معنى له،** {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم} هناك قراءة أن الراسخين يعلمون تأويله، وعلى قراءة الوقف المراد وما يعلم تأويله يعني الكيفية أو التفاصيل أو الإحاطة أو أو.. لكن هنا سؤال ما دام الجهم استدل من القرآن لماذا يلعنه الإمام أحمد؟ لماذا يكفرونه؟ لماذا كذا؟ هو الآن رجل متأول يستدل من القرآن، نعم هو أخذ عقيدة إلحادية وحاول أن يستدل عليها من القرآن وهو في

حقيقة أمره منافق يستدل بالكتاب كما في أثر عمر: وجدال المنافقين بالكتاب. بل الآية {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منهم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله}

لكن ألا يدرأ هذا عنه التكفير يدرأ عنه التضليل يدرأ عنه كذا وكذا؟

فيقال: أهل العلم من أهل السنة هم أعذر الناس إن كان للعذر محل،

غير أن **التأويل على درجات** يا أخوة، يعرف ذلك العلماء:

-فهناك شيء اسمه **تأويل قوي** وهذا تأويل الفقهاء، الوارد في الخبر: إذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر وإذا اجتهد فأصاب فله أجران. ويدل عليه من القرآن قصة سليمان وداوود {ففهمناها سليمان} فداوود قضى قضاء وسليمان قضى قضاء، وكان قضاء سليمان الأصوب، وداود نبي ما ضل ولا كفر ولا كذا بل هو مجتهد مأجور، يقول الحسن البصري: لولا هذه الاية لرأيت أن القضاة قد هلكوا. انتبهوا لهذا التفصيل يا أخوة.

وهناك **تأويل متوسط** يدرأ التكفير ولا يدرأ التبديع، وهذا كتأويل الخوارج والمرجئة، فعلي بن أبي طالب قال في الخوارج: من الكفر فروا.

وروي عن ابن عمر الصلاة خلفهم. وروي عن ابن عباس بل صح أنه كان يفتي نجدة الحروري. فقد استدلوا بنصوص من القرآن مثل قوله تعالى: {بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته} وغيرها من الآيات فاستدلوا بهذه النصوص على تكفير العصاة أو على تكفير حتى بعض الصحابة الذين رآوهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانوا بذلك ضلالا مبتدعة، جعلوا المحكم متشابها والمتشابه محكما، خالفوا فهم السلف فاستحقوا التبديع ودرأ عنهم التكفير، وهذه حالة وسيطية ويدل على هذه الحالة الوسيطية تصرف الصحابة ويدل عليه أيضا حديث الحوض حين يذاد أناس عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم فيقال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. و(ما) هذه تشمل الأمور الاعتقادية والعملية، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: فلا أرى ينجو منهم إلا مثل همل النعم.

يعني أن منهم ناجين، إذًا هم ليسوا كفارا وإن وصفوا بالردة في الخبر ولكن هذه ليست الردة الكبرى وإنما ردة متوسطة يعني ردة عن السنة كقوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج: يمرقون من الإسلام، وليس هذا هو المروق الأكبر بمعنى الخروج من الملة فالصحابة فهموا من هذا المروق: المروق المتوسط يعني المروق من السنة، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا. ليس معناه ليس منا يعني ليس مسلما، وإنما معناه انه ليس من العدول أنه فاسق. وهناك **التأويل الضعيف** الذي هو والعدم سواء، كتأويل مانعي الزكاة حين قالوا أن الزكاة إنما تدفع لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تدفع لأبي بكر، لأن الله عز وجل قال: {خذ من أموالهم صدقة وصل عليهم} فقالوا: هذا خاص بمحمد صلى الله عليه وسلم. فهذا التأويل رآه الصحابة ضعيفا تماما، وذلك أن الايات كلها تدل على الحث على أخذ الزكاة مطلقا وعلى أدائها مطلقا، بل الله عز وجل أمر بطاعة أولي الامر. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: من أطاع أميري فقد أطاعني. فهم تملصوا من هذه الطاعة العظيمة بهذا التأويل الضعيف والذي نقضه الصحابة فهنا كفروا. ولهذا مثلا الخوارج حين وجدت منهم فرقة أنكرت الرجم وهم الأزارقة كفرهم العلماء، لماذا؟ لأن الشبهة ضعيفة في إنكار الرجم. فالرجم متواتر. وهذا أمر قد لا يحسنه طالب العلم في بداياته بل حتى في متوسطه أنه يصنف المقالات (كيف يستطيع أن يحكم على مقالات)، لكن **نحن بابنا هنا الاتباع اتباع السلف الكرام، ما بدعوا فيه نبدع ما كفروا فيهم نكفر ما عذروا فيه نعذر.**

وهناك مسائل قد يعذر فيها فرد ولا يعذر آخر وهكذا. لكن نحن نتكلم بصورة عامة.

والواقع أن الجهم بن الصفوان لا يعبأ بالقرآن ولا بالسنة، فقد عرف الناس من أين جاء وهو خالف الفطرة المتقررة في قلوب الناس، ولا يصلح أن تخالف الف دليل ثم بعد ذلك تأتي بفهمك الخاص لآية، الآن مثلا بعض الناس يقول لك: أنا لا أؤمن بحد الردة. أنا أؤمن بالقرآن الله يقول: {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} فتقول له: القرآن نعم هذا هو

القرآن لا مشكلة، هذه آية من القرآن ولكن هل فهمك قطعي؟ ففهمك ليس هو نفسه الآية لها تتمة {إنا أعتدنا للظالمين نارا} فالآية للتهديد، بدليل أن الآية لا تنفي عذاب الآخرة أصلا، ثم نحن نجد في القرآن ما ينقض دعواك، فنجد قوم موسى حين عبدوا العجل قتلوا لأجل هذا الكفر، ونعرف قصة الغلام مع الخضر حين قتله على الكفر، والله عز وجل قال: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة} وغيرها من النصوص.

فالجهمية حتى الآيات التي أوردها الجهم هذه فيها ما يناقض عقيدته ومذهبه {فليس كمثله شيء} إذًا هذا إثبات لصفة أنه ليس كمثله شيء الله عز وجل قال في نساء النبي: {لستن كأحد من النساء} هل هذا معناه أنهن لا صفات لهن؟ بل أصلا لا يقال فلان ليس مثل فلان إلا حين يكون متميزا عليه بشيء ثبوتي، لا يقال العدم ليس كمثله شيء وهم وصفوا الله بأوصاف العدم، فاستدلاله هذا من التأويل الضعيف البعيد بل ليس فيه تأويل والاية {وهو السميع البصير} {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار } أثبت لنفسه إدراكا، والإدراك يقع للخلق {إنا لمدركون} ولم يقتضي ذلك تشبيها، **فكفر الجهم عظيم ومخالف لقطعيات النصوص والفطر**، ثم أنه من قوة كلامه وبعده عن الحق

ما قاله الإمام أحمد قال: تأول القرآن على غير تأويله.

الآن ترك تفاسير السلف وتفاسير النبي صلى الله عليه وسلم، فدائما حين يأتيك إنسان يقول لك: أنا القرآن القرآن كذا وكذا

فنقول له: القرآن أعلم الناس به من نزل عليه القرآن.

يقول: وكذَّب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه النقطة التي ستستغرق الدرس اليوم، نعم الجهمية كذبوا الأحاديث، الجهم كذب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. لماذا كذبها؟ لأنها تنقض مذهبه.

طيب لماذا لم يكذب القرآن؟ لا يستطيع.

القرآن إذا كذبه يفتضح أما الحديث يستطيع أن يراوغ يمينا وشمالا.

هذا الأمر موجود إلى يومنا هذا، وهذا الأمر ظهر في كل من تأثر بشبهات الجهم بن صفوان، فليس الجهم هو من كذب الأحاديث وأنتهى الأمر، لا لا لا كل من تأثر بشبهات هذا الرجل صار يكذب الأحاديث.

اقرأ عليكم بعض الاخبار أو بعض النصوص لعلماء تأثروا بشبهات الجهمية وصاروا ينكرون الأحاديث:

-روى الخلال في السنة بسنده إلى الحسن البزار، يقول: جاء رجل إلى بشر المريسي -وبشر المريسي هذا فقيه حنفي كان قد قال بالتجهم وهو رجل من الفقهاء- فقال: يا أبا عبد الرحمن أذاكر أصحاب الحديث فكلما ذكروا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رددته.

لأن الأحاديث لا تعجبه، حديث الجارية أين الله في السماء هذا الآن يؤلفون المؤلفات في الطعن فيه، مثلا حديث النزول.. أحاديث كثيرة جدا.

..رددته قال: يقولون أنت كافر.

المحدثون إذا رأوا رجلا يرد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له أنت كافر..

أنت لا تؤمن بالسنة؟ أنت كافر.

فقال بشر: صدَقوا..

قال: فكيف أصنع؟.

والآن يعلمه المنافقة

قال: إذا ذكروا حديث رسول الله ﷺ قل صدقت ثم اضربه بعلة، قل: له علة.

يعني حاول تضعف الحديث وهذه خطة، ومن أكثر من فعل هذا في زماننا رجل في الأردن اسمه حسن السقاف صار يضعف أحاديث الصحيحين التي فيها إثبات الصفات، وفعل ذلك محمد الزاهد الكوثري رجل حنفي تركي، وإلى اليوم يفعلون هذا الحديث الذي لا يعجبهم يضعفونه، ثم إذا جاءوا يستدلون للتوسل أو الاستغاثة يستدلون بالبواطيل والمناكير! وكان من رد السلف عليهم رد قوي، **قالوا لهم: ما تنكرون في الأحاديث إلا وهو في القرآن.**

فمثلا إسحاق بن راهوية لما قالوا له حديث النزول وحديث النزول متواتر، قال لهم: في القرآن {وجاء ربك والملك صفا صفا} فقال له الأمير: هذا يوم القيامة. قال: من يأتي يوم القيامة من يمنعه اليوم.

ولهذا متأخرين الجهمية اعترفوا، قالوا: لا لا نستطيع أن نعمل هذا بالأحاديث لأنه موجود في القرآن الأمر نفسه، ونص على هذا المعنى أيضا ابن قتيبة، فقال: لا ينكرون في الحديث شيئا ألا وهو في القرآن. وكان ممن ردد هذه الحجة شريك القاضي رحمه الله، القاضي الكوفي لما بلغه هذا سرد هذه الاحاديث وقال هذه الاحاديث حدثنا بها من جاء بالصلاة والصيام والزكاة أما هم فمن أين جاءوا بدينهم.

وهذه نقطة مهمة الآن هو يأتيك دائما ويضعك في محل الدفاع ويقول لك هذا الحديث صحيح؟ هذا الحديث كذا؟ قل له: دعنا من هذا الصحيح، فرضنا أنه ضعيف، أنت حين تزعم أن هذا تجسيم أو أن هذا تشبيه أو أن هذا كفر ما برهانك القاطع؟ عندك حديث عن رسول الله صحيح؟ أم انت فقط تكلمني بعقلك؟ وهذا اليوم حتى تجده في من يتأثر مثلا بالفلسفة النسوية أو الليبرالية أو العلمانية يأتيك يقول لك: هذا خبر آحاد.. هذا حديث

كذا.. هذا ظني.. هذا ليس كذا هذا كذا، ثم هو يحاكمك لأمر هذا الأمر هو ما أقام عليه دليلا أصلا.

-يقول الآمدي المتكلم المشهور في غاية المرام، الآمدي متكلم معروف كان في دمشق وكان أولاد صلاح الدين الأيوبي يبغضونه لاشتهاره بالفلسفة وهو من كبار العلماء الأشعرية وروي عنه أنه كان لا يصلي، وكان رجلا متعمقا بالفلسفة فمتأخري الأشعرية تفلسفوا جدا، العز بن عبد السلام كان يقول عنه: ما رأيت مثل الآمدي عند إلقاء الدرس كأنه يلقي خطبة يعظمه. لكن من شدة اشتغاله بالفلسفة أبغضه الناس -هذا كلامي أنا الآن- حتى أن ابن الصلاح كان يقول: لأخذ المدرسة الفلانية من الآمدي أحب إلي من أخذ عكا من يد الصليبيين. وقد نقل هذه الكلمة ابن تيمية لنقرأ ما الذي يقوله الآمدي على مسألة الاستدلال بالنصوص وانظر كيف تأثر بالجهم، يقول وهو ينصر مذاهب الجهم وهو أشعري والأشعرية المتأخرين ينصرون مذاهب الجهم: ولعل الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة -الخصم أهل السنة- وأقوال بعض الأئمة وهي بأسرها ظنية لا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية.

يعني يكذبها، يقول لك أنا حتى نصوص القرآن، الجهم تجرأ على السنة والقرآن أوله، هؤلاء حتى نصوص القرآن يقولون لك هي ظنية نحن لا نحتاجها، لا يُستدل بها حتى تكون قطعية، فتقول كيف؟ القرآن أليس قطعيا ثبوتا؟ يقول لك قطعي ثبوتا لكن دلالته فهمك لا يلزمني. طيب كيف القرآن هدى ونور وشفاء لما في الصدور؟

حدثني الدكتور محمد النورستاني بقصة يقول: كنت ألقي درسا وكانت هناك دكتورة أشعرية موجودة يقول ولم أكن أعلم بوجودها فتكلمت عن أهل الكلام وأنهم لا يحترمون النصوص وأنهم أسقطوا هيبة النصوص فقامت ودندنت بالدندنة المعروفة لهم: هؤلاء علماء ولهم تأويلهم

ولهم كذا وبما أنهم علماء وعلماء الإسلام وأئمة الإسلام فيقول –هو حدثني بهذا القصة مباشرة– يقول: فكان عندي المحصول للرازي ففتحته على باب تكليف ما لا يطاق، وقرر الرازي أنه يجوز عقلا أن الله يكلفه ما لا يطاق قال: وأما الظواهر التي تخالف هذه العقيدة مثل: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} قال: وأما الظواهر هذه فلسنا بحاجة إلى الالتفات لها في مثل هذه المباحث. أو كلمة نحوها.

يعني يقول لك أنا أصلا لا أتعب نفسي وأؤولها، انظر إلى هذا المستوى، ابن تيمية يقول: الرازي بلغ مرتبة لم يبلغها المعتزلة في عدم احترام النصوص، فقال لها: هذا الكلام كيف أؤوله انا الان؟ يعني انظروا كيف يتكلم عن النصوص بهذه الطريقة اسقاط هيبة النصوص بهذه الصورة.

–أيضا حفظكم الله يقول أيضا التفتازاني في شرح النسفية وهو من أعيان علمائهم وقد أختلفوا هو أشعري أم ماتردي والأشعرية والماتريدية بينهما تقاطع واختلاف، وكان يفتي على المذهبين الشافعي والحنفي، وكان رجلا يعني عارفا عميقا في العلم حقيقة في شرحه للنسفية عقيدة ماتردية، يقول:

إن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة في أصول الفقه – الشرائط المذكورة في أصول الفقه ليست خمسة.. الشروط عدالة الرواة وضبطهم وسلامة السند من الانقطاع ومن الشذوذ ومن العلة هذه موجودة في كتب الأصول عندنا أهل الحديث، موافقته لعمل أهل المدينة عند المالكية، عدم مخالفته لقياس الأصول عند الحنفية، وكونه مما لا تعم به البلوى وفي الحدود وكونه.. الى آخره شروط كثيرة، يقول: لا يفيد إلا الظن ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

وما عقيدتكم أنتم الا ظنون وتخرصات! رأي الجهم هذا أيش؟ هذا ظنون وتخرصات

وهو ليس خبر واحد هو يكذب عليك يقول لك واحد هي أخبار، أحاديث النزول والضحك والفرح والعجب وأخبار العلو وخبر التزول كلها لا يؤمن بها،
قد يقول قائل: هؤلاء الجهمية تأولوا.. الذي يقول لك هؤلاء يأولون، هم الآن يردون بشكل واضح

-الجويني يقول في الارشاد وهو إمام أشعري كبير صـ٦٦١ يقول: وأما الأحاديث التي يتمسكون بها فآحاد لا تفضي إلى العلم ولو أضربنا عن جميعها كان سائغا.

عن جميعها "طز" كلها كفر، طيب الآن السلف يروون شيئا ضعيفا آمنا بالله، يروون كفرا! يروون كفرا! يروون شيئا لا يليق بذات الله!

-أيضا من كبار علمائهم ابن جماعة الذي كان معاصرا لشيخ الإسلام ابن تيمية وكان يعيش في حلب، يقول على حديث من أحاديث السنة الثابتة: ولعله من وضع بعض المبتدعة والزنادقة، ولقد أُنكر على الدارقطني رواية مثل هذا الحديث وإيداعه كتبه وكيف تُثبت صفة الباري بمثل هذا الخبر الواهي، ثم يقول: ولقد غلب على كثير من المحدثين مجرد النقل مع جهلهم مما يجب لله من الصفات.

جهلهم يعني أنهم مو على مذهب الجهم بن صفوان الذي يرد عليه الإمام أحمد. وهذا تجد في ترجمته يقول لك الشافعي الحنبلي وهم على مذهب الجهم حقيقة.

ويقول أيضا: وقد ذهب أبو يعلى إلى أن العين صفة زائدة عن الذات -صفة العين لله عز وجل- يقول: وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة صاحب كتاب التوحيد -كتاب التوحيد تقرأه

كله آيات وأحاديث وأخبار قوية- يقول: فإن أحتج محتج بكتاب ابن خزيمة وما أور فيه من العظائم، وبئس ما صنع من إيراد هذه العظائم والموضوعات، يقول: وابن خزيمة وإن كان إمام في النقل والحديث -ابن خزيمة يسمونه إمام الأئمة في وقته بلاد العجم هذه كلها كانت تدين لهذا الرجل- يقول: فهو عن النظر في العقليات وعن التحقيق بمعزل.

العقليات التي هي كلام الجهم بن صفوان.

اقرأ لكم بعد هذا الكلام المزعج كلام الإمام الترمذي رحمه الله حين ذكر أحاديث في إثبات الصفات في جامع الترمذي أحد الكتب الستة المشهورة يقول:

وهكذا قول أهل العلم السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر -لاحظ أنه يجعل السمع والبصر مثل اليد إذًا يثبتها كلها لا يفوضها- **فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل.**

الآن ماذا يقولون لك؟ يقولون لك الأشعري يؤول والجهمي ينكر، لا. الجهمي يؤول والأشعري يتبع الجهمي في التأويل.

الإمام قال أن الجهم تأول القرآن على غير تأويل أهل العلم، والترمذي قال هكذا.

وقالوا: أن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا إن معنى اليد هاهنا القوة.

هذا نفس التأويل الموجود في كتب الأشاعرة المتأخرين بالضبط، حتى في المغرب هذا الذي توفي قريبا مصطفى البحياوي، ماذا يقول؟ أنا اقرأ لكم..

يقول: وقال إسحاق بن ابراهيم –الذي هو ابن راهوية– يقول: إنما التشبيه إذا قال يد كيدي أو مثل يدي، أو سمع كسمعي أو مثل سمعي، فإذا قال سمع كسمعي أو مثل سمعي فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله عز وجل يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا مثل السمع ولا سمع فهذا لا يكون تشبيها.

{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} أستدل بالآية، أولها ينفي التشبيه وآخرها يثبت الصفات.

هناك رجل في المغرب اسمه مصطفى البحياوي رجل مهيب، كان يقول قولك يد الله كيدي هذا هو عين التشبية.

وكأنه يرد على إسحاق بن راهوية، هذا الذي الآن حتى يدرس في الأزهر وغيره، هذا هو الكلام بالضبط الذي يخالف عقيدة أهل السنة.

بل من عجائبهم، وانظر إلى أين وصلوا.. الجويني قال: لا يوجد عندي دليل عقلي قوي على أن الله عز وجل منزه عن النقائص.

أعوذ بالله، قال: وإذا أنا استأنس بالدليل النقلي أستدل بالقرآن والسنة على نفي النقائص. هذا الكلام مضى على أصحابه؟ لا. ابن العربي المالكي في قانون التأويل قال: العجب من الإمام كيف يستدل في هذا الباب بالأدلة النقلية، فهذا الباب لا يستدل به إلا بالعقلي.

علمًا أن الدليل النقلي الآن إذا ثبت هذا من عند الله والدليل النقلي هو نفسه يعني ضمنه أدلة عقلية، أقوى الأدلة العقلية في النصوص، وترى عجبا من الاستهزاء بالسنة وبأخبارها في مؤلفات هؤلاء.

الآن كثير من الناس يقولون لك: نحن لنرد على الملاحدة لنرد على منكري السنة ثم ينسون من فتح الباب ولا زال الباب مفتوحا. الذين هم هؤلاء القوم،

الذهبي ترجم لرجل رافضي في تاريخ الإسلام وذكر أن هذا الرافضي كان عالما بالحديث، ضليعا إماما في علوم الحديث والسنة، ثم إن هذا الرجل كان يقول: أكثر الصحيحين معلول فيه كلام. فقال الذهبي: برهان حقده على الإسلام وبغضه لأهل الإسلام.

انظر.. تعلم العلم ليطعن فيهد اليوم نرى من الأشاعرة منهم كذلك مثل حسن السقاف والكوثري علماء في الحديث، لماذا تعلموا الحديث؟ ليضعفوا الأحاديث التي يستدل بها العلماء والأئمة، وأنى لهم..

قد كتبت قبل أربعة عشر عاما تقريبا كتاب تسفيه أدعياء التنزية، وكنت أتعجب ما ترك حديثا إلا وضعفه وكنت أرد عليه، والأمر عجيب ثم لما رددت عليه بالاستغاثة وجدته تحول إلى شخص آخر لكي يبرر القبوريات أي ضعيف يصححه فقلت سبحان الله الهوى عجب في هؤلاء الناس.

الآن كلمة تشبيه أثبتنا أنها واردة عن الجهمية المتقدمين، وأيضا مسألة رد الأخبار وتأويلها على غير تأويل أهل العلم اهذا كله.

والقصة الأخرى التي ذكرها الإمام التي هي: رمي الناس بالتشبيه ثم تكفيرهم.

أنك بما أنك تثبت لله صفات فأنت مشبه وبالتالي فأنت كافر، كلام الجهم بن صفون.

هذا الكلام تبع الجهم عليه أحد؟ نعم، تبعه كثيرون. وقد أحدث في أمة الإسلام من الفتن الشيء العظيم، الآن المحنة التي أُمتحن عليها الإمام أحمد رحمه الله ما هي؟

قالوا: بما أنك تثبت أن الله يتكلم بما شاء أنت مشبه فإذًا أنت كافر ولهذا استحلوا جلده، من الذين قتلوا في المحنة؟ البويطي قُتل. نعيم بن حماد صاحب الكلمة المشهورة: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى ما أثبت الله لنفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله نفسه ورسوله تشبية. هذا أيضا قُتل.

أحمد بن نصر الخزاعي الذي له القصة المعروفة، في تاريخ الطبري ذكر قصته أن غلاما له قال أنه يريد الخروج على الواثق وأنه أعد العدة وأنه جمع أناسا، فكبسوا بيته فلم يجدوا شيئا، فقالوا ربما هو متعاون مع أناس فجاءوا به إلى الواثق. والقصة لها روايات، فمن ضمن الروايات أنه الواثق قال له: ما تقول في القرآن؟ فقال للواثق هذا ذكره ابو العرب القيرواني في كتاب محن العلماء بإسناد ماشي فأحمد بن نصر الخزاعي كان رجلا ضيق الصدر، فقال له: ما لك وللعلم أنت –يقول للواثق– إنما أنت نطفة سكير في رحم قينة مالك وللعلم.

وسألوه عن حديث (إن الله جميل يحب الجمال) فلما أثبته قالوا مشبه فقتلوه، وفي رواية أخرى أنه أجاب فقالوا: مشبه وقال الواثق: أنا أحتسب خُطاي وأخذ السيف وقطع رأسه، ثم بعد ذلك لم يأذنوا لأحد بالصلاة عليه وما دفنوه علقوه وعلقوا في رأسه بطاقة أن هذا كان مشبها وكذا وكذا وكذا، وهذا كله من أثر هذا البلاء الذي وقع لأمة الإسلام، فهذا كلام الجهم بن صفوان.

أيضا أبو إسماعيل الأنصاري في ذم الكلام يقول واصفًا الأشاعرة: وأبطلوا التقليد فكفروا أباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين، وأوجبوا النظر في الكلام واضطروا إليه بزعمهم فكفروا السلف.

هذه عندهم مسألة يسمونها إيمان المقلد، المقلد عندهم الذي لا يعرف عقائدهم، وعقائدهم صعبة وقد أعترف بذلك العز بن عبد السلام يقول: إن من جملة العقائد التي لا تستطيع العامة فهمها هو أنها داخل العالم ولا خارجه.

هذه عقيدة الإشاعرة، حتى شيخ الأزهر يقول أنا لو نزلت إلى العامة بعقيدة الأشاعرة فلن يفهموها، هذا في كتابه القواعد.

ويقول الغزالي في الإحياء: كون أن الله مقدس عن المكان منزه عن الأقطار والجهات، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل ولا منفصل قد حير عقول أقوام حتى أنكروه، إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته.

هو يعترف أن هذه العقائد تخالف الفطرة، ولكنهم على مر تاريخهم يحاسبون العلماء فيمتحنونهم، وقد وقع أيضا.. يقول الغزالي في كتابه فيصل التفرقة: أن الأشعرية يكفرون الحنابلة لأنهم يقولون أن الله فوق العرش، وأيضا الحنابلة يكفرونهم.

وفي فتنة الشريف أبو جعفر العباسي التي حصلت فتنة القشيري أيضا حصل الأمر نفسه، وقد عرض على السيف ثلاث مرات، من قد عرض على السيف ثلاث مرات أبو إسماعيل الأنصاري الهروي وقد أفتي بقتل عبد الغني ثلاث مرات أو أربعة تقريبا في زمن الأيوبيين، وقد كتب العز بن عبد السلام إلى الملك المظفر الحنفي هذا كتب له يغريه بالحنابلة يريد قتلهم وأدعى أنهم يعني متعاونون مع العدو، فارسل له: يا عبد العزيز –هو اسمه عبد العزيز– الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

سلطان العلماء كان يكتب تقارير، وهم على مر تاريخهم حقيقة فيهم أناس فيهم مروءات وفيهم دين ولكن الغالب عليهم ومعروفة فتنة ابن العز الحنفي، عندهم رهق في التكفير، أنا أذكر هذه القصص لأنهم هذه الأيام كثيرا ما يتحدثون عن الجماعة السلفية وأنهم غلاة وأنهم وأنهم وهم طوال تاريخهم يعني شغالين جزر بالناس، ابن أبي العز الحنفي هناك شاعر كتب

قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب يعرضها على العلماء واحدا تلو الآخر، فمرت على ابن أبي العز أو ابن العز وكان قاضي الحنفية في زمانهم، وكان متأثرا بالتيمية وابن القيم فكتب له ملاحظات عليه أنه لا يجوز الاستغاثة بالنبي، وأن النبي عصمته ليست مطلقة ليس معصوما من الصغائر. هذا راح أخذها وهو غضب من ذلك أخذها إلى بقية الفقهاء وقال لهم انظروا هذا أيش يقول، وهذا ينتقص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، عمل المحاضر عندهم هذه قصة المحاضر.

من أول محضر ابن أبي العز خشي وخاف لأنه رأى الذي حصل للناس قبل، وقال أنا تائب، قالوا لا محضر واثنين وثلاثة، تحمس البلقيني وكتب عليه ردا وكفره أثناء الرد تقريبا.. العراقي، ثم حصل شيء غريب جدا أخذوا زوجته منه وتزوجها أحد خصومه لأنهم ما أعتقدوه مسلما ثم بعد القضاء والعز صار يخيط ويبيع، وقصص كثيرة جدا. ولأنهم في الباطن يعتقدون كفر هذا لأنه مشبه، حتى إن منهم يقول العالم الحنبلي مثلا.. أنا أعذر العوام يقول العوام لا يفهمون عقائدنا.. حتى ذكر في بعض كتب الأدب قصة طريفة وهي قصة مختلقة ولكنها تشرح شيئا من رهق المتكلمين وفطرة العامة السليمة، أن بشر المريسي قال لرجل: إمامكم هذا مشبه. فقال له: لا بالأمس قرأ فينا {قل هو الله أحد}.

يعني هو المسلم يقرأ قل هو الله أحد أين هو وأين التشبية.

ولهم في ذلك مسلكان: يعني هم إذا أنت سكت عنهم هجموا عليك وكفروك، وإذا أنت تكلمت فيهم ذهبوا إلى السلطان وقالوا هذا يكفر المسلمين.

وقد فعلوا ذلك بأبي عمر الطلمنكي في الأندلس، أيضا فعلوا فيه الأمر نفسه أنه كان يخالف الأشعرية فذهب وكتبوا عليه محاضر أن هذا يكفر العلماء، وقد حصل لابن تيمية الأمر نفسه تارة هكذا وتارة هكذا، وبطبيعة الحال هم لا يظهرون عقائدهم للناس مئة بالمئة فهو يعتقد كفرك، فما الذي يفعله؟ يبحث عن أي شيء آخر يلصقه بك، ولهذا كثير منهم يستبيح التعاون مع أهل الباطل تجاه أهل السنة وأهل التوحيد،

أبو حامد الغزالي في كتاب فيصل التفرقة طرح أطروحة قال: ينبغي أن لا نكفر هؤلاء لأنهم عندهم أدلة ولا نكفر المعتزلة. وهذه الأطروحة مال إليها العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد، والغزالي: قال نحن عقائدنا صعبة وعسيرة لكن التبديع نثبته.

هذه الأطروحة لها حضور عند كثير من الأشعرية لكن مع الاسف إلى يومنا هذا القول الثاني في التكفير حاضر بقوة، وأكثر من ينشر هذا فئة الأحباش والسقاف ومن معه وجمع من الازهريين وحتى مثلا محمد أكرم بوغوش تلميذ سعيد فؤدة يقول: تكفير المجسمة مسألة خلافية. هذا اقصى شيء عنده، فالاحباش هؤلاء يأتون مثلا بكرت.. يأتونك بكلمة للنووي ولي تعليق عليه، هذا الكرت الواجب اليوم هو سماعه وتلخيص المحاضرة، محاضرة: تعليق على بطاقة الأشعرية في تكفير المسلمين.

هؤلاء الأحباش اشتهروا سياسيا بأنهم وقفوا مع نظام النصيري، لأنهم يفكرون في مصالحهم السياسية فقط، بل يقفون مع الرافضة ضد أهل السنة، أنا لا اقول كل الأشاعرة كذلك، لا.. الأشاعرة يختلفون والماتردية يختلفون.. نماذج مختلفة، لكن هذا النموذج الذي ورث الجهم بقوة حاضر بصلابة يعني لا زال حاضرا، طيب ما الحل مع هؤلاء الناس؟ هذا الأمر ليس اختراعا منهم، اليوم كثير من الناس يقول لنأتي بطرح توافقي، السلفي يترك شيء من عقيدته الشديدة والشيعي يترك شيء من عقيدته الشديدة والأشعري يترك شيء من عقيدته الشديدة، هذا الحل من أفشل الحلول؛ لأنهم شئنا أم أبينا هو سيقرأ بالمتقدمين وسيفهم حقيقة المسألة، فمثل ما هو مقتنع بعقيدته سيقتنع بالأفكار الأخرى، ونحن إذا كنا نطمع مثلا أن الأشعري لا يقتنع بكلام أصحابه في تبديعنا أو تضليلنا أو تكفيرنا فلنطمع بشكل أقوى أن يترك هذه العقيدة المخالفة لظواهر النصوص والفطرة، إذا كان هو خالف ظواهر النصوص والفطرة، هل سيقبل بشيء دون؟ بنظرية نحن نضعها له؟ تعرفون الفيديو الذي نُشر

لرجل أشعري يقول: بريطانيا تدرب بعض الخطباء الأشاعرة. الآن هم طرحهم أنهم يقدمون أنفسهم للغرب وللشرق أنهم بديل هذا التيار المتطرف.

الآن مثلا المأمون حين تقرأ عنه تجده رجلا صالحا؟ لا ليس رجلا صالحا بل حتى ميله للتشيع واضح، لكن استفادوا منه.

وهم على مر التاريخ هذا هو هذا وضعهم وهذه هي طريقتهم. والساذج الذي يكرر الخطأ عدة مرات بنفس الطريقة.

الآن نحن استفدنا عدة أمور في هذا الدرس:

– استفدنا مسألة تأويل القرآن على غير تأويله الذي هو العسف الذي يمارسونه وأن هذه هي ممارسة الجهمية وهي ممارسة الجهمية اليوم، وأن هذه ممارسة كل يريد أن ينخلع من ربقة التسليم للتسليم لنماذج خارجة عن الوحي.

– استفدنا مسألة التكذيب الأحاديث، والأحاديث اما تُكذب صراحة واما تؤول بتأويلات تعسفية هي أخت التكذيب، أو هناك التكذيب الرصين الذي هو التفويض، يعامل النص كأنه لم يرد ويصنع نفسه ورعا، يقول لك والله لا أدري ما معنى يد ما معنى وجه، فتظن أن هذا إنسان ورع.

لا هذا انسان يدجل عليك، كأنك تقول له هذا أبيض أم أسود؟ فيقول لك: ما أدري لكن معاذ الله أن يكون أسود. إذًا هو أبيض! فهو أيضا يقول لك والله ما أدري ما اليد ما كذا لكن معاذ الله أن تكون اليد التي صفة، والقدرة نثبتها بنص آخر إذا أنت صنعت الأمر نفسه.

– وأيضا دعواهم أن إثبات النصوص تشبيه.. ما ورد في النصوص، وهذه مسبة عظيمة للنصوص ولا فرق بين أن أقول هذا وحشية أو هذا النص تخلف وأن اقول هذا النص تشبيه. هي كلها سب لظواهر النصوص.

- وأيضا موضوع التكفير، حتى قيل لبعض الأشاعرة إذا كانت عقيدتكم هي التوحيد وكذا، فالناس كفار. فقال: لا تثرب علي بكثرة أهل النار.

وإن كان غالبهم يرون الناس معذورين، حتى يقول السنوسي: من لم يجالس علمائنا فلابد أن يعتقد عقيدة هي الكفر، أما يعتقد أن الله يتكلم ويسكت وأما يعتقد أن الله فوق العرش وأما يعتقد أن الله يفعل لغرض -يعني يفعل لحكمة- وأما يعتقد ...

وكثرة اعتقادهم أن العامة واقعين في الكفر هذه أحد أهم أسباب أنهم لا ينكرون على العامة إذا كانوا المؤسسة الرسمية في البلد، تلاحظ البلدان التي هم فيها يكثر فيها مخالفات عظيمة مثل سب الله وسب الدين ثم لا تجد عندهم حماسا في إنكار هذه المنكرات. تعرف لماذا؟ لأنه هو يرى أن عقيدة العامة الفطرية كفر، فيقول لك كله محصل بعضه كله كفر مع كفر، فتجد إنكارهم ضعيفا على البلاء والمنكرات.

أما الإنسان الذي يعتقد أن الكفر أمر عظيم، الكفر إنكار النصوص الكفر كذا الكفر كذا، ويرى أن هذه المخالفات إذا حدثت فينبغي إنكارها، سبحان الله دائما تجد أن من يؤمنون بصفات الله تبارك وتعالى أو يؤمنون بظواهر النصوص أو يؤمنون بالفطرة ولا يحاقون العوام بالكلاميات تجدهم أعظم نشاطا في محاربة انحرافات العوام إذا صدرت منهم، انحرافات حقيقية ليس توهمات، فهو أصلا ما عنده فرق بين سب الله وبين أني أقول الله فوق العرش. ما عنده فرق.

رأيتم الشيخ السوري هذا الذي في جامع الأموي، يقول: كفرت الوهابية بكذا وكذا مسألة منها أنهم يعتقدون أن الله جالس على العرش .. ويذكر أمورا أما ثابتة في النصوص وأما فيها أحاديث بشكل واضح هذا الفيديو قبل مدة انتشر.

فبعض الناس يجلس يقول لك: لا هذه الخلافيات لا تحيوها. هي ما ماتت حتى نحييها!

كلمة تحيوها هذه عبارة فيها نوع من التجوز، هي لم تمت، هي لم تزل. الحجر الأسود أُخذ وهذه الخلافيات الموجودة.. قامت دولة القرامطة وزالت وهذه الخلافيات الموجودة.. جاء غزو صليبي ودخل وهذه الخلافيات موجودة.. جاء التتار دخلوا وخرجوا وهذه الخلافيات موجودة.. حصل كل بلاء على أمة الإسلام.. الخلافة العباسية قامت وسقطت وهذه الخلافيات موجودة..

خلافيات الناس في ربهم هذه لا يمكن أن تزيلها أو أن تنهيها او أن تؤجلها وهي تنعكس على كل شيء تحتها بعدها.

انظر الآن نحن نقرأ كلام الجهم بن صفوان متوفي سنة ١٢٨هـ، كل كلام الجهم بن صفوان عامته يُطبق كأنه كتبه لهم وقال لهم افعلوه، يعني نحن الآن نتحدث عن الجهم بن صفوان وقلت لكم الدرس الماضي الجهم لما ناظر الملاحدة فذهب إلى كذا وكذا وكذا، وإذا بعد يوم من الدرس جاءوني قالوا هناك شاب يشك في القرآن ويشك في كذا ولما حكوا لي قصته ألا هي قصة الجهم بن صفوان بالضبط! فسبحان الله الأمر يتكرر، هذا وصل اللهم وسلم على نبينا محمد.

المجلس الخامس

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:
فهذا مجلس جديد في التعليق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، وحقيقة هذا الدرس انبهرت من هذه الفقرة التي ساقرأها حين كنت أحضر فهي فقرة غنية على اختصارها، ساقرأ ثم أعلق لماذا أنا انبهرت.

يقول الإمام أحمد رحمه الله:

فأضلَّ –يعني جهما– بكلامه بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية.

فإذا سألهم الناس عن قول الله:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يفعل ولا له غاية، ولا له منتهى. ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين، ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

لنقف عند هذا التعريف بكلام الجهمية ونشرح، الفقرة الأولى من الكلام التي فيها أنه تبعه أقوام من أصحاب عمرو بن عبيد وأصحاب أبي حنيفة فيه فائدة تاريخية جليلة جدًا، أما الكلام الثاني في تعريف مذهب الجهمية فهذا من أدق ما قيل في مذهبه فوالله من تضلع في علومهم وعقلياتهم وعلم الكلام سيعرف أن هذا الكلام دقيق جدًا، ولكن الإشكالية فقط في أنه عبر بألفاظ غير الألفاظ التي يعبرون بها في العادة، ولكنك لو تأملت ألفاظه وتأملت كلامهم ستعرف أن ما في هذا الكتاب هو حقيقة مذهبهم الحاضرة في كتب ابن سينا أو

حتى كتب الرازي أو الآمدي وغيرهم، طيب نقف عند أول شيء حين ذكر رحمه الله أنه تبعه أقوام من أصحاب أبي حنيفة ومن أصحاب عمرو بن عبيد في الواقع هذا الذي حصل أصحاب عمرو بن عبيد كانوا في البصرة وأصحاب أبي حنيفة كانوا في الكوفة وبدعة جهم ظهرت في خراسان، هناك تقارب جغرافي ففي العادة إذا حصل شيء في العراق يتأثر به أهل خراسان وإذا حصل شيء فيه خراسان يتأثر به أهل العراق من الناحية المذهبية، هذا أولا.

ثانيًا: العراق ظهرت فيها الأهواء مبكرًا في تاريخ الأمة فكان فيها الخوارج وظهرت فيها القدرية في البصرة، تعرفون الحديث الذين في صحيح مسلم الذين ذهبوا إلى عبد الله بن عمر وسألوه كانوا من البصرة.

وفي الكوفة ظهر التشيع وظهر الإرجاء، وعلى هذا فسر يعقوب بن سفيان في كتابه المعرفة والتاريخ ما ورد في نجد المشرق في نجد أن فيها القلاقل والفتن، قال: يعني فشو البدع وليس معناه أن أهل العراق كلهم أهل باطل، ففي العراق الحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، ولكن هذا باعتبار وجود الإشكاليات هذه وحدوثها، ومن رحمة الله عز وجل أنه يقيم للأمور أضدادها، عمرو بن عبيد مشهور عند الناس أنه معتزلي، وخذ هذه الفائدة: مشهور أن مؤسس مذهب المعتزلة واصل بن عطاء لما اعتزل مجلس الحسن البصري وقال: اعتزلنا واصل، أليس كذلك؟ قصة اعتزلنا واصل هذه أصلا لا تثبت، وأهل الحديث دائم يذكرون عمرو بن عبيد ولا يكادون يذكرون واصلا قط، لا يذكرونه إلا قليلا، لماذا؟ لأن عمرو بن عبيد بالعلم أشبه وروى العلم وهو تلميذ للحسن البصري يروي عنه حقا بخلاف واصل بن عطاء الذي كان رجلا أديبا وصاحب خطب ولا دخل له بالعلم، يقولون أن واصل بن عطاء كان لا يلفظ حرف الراء لأنه كان ألدغا بحرف الراء فكان دائما يستبدل حرف الراء إذا طلبوا منه أن يقول كلاما بحرف الراء يقول معناه بغير حرف الراء، فقالوا له: قل أمر أمير الأمراء أن يحفر بئرا في الصحراء، فقال: أوعز القائد أن يقلب قليبا في الجادة. يعني من قوة بلاغته تذكر هذه القصة.

عمرو بن عبيد كان في البصرة، وقد وقف أئمة البصرة وانتحل الحسن هو ومن معه والحسن كان له زلة في موافقة القدرية ثم رجع عنها ولم يكن قدريا محضا الحسن البصري رحمه الله وما

كان قدريا والحمد لله يعني عاد لكن حصل له زلة في موافقة بعض قولهم ففرحوا بها وأشاعوها، وكثر القدرية في البصرة حتى أن أئمة أهل السنة كانوا يقولون أيوب السختياني كان يفضل الجريري على سليمان التيمي، قال لأن سليمان التيمي كان يخاصم القدرية والجريري لم يكن يخاصمهم.

القدرية ما مذهبهم؟ يقولون أن الله لا يخلق الشر أو لا يخلق المعاصي، هؤلاء القدرية الذين وجدوا في أهل الحديث، أما قدرية عمرو بن عبيد وجماعته كانوا يقولون أن الله عز وجل لا يخلق أفعال العباد وإن كان يعلم بها قبل وقوعها لكنه لا يخلق أفعال العباد تنزيها لله عز وجل فيما يرون.

وروي عن عمرو ابن عبيد إنكار صفة العلم وروي عنه أمور، عمرو بن عبيد بقي له أتباع، عمرو بن عبيد لم يقل بمقالات جهم ما قال بخلق القرآن ولا بإنكار العلو ولا بأي شيء من هذا نهائيا وإنما كانت بدعته في القدر وفي قوله في العصاة أنهم يخلدون في النار وأنهم منزلة بين منزلتين ولكن يخلدون في النار، هذا مذهب عمرو بن عبيد، عمرو بن عبيد أتباعه ابتلعوا بدع الجهم حتى أكثر الناس المتأخرين لا يفرقون بين المعتزلة والجهمية، علما أن المعتزلة الأولى ما كانوا جهمية، كما أن الإباضية الأولى ما كانوا جهمية بل كانوا ينكرون على الجهمية، والشيعة الأولى كانوا مشبهه كما يقول الأشعري في مقالات الإسلامية ولكن متأخريهم جهمية، **وهذا يذكرنا بأثر السلف: أسرع الناس ردة اهل الاهواء.**

نعم لا شك أن كل الناس معرضين إلى الوقوع بالبدع الكفرية، لكن أصحاب البدع المفسقة معرضين بشكل أكبر لأن البدعة بريد الكفر، الله عز وجل يقول: {أرأيت الذي يكذب الدين فذلك الذي يدع اليتيم} ألا يوجد كفار لا يدعون اليتيم؟ ألا يوجد مسلمين يدعون اليتيم؟ نعم ولكن الكافر معرض أكثر باعتبار عقيدته والمسلم أبعد باعتبار عقيدته، لهذا السني أبعد عن الوقوع في ضلالات الجهمية لماذا؟ لأنه معه من الحديث والسنة ما يبعده أكثر، أما المبتدع فهو أقرب للوقوع في هذه الإشكالات وإن كانت بدعته أخف من بدعة الجهمية لهذا الإباضية كانوا خوارج ما كان عندهم مشاكل في الصفات أما متأخريهم الآن كلهم جهمية متقدميهم ما كانوا كذلك، الشيعة ما كانوا جهمية، الزيدية ما كانوا جهمية، متأخريهم صاروا جهمية.

هذه القصة حصلت مع المعتزلة في بداية التاريخ وصارت في أهل الرأي والمحنة التي امتحن فيها أحمد تعاون الفريقان أتباع عمرو بن عبيد وجماعة من أتباع أبي حنيفة تعاونوا عليه وصاروا ضده، حتى أن الإمام أحمد كما في كتاب المحنة رواية حنبل، يقول حنبل: قلت لأبي عبد الله فكان لابن أبي دؤاد علم؟

-يعني ابن أبي دؤاد الذي امتحنكم كان إنسان عنده علم؟ ابن أبي دؤاد حنفي كما سيأتي بيانه-

فقال: كان من أجهل الناس بالعلم وبالكلام، إنما كان معتزلا بالبصرة الذين يقومون بأؤده. معتزلة البصرة هؤلاء ابتلعوا بدع جهم ثم انطلقوا وصاروا هم أكثر من حمل هذه الراية، وهذه عبارة دقيقة جدًا الموجودة في أنه تبعه أصحاب عمرو بن عبيد وأصحاب أبي حنيفة،

أصحاب أبو حنيفة هم مدرسة فقهية تسمى أهل الرأي، الرأي كلمة عند السلف تطلق على القياس وعلى مطلق التفقه ولا يقصد بها الذم بالأساس فمثلا الإمام أحمد يقول في الأوزاعي: رأي صحيح وحديث ضعيف. ويقول في مالك: رأي ضعيف وحديث قوي. فكان يقول فلان يصنف في الرأي يتكلم في الرأي، يريدون في الفقه يريدون في القياس، ثم إذا كان الإنسان يغلب عليه الكلام في الفقه بالقياس أو بالفتاوى أو بغير ذلك يسمونه صاحب رأي، كما قالوا ربيعة الرأي، فربيعة الرأي سمي ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك لأنه كان لا يروي الأحاديث يتورع ولكنه يفتي بالمضامين، فسموه ربيعة الرأي.

وهناك عثمان البتي في البصرة وهناك أبو حنيفة في الكوفة، **غير أن أهل الرأي سموا أهل الرأي وصارت هذه مدرسة لأن لهم منهجا يخالف منهج بقية الفقهاء.**

يا أخوة الفقهاء ليسوا الأربعة الذين نعرفهم فقط، لا.. الفقهاء كانوا هناك فقهاء في زمن الصحابة وكان هناك فقهاء في زمن التابعين وكانت لهم فتاوى ومذاهب ولا زالت موجودة في الكتب، فمثلا في البصرة كان هناك الحسن وابن سيرين وغيرهم كثير في زمن التابعين، في مكة كان هناك عطاء بن أبي رباح أعلم التابعين بالمناسك وهناك تلاميذ ابن عباس مجاهد وطاوس وغيرهم، في الكوفة كان هناك تلاميذ ابن مسعود والشعبي وإبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وغيرهم كثير، في المدينة كان فقهاء المدينة السبعة كل واحد منهم كان عنده مذهب

كامل، وفي زمن أتباع التابعين الذي ظهر في بدايات الأربعة كان مثلا في الكوفة هناك أبو حنيفة وهناك سفيان الثوري. وفي المدينة كان هناك مالك ولم يكن مالك وحده بل كان هناك ابن أبي ذئب معه وكان ابن الماجشون معه كانوا فقهاء يفتون وفتاواهم موجودة، لكن الذي بقي معنا هذه المذاهب، وكان في الشام الأوزاعي، وكان في مصر الليث بن سعد، وكان في البصرة عبد الله بن عون بن أرطبان وهكذاط

مدرسة أهل الرأي بماذا تميزت؟ مدرسة الأحناف مدرسة أهل الرأي تميزت بمنهج خاص في التعامل مع الأحاديث وفي التعاطي مع قضايا معينة حساسة تتعلق بالورع وبأمر المشروب أو غيره يعني هذه الأمور، فكان من مذهبهم أن خبر الواحد –الواحد لا الآحاد، الذي يرويه واحد إذا رواه اثنان يخرج من قاعدتهم–

قالوا الخبر الواحد إذا روي فيما تعم به البلوى لا نقبله.

يعني شيء متكرر يهتم له الناس وجدنا خبرًا واحدًا فقط فنحن لا نقبله، إذا رواه اثنان لا مشكلة، وكان قد رد عليهم الناس وقالوا أنتم توجبون الوتر بخبر واحد –هم يرون الوتر واجب–، وقالوا لهم الصحابة قبلوا حديث عائشة وهي واحد في مسألة الرجل الذي يجامع امرأته ولا ينزل أن عليه الغسل.

وعندهم أصل آخر، قالوا خبر الواحد إذا خالف قياس الأصول – يعني القاعدة العامة الكلية– أيضا لا نقبله.

من هذا مثلا ردهم لحديث أبي هريرة في المصرات، المصرات معناته أنا عندي شاة الآن هذه الشاة تركتها زمنًا لا أحلبها، لماذا؟ لكي أنت إذا جئت تشتري مني تغتر بها تظنها حلوبا فأنت تشتريها مني فإذا حلبتها تكتشف أنني غششتك فيكون لك حاجة اسمها خيار الغبن أنك ترجع تقول لي خذ شاتك فأقول لك لا يا حبيبي والحليب الذي شربته؟ أنا أخذ شاتي وأرجع لك فلوسك لكن الحليب الذي شربته؟ فالقياس الآن أيش؟ أنه أنت أما تعطيني فلوس وأما تعطيني حليب مثله صح؟ في حديث أبي هريرة أنك تعطيه صاعا من شعير بدل الحليب، وهذا حديث صحيح متفق عليه.

الجماعة ردوه، قالوا لا ما نقبل وأحيانًا يقولون كلمة قبيحة يقول أبو هريرة ليس فقيها ولا نقبل حديثه إذا خالف القياس، وطبعا ابن القيم رد عليه في إعلام الموقعين وبين أن هذا الخبر على القياس، وردوا أحاديث كثيرة وقبلوا أيضا أحاديث واهية.

ولهم أصل أيضا: يقولون الزيادة نسخ، والسنة لا تنسخ القرآن. يعني إذا جاء في القرآن حكم تفصيلي ذكر تفصيلا وجاء في السنة زيادة عليه أنهم لا يقبلون الزيادة، لكن إذا حكم لم يذكر في القرآن نهائيا وجاءت السنة به ما عندهم مشكلة، إذا عموم في القرآن وخصصته السنة ما عندهم مشكلة مثلا الجلد خصص بالرجم ما عندهم مشكلة لكن إذا زاد على الحكم مثل قالوا الله عزوجل ذكر في الزانية والزاني الجلد فالسنة جاء التغريب نغربهم سنة نبعدهم عن ديارهم عاما، فالجماعة هؤلاء أيش قالوا؟ قالوا لا هذا الخبر زيادة على السنة والزيادة نسخ، فرد عليهم الآخر وقال لا الزيادة ما هي نسخ الزيادة توضيح مثل ما أنتم تقبلون التخصيص وتقبلون.. ورد عليهم الإمام الشافعي.

وقالوا لهم أنتم تجيزون الوضوء بالنبيذ وفي القرآن لا يوجد إلا ماء وتراب إلى اخره..

ولهم قواعد وقالوا خبر الواحد في الحدود لا نقبله وإلى آخره ثم أصولهم هذه يناقضونها، وعندهم حاجة اسمها الحيل تعرفون نكاح التحليل؟ لما واحد يتزوج امرأة لا يريدها حقيقة وإنما فقط ليحللها لرجل آخر طلقها ثلاثا، الحيل عندهم أصلها جائز، وبعض الحيل يختلفون فيها ولهذا الإمام البخاري عمل كتابا في صحيحه اسماه كتاب الحيل يرد عليهم يعني معناه إبطال الحيل، وبسبب هذه الأصول التي من خلالها ردوا أحاديث كثيرة وقبلوا أيضا أحاديث واهية في مقابلها اشتد نكير الناس عليهم وكان من أكثر من رد عليهم الإمام الشافعي، حتى تكاد تكون مصنفات الإمام الشافعي ثمانين بالمئة منها رد على أهل الرأي وكشف تنقاضهم، **فأهل الرأي هؤلاء حفظكم الله كانوا خامة للجهمية** لما ظهر التجهم الجهمية تستروا بمذاهب الشيعة وأهل الرأي، وأخذوا أصول أهل الرأي وطوروها، فمثلا بشر المريسي أخذ كلام أهل الرأي عن خبر الواحد وقال: أنا لا أقبل خبر الواحد في الصفات مثل ما أن أصحابي لا يقبلونه في كذا وكذا بعدين طوروها، وصارت من خبر واحد إلى خبر آحاد لو يروي اثنين لو يروي ثلاثة ما يقبلون، ولهذا المحنة في زمن الإمام أحمد لماذا صارت محنة؟ لأن

القضاة غالبهم حنفية وقد انتشر قول التجهم في الحنفية، طيب القضاة لماذا غالبهم حنفية؟ هارون الرشيد هو السبب، كان قرب أبا يوسف وصار أبو يوسف لا يولى قاض إلا بمشورته حتى أن بعض القضاة لما ولوا يعني بعيدا خصوصا في العواصم هو كان ممكن يتساهل ببلدان بعيدة لكن العواصم الكبيرة ما يرضى، لهذا لما ولي حفص بن غياث قضاء الكوفة كان أبو يوسف يتتبعه يحاول أن يجد له زلة كما ذكر لك المعافى النهرواني في كتابه الجليس الناصح والعجيب أن حفص بن غياث هذا صاروا يذكرونه في الحنفية، الحنفية عز ألا يكون منهم وهو ليس منهم، لهذا ابن ابي دؤاد حنفي. رأيت حفظك الله، بشر المريسي حنفي وكان ممن قام في المحنة إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة حفيد أبي حنيفة وكان جهميا، والحنفية انقسموا فيهم من هو جهمي وفيهم من ليس جهميا، ولهذا الإمام أحمد لما دخل بغداد في المحنة ستجد في بعض الروايات في تاريخ بغداد يقول: شمت به الشيعة في بغداد وأهل الرأي الذين هم الحنفية، لأنه هذا يعتبر خصم لهم هذا إمام أهل الحديث، إلا بشر بن الوليد، بشر بن الوليد كان قاضيا نبيلا فهذا ما حرض على أحمد بل ما رضي يجيب بالقول بخلق القرآن بل كان هو استتاب ابن أبي دؤاد ولهذا عزلوه من القضاء بعد ذلك هذا الرجل الله المستعان وقع في الوقف، وبشر بن الوليد لا زال أهل الحديث يذكرون له هذه الفضيلة.

فذكر أصحاب أبي حنيفة هنا هذا يوحي لك من مقويات أنه الكتاب للإمام، لأنه فعلا فعلا المحنة قام عليها القوم وليس كل الأحناف قائلين بهذا ولكنهم كانوا أكثر فئة قبلت هذا المذهب وكثر فيها، لهذا مثلا إسحاق بن راهوية يقول: لقد جئت من خراسان وما كنت أظن أن أحدا يرد على أبي حنيفة.

معنى ذلك أن أهل خراسان كان منتشر عندهم المذهب الحنفي، تجد في مسائل الكوسج الإمام أحمد يُسأل عن أهل الحديث في خراسان يظهرون العداوة للجهمية؟ فقال: لا لا يستطيعون.

إذًا معناته أن التجهم انتشر فيهم، وقد نبه على هذا المعنى ابن تيمية أنه لماذا انتشرت البدعة في أهل الرأي بشكل أسرع أقوى؟ لأن الحديث فيهم قليل وأصولهم ليست متينة مثل أصول أهل الحديث.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٨٦/٢٠: وأن البدع في غير الحنبلية أكثر منه في الحنبلية بوجوه كثيرة.
يقول: لأن نصوص أحمد في تفاصيل السنة ونفي البدع أكثر من غيره بكثير، فالمبتدعة المنتسبون إلى غيره إذا كانوا جهمية أو قدرية أو شيعة أو مرجئة لم يكن ذلك مذهبا للإمام إلا في الإرجاء فإنه قول أبي فلان.

يقول ابن تيمية أن الشيعة والمعتزلة والمرجئة والقدرية اذا انتسبوا لمالك أو للشافعي أو لأبي حنيفة أو لأحمد انتسابهم يكون تناقضا لأنه أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد هذه ليست مذاهبهم إلا الإرجاء هو مذهب أبي حنيفة، ولكن قال أبي فلان لأن السياق ليس سياقا لطيفا.

وأما التجهم فأُختلف النقل عنه.

يعني اختلف النقل عن أبي حنيفة هل قال ببعض مقالات الجهمية أو لا؟ ولكنه لا يقول بكل مقالات الجهم لا شك إنكار العلو بالذات.

ولهذا اختلف أصحابه المنتسبون إليه ما بين سنية وجهمية ذكور وإناث مشبهة ومجسمة لأن أصوله لا تنفي البدع وإن لم تثبتها.

المعلمي ذهب إلى شيء أبعد من هذا ذهب إلى أنه أهل الرأي كانوا يحاولون أن ينتقموا من أهل الحديث تحت ستار قضية القول بخلق القرآن وإن كانت فعلا هذه عقيدتهم يعني بعد ما تجهموا، فهو يقول مخاطبا الكوثري: يقول له كيف انتشر مذهبك؟ -بعد ما الكوثري استهزأ ببعض أهل الحديث الذين انقرضت مذاهبهم-

يقول المعلمي في كتابه العظيم التنكيل: ولي أصحابكم قضاء القضاة فكانوا يحرصون على ألا يولوا قاضيا في بلد من بلدان الإسلام إلا على رأيه فرغب الناس فيه ليتولوا القضاء، ثم كان بعد ذلك يسعون في نشر المذهب في جميع البلدان.

أبو اليمنى الكندي رجل متأخر معاصر كان حنبليا ثم صار حنفيا، يقول ابن قدامة؛ غير مذهبه للدنيا.

نرجع للمعلمي يقول: كانت المحنة على يدي أصحابكم،

-انظر المعلمي الآن يحلل-

يقول: كانت المحنة على يدي أصحابكم واستمرت خلافة المأمون وخلافة المعتصم وخلافة الواثق وكانت قوى الدولة كلها تحت إشارتهم فسعوا في نشر مذهبهم في الاعتقاد وفي الفقه في جميع الأقطار وعمدوا إلى من يخالفهم في الفقه فقصدوه بأنواع الأذى، ولهذا تعمدوا أبا مسهر عبد الأعلى بن مسهر عالم الشام وارث فقه الاوزاعي والإمام أحمد بن حنبل حامل راية فقه الحديث، وأبا يعقوب البويطي هؤلاء كلهم سجنوا وضربوا في محنة القول في القرآن، وأبو يعقوب البويطي خليفة الشافعي وابن عبد الحكم وغيره من المالكية إلى آخر كلام المعلمي.

أيضا نعيم بن حماد مما يؤكد كلام المعلمي عندنا نعيم بن حماد شيخ البخاري الذي قُتل في سجون الجهمية هذا رجل كان كثير الرد على أهل الرأي حتى له ١٥ كتابا في الرد عليهم وهذا الرجل قصد بدرجة زائدة من الأذية، يقول البخاري: ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الله ليس بخلق وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل... إلخ يقول: فضُيق عليه حتى مضى إلى سبيله وتوجع أهل العلم لما نزل به -لأنه قتل-

يقول المعلمي أيضا معلقا لما طعن الكوثري في نعيم بن حماد يقول: نعيم من أخيار الأمة وأعلام الأئمة وشهداء السنة ما كفى الجهمية الحنفية أن اضطهدوه في حياته إذ حاولوا إكراهه على أن يعترف بخلق القرآن فأبى، فخلدوه في السجن مثقلا بالحديد حتى مات

فجر بحديده فألقي في حفرة ولم يكفن ولم يصلى عليه صلت عليه الملائكة حتى تتبعوه بعد موته بالتضليل والتكذيب على أنه لم يجرؤ أحد منهم على تكذيبه قبل... إلى آخره

فهذه القصة إن شاء الله سيبسط فيها أظن يوسف سمرين في كتابه تاريخ علم الكلام عن علاقة المحنة بخلاف أهل الحديث مع أهل الرأي.

فكلمة الإمام أحمد هذه دقيقة جدا وتبين لنا بعدًل تاريخيًا مهملًا، سبحان الله.

فإذا سألهم الناس عن قول الله:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا يفعل ولا له غاية، ولا له منتهى.

يقول الدارمي: نفي الحد والغاية أصل كلام جهم.

ما معنى الحد والغاية؟ الله عز وجل كما أنه أول لا بداية له لكن هناك أشياء بعده، هو أيضا فوق كل شيء ولا شيء فوقه ولكن هناك أشياء تحته هم لا يثبتون هذا التحت لله، الآن الله عز وجل أليس له حجاب؟ لو كان في كل مكان ما فائدة الحجاب؟ (حجابه النور لو كشف عنه لأحرقت سبحات وجهه ما أنتهى إليه بصره)

يقولون: ولا له فعل.

كل هذا مشي وراء فلسفة أفلاطون في المطلق بشرط الإطلاق وسنشرحها لكم.

يقول ولا يدرك بعقل.

طيب أليس الجهمية جماعة العقل؟ كيف يقولون الله لا يدرك بعقل؟ يا أخوة هذه العبارة دقيقة جدًا، نعم هذا مذهبهم والله. هذه الكلمة سمعت عدنان إبراهيم يقولها بالنص وعدنان هذا محقق في التجهم، يقول أنت عقلك البشري محدود فهل تظن أنك تفهم الله كما ينبغي. طيب ما معنى هذه العبارة ولا يدرك بعقل؟

معناه أنه لا يستخدم في حقه قياس الأولى، يعني مثلا نحن نقول مانح الكمال أولى به، النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرب للناس هذا المعنى فيستدل لهم بالعقل على صفات الله فيقول لهم مثلا: ارأيت لو كان على أمك دين أكنت تقضينه؟

وكان يقول لهم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة ملقية ابنها في النار. ماذا قالوا؟ قالوا لا قال فالله أرحم. هذا استدلال عقلي أنك تنظر للذي أمامك فتقول الله مانح الكمال أولى به، هذا عند الجهمية ما يمشي.

ثم يقال أهل عقل.. لا غير صحيح قياس الأولى هذا لا يستخدمونه نهائيا، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقرب قال القمر صحوا ليلة البدر قالوا بلى قال فالله أكبر. وسترون الله عز وجل كذا وكذا.

فنحن الحس الذي نراه كل كمال في الدنيا تراه أمامك كل كمال من الله وكل نقص بسبب ذهاب هذا الكمال، والله عز وجل مانح الكمال وهو أولى به فكل شيء في هذه الدنيا يذكرك بالله، لهذا يقول الراحمون يرحمه الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء {بالمؤمنين رؤوف رحيم} إلى آخره.

الجماعة هؤلاء العقل يستخدمونه في التعطيل لا في الإثبات، هم الآن يقولون الله لا يُرى لا نراه نهائيا.

ونحن نقول: الله نراه ولكن لا نحيط به.

هم أيضا في العلم قالوا نحوا من هذا قالوا الله لا نعلم عنه شيئا.

نحن نقول: نحن نعلم عنه أمورا سبحانه وتعالى ولكن لا نحيط به علما.

فرأيت هذه العبارة يا أخي منتهى في الدقة، ثم العبارة الآسرة التي بعدها والتي تشرح مذهب المتكلمين كأدق ما يكون:

وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله،

يأتي واحد يقول: أيش يقول الإمام ألم نقل أن هؤلاء الجهمية ينفون الصفات؟
نعم هذه طريقتهم في النفي، كيف؟ أنا أقول لك الأخوة الذين **درسوا القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين مر عليكم أول قاعدة: أسماء الله أعلام ونعوت.**
لماذا وضعت هذه القاعدة؟ أيش معنى أعلام ونعوت؟ يعني أنك من خلالها تعرف الله وهي تدلك على صفات الله.
هل أحد يعارض في هذا؟ نعم الجهمية بأصنافهم يعارضون هذا، يقول بعضهم مثل ابن حزم وتأمل كيف هذا الرجل مع علمه ضل هذا الضلال الكبير يقول: أسماء الله أعلام وليست نعوتا.
أيش معنى هذا الكلام؟ يعني القدير العليم السميع البصير كلها معنى واحد أنها تدل على الله، يعني ما لله معنى اسمه سمع غير المعنى الثاني الذي اسمه البصر غير المعنى الثالث الذي اسمه العلم.

معقولة يقولون هذا الكلام؟ نعم يقولون هذا الكلام لا إله إلا الله. كيف؟ يعني الآن يجوز بالدعاء أقول يا رحيم انتقم منهم.
يجوز؟ يقولون لك: نعم عادي هي معناها واحد أصلا لا فرق التسعة وتسعين اسم تدل على معنى واحد فقط والأكثر.
أعوذ بالله ما الذي حملهم على هذا؟ يعني كيف هذا الكلمة؟
هذا الذي يقوله لك أحمد عامتهم يقررونه حتى متأخرين الأشعرية عدد منهم يقرر هذا المعنى بالنص.
طيب أنت تقول: ينكرون صفة السمع صفة البصر صفة العلم طيب أيش يسوون ينكرون قرآن الله والله يقول {سميع بصير}؟ هم يقولون لك: نعم الله سميع، سميع بذاته بصير بذاته.

يعني أيش سميع بذاته بصير بذاته؟ يعني أن الله عز وجل ليس سميعا بسمع وإنما يسمع بذاته، ومعنى السمع ومعنى البصر هو معنى الذات.

هو هذا التعطيل، يعني الآن لو أقول لك معنى أن الله سميع أنه يخلق السمع في غيره.

بالله هل هذا معنى السمع المعروف عند الناس؟ لا، السمع أنه يسمع، هذا التعطيل هي نفسها سميع بذاته بصير بذاته متكلم بالذات فاعل بالذات.

أعوذ بالله ما الذي أوصلهم لهذا؟ أوصلهم لهذا بلية اسمها شبهة التركيب، مصيبة كارثة، أوصلهم لهذا التوحيد فيما يزعمون عندهم هذا هو التوحيد.

أيش معنى التوحيد؟ أن تجعل الشيء واحدًا صح؟ يقول لك: نعم نحن هكذا وحدنا جعلنا الله عز وجل واحدًا ما جعلناه مفتقرا لغيره.

من تحدث عن الافتقار للغير؟! يقول: أنتم تقولون هذا تقولون له سمع وبصر وقدرة، هكذا صار الله مفتقرا لغيره.

نقول له: يا ابن آدم كلمة الغير هذه لها معنيان عند أهل الكلام، المعنى الأول: أنه ما يجوز أن يعلم به دون الآخر، والمعنى الثاني هو ما كان مفارقا.

فالله عز وجل هذه صفاته، بل أصلا لا توجد صفات بلا ذات ولا ذات بلا صفات، مجرد ما نقول خالق ثبتت له عدة صفات: الغنى الرحمة إلى اخره. ثبت له هذه الصفات، وأيضا نحن نتعلم عن الله فنحن لا نحيط بالله علما، اليوم نعلم من صفاته شيئا وغدًا وغدا نعلم شيئا. وهذه الله ليس مفتقرا لها، بل أنتم متناقضون أنتم تصفون الله بأمور رغما عن أنوفكم، فسبحان الله.. فكلمة غير هذه أغلوطة يستخدمونها، فنقول لهم إن أردتم بغيره أنه شيء منفصل عنه فلا شك الله غني وكل شيء مفتقر له، وإن أردتم بالغير صفاته فلا والله صفاته من ذاته ولهذا كلمة جعفر بن محمد العظيمة لما قال في القرآن كلام الله: القرآن كلام الله ليس بخالق -يعني ليس هو الذات- قال: ولا مخلوق. -يعني ليس هو المفعولات إنما هو فعل هو صفة لله عز وجل-.

لهذا هو يقول لك تجسيم وتركيب ولماذا نقول لله يد ولله وجه، عندهم أن هذا تجزؤ وافتقار والتركيب يقتضي الافتقار.

نقول لهم: الافتقار إذا صفة خارجية أما صفاته فهذا لا لا موجود.. حتى يقولون يا أخي التوحيد {وقل هو الله أحد} نعم. {الله الصمد. لم يلد ولم يولد} صفات.

{ذرني ومن خلقت وحيدا} الله سماه وحيدا، وهو له صفات بشر. صح؟ له صفات. هذا ليس لسان القرآن، هذا لسان اليونان الذي عندهم حاجة يسمونها المطلق بشرط الإطلاق، يتصورون وجود ذات مجردة عن الصفات، هذا خيال تخيله أفلاطون وهو لا وجود له يستحيل، بل فكرة متناقضة سفسطائية وعلى هذه الفكرة بني منطق أرسطو أصلا على هذه الفكرة الملعونة وهذه الفكرة أفسدت عقول الناس قرونا، ولهذا يقول لك: ولا يكون فيه شيئان.

تعبير دقيق، لهذا المعتزلة لما يكلمون الأشاعرة يقول: تثبتون سبع صفات؟ سبعة! يعني سبعة ألهة! سبعة! فقال الأشاعرة: لا نحن نرجعها إلى معنى واحد. بعضهم قالها.

فأنتهى بعض متأخري الأشعرية مثل الرازي وغيره إلى قول الجهمية المعتزلة بالضبط.

يقول: ولا يمين ولا شمال.

(كلتا يديه يمين) أي شيء يثبت وجود حقيقي لله أنه متميز عن خلقه لا يوجد، عدم.

ولا خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم.

هذه مثلا تقرأ كتاب الإكليل للسيوطي تجده يقول لا له لون ولا.. نفس العبارات التي نقلها أحمد عن الجهمية.

وليس هو بمعلوم ولا معقول وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

إذًا ما هو؟ لهذا في الأساطير اليونانية التي هم أخذوا منها أو حتى في الأساطير الفرعونية يسمون الله خالق الألهة يقولون الذي ليس له اسم، حتى هيرودورس يقول: ووجدتهم يحتفلون بمولد الآله هذا الآله لا يسمى. حتى في أساطيرهم يعني في بعض أساطيرهم أنه ذهب البطل وقاتل الألهة وقاتل الآله إلى أن وصل إلى آله الآله أكبرهم، ومع ذلك عندهم فطرة يعني حددوا له مكانا، فأراد أن يكمل فقال له المِلَك الذي معه: لا هذا ليس مثلهم هذا مختلف إذا اقتربنا منه ننتهي تماما فخلاص دعنا نرجع.

ولهذا جاءت فكرة القبورية كانت عند اليونان الأوائل أن بعض الرجال الصالحين يصعدون إلى السماء فيصيرون ألهة بحسب ما فعلوه في الأرض من صالحات وغير ذلك، فلهذا هم يستغيثون بالموتى عادة حتى لما سألوهم قالوا لماذا تستغيثون بالموتى ولا تستغيثون بالأحياء، فقالوا الولي وهو حي كالسيف في غمده فإذا مات خرج السيف من غمده، وطبعا هذا كله كلام فاضي هم يريدون هذا المعنى، ويكلمونك بالتنزية ويريدون بالتنزيه التعطيل تماما.

لهذا رأيت شبهتهم هذه؟ هي عين شبهة الملاحدة اليوم، الملحد يقول لك: هل الله مفتقر لنا حين يخلقنا؟ زعم أن الله مفتقر.

فتقول له: الله عز وجل خلقنا الله عز وجل نحن المفتقرون ونحن من آثار أفعاله فالله أظهر كماله بكماله، فالله على كل شيء قدير أليس كذلك؟ فالذي على كل شيء قدير أكمل في حقه أن يخلق أو لا يخلق؟ يخلق. ثم أنه سبحانه وتعالى لما خلقنا أظهر كماله بكماله، فإن آثار اسمائه مثل الرؤوف والرحيم والتواب والغفور ظهرت في الخلق، حتى هذه النظرة الاختزالية مثلا حين يقول لك لماذا يعذب الله الناس في النار؟ أليس رحيما؟ نظر فقط إلى صفه الجمال وترك صفات الجلال لله عزوجل أيضا له حق وله جلالة وهو على كل شيء قدير ويعذب أعداءه فالله عزوجل له صفات وله أفعال وأفعاله من صفاته تقدس اسمه، وهذه الصفات والأفعال لها آثار اختيارية أوجدها، أفعالها بمشيئته سبحانه وتعالى والخلق مفتقرون إليه أوجدهم بإرادته إن شاء وجدوا وإن لم يشاء.. وإن شاء وجدوا على هذه الصفة وإن شاء وجدوا على..

وهذا كله يدل على أيش؟ على المشيئة وعلى الاختيار وعلى الحكمة.

يقول أحمد: قلنا لهم هو شيء؟

طبعا الجهم ما يرضى يقول شيء {قل أي شيء أكبر شهادة قل الله} لكن هؤلاء الذين يكلمهم أحمد هؤلاء جهمية لا الجهم نفسه، لو الجهم نفسه لن يقول شيء، أتفق أصحاب المقالات أن الجهم لا يقول الله شيء، لكن هذا دليل أنه هذا ليست قصة مقاتل مع جهم.

قال أحمد: وقلنا: هو شيء.

فقالوا: هو شيء لا كالأشياء.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل، أنه لا شيء.

عجيب يعني هل أحمد هنا يشبه؟ لا. أحمد يثبت القدر المشترك الذي من خلاله يتحقق الوجود.

أعطيكم **قصة المطلق بشرط الإطلاق التي هي فلسفتهم**، أيش معنى المطلق بشرط الإطلاق؟

الآن عندنا مشترك ومطلق، عندنا مثلا الماء عندنا ماء نجس وماء طاهر يشتركان في المائية ويفترقان في النجاسة والطهارة.

وعندنا ممكن نقول ماء يعني أطلقناه ما قيدناه بقيد النجاسة أو بقيد الطهارة، فهم يقولون الله مطلق، يعني غير مقيد بأي وصف، بشرط الإطلاق يعني لا يشترك مع أي موجود آخر بأي صفة بالمعنى الإجمالي.

طيب نقول لهم: الله موجود ونحن موجودون، والله أوجدنا منَّ علينا.

فيقولون: لا لا الوجود هذا اشتراك لفظي فقط، الحقيقة تختلف.

نقول: نعم الحقيقة من ناحية كمال الله ونقصنا، لكن الوجود الذي هو انتفاء العدم والحضور في الواقع هذا معنى مشترك،

ولهذا الله من علينا بذلك ومانح الكمال أولى به، الله جميل يحب الجمال رحيم يحب الرحماء ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتر يحب الوتر. هذا كله تدل على هذا المعنى وهذا إن سمعوه قالوا تشبيه تجسيم، القصة ليست يد ووجه فقط ولهذا يقول لك لا نثبت لله الوجه، إذًا ماذت سنرى يوم القيامة؟ ما ترى شيئا.

هذا الذي قاله احمد هذا كلمات عربية، في درء التعارض تجد ابن تيمية يرد عليهم بنفس الكلام لكن باللفظ الجديد الذي هو المطلق بشرط الإطلاق وغيره وغيره وغيره، اليوم يأتيك ويكلمك يقول لك الله منزه الله غير مشبه الله، حتى عدنان إبراهيم اعترف قال لا الاشتراك ليس لفظيا في الوجود، الاشتراك معنوي.

الآن مثلا نحن نفرق بين السمع والبصر ونقول السمع صفة تختلف عن البصر، السمع إدراك له علاقة بالأصوات، البصر له علاقة بالمرئيات.

الآن مثلا يخرج لك عبد الله رشدي في فيديو ويقول لك: الاشتراك بين أسماء الله وأسماء الخلق لفظي فقط.

هذا دمار هذا منتهى التجهم هذا منتهى الفلسفة هذا حتى الاشاعرة الأوائل لا يقولون به، هذا قول خطير جدًا،

يعني تعرف أن اقول لك الله سميع، تقول يعني أيش سميع؟ أقول لك لا أدري. تقول له: يعني السمع ما تتصور أنه يتعلق بالأصوات؟ أقول والله ما أدري نهائيا ما أدري يتعلق بأصوات يتعلق بمرئيات ما أدري.

نعم هذا الذي ماله طبعا الرازي وغيره والمتأخرين.

النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا: {سميع بصيرا} أشار إلى سمعه وبصره، يقول أبود داوود: في هذا الحديث رد على الجهمية.

الإمام أحمد يقول لهم أن الشيء الذي لا كالأشياء -يعني على معناكم الذي تسمونه مطلق بشرط الإطلاق- قد عرف أهل العقل أنه لا شيء.

وهذا قول السلف الآخرين: المعطل يعبد عدما.

الآن العقيدة هذه التي مثلا تدرس في عدد من المعاهد العلمية، أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا كذا هذا عدم.

لهذا محمود بن سبكتكين لما جاءه ابن فورك فاتح الهند ومهدم أصنامها، لما ابن فورك الأشعري ذكر له عقيدته، فقال له ابن سبكتكين؛ ميز لي ما تقوله عن العدم.

نفس حجة أحمد، أهل الفطرة كلهم يحدثونهم بهذه الطريقة، فابن فورك ما عرف يجاوبه، حتى ابن تيمية يقول إن الذين يعتقدون هذه العقائد يقهرون فطرهم.

ابن القيم يقول في النونية: أعدمتوه بقولكم لا داخل هو ولا خارج الأكوان

فعلا وسبحان الله يذهب من قلب الإنسان كل مهابة لله عز وجل بعد هذا الأمر، حتى شيخ الإسلام يذكر في شرح الأصبهانية يقول إن الذي يميل إلى هذه العقائد تجده اما أنه يصير زنديقا متهاونا بالفرائض -وهذا موجود يوجد رجل كان حنبلي اسمه ابن مني ومع حنبليته كان شقيا كان مشتغلا بهذه الجهليات التي يسمونها عقليات، يقول عنه ابن النجار: كان يستهين بأهل الحديث يقول لا يعرفون العقليات هذا الرجل يذكرون في ترجمته أنه كان مستهين بالصلوات والآمدي وغيره. يقول ابن تيمية أو يصير يعبد كل شيء أو يعبد بعض

آثار الله مثل هذا الذي يحصل عبادة القبور وإلى آخره. هم عادةً إذا كلموا العوام يوهمونهم أنك إذا أثبت لله صفة العلو كأنك تقول أن الله عز وجل تعالى الله محجوز بغرفة تعالى الله لا أنك تقول أن الله فوق كل شيء ولا شيء فوقه، فيجلس يقول لك: جهة.. تجسيم.

رأيت كلمة تجسيم؟ التجسيم عندهم باختصار كل ما ينافي هذه العقيدة اللعينة.

لهذا حتى نشروا فيديو عني في اليوتيوب يقول لك انظر هذا المجسم يثبت لله صفة الثقل المجسم لا خفيف ولا ثقيل ركز.

لا خفيف ولا ثقيل هذه السلف قالوها، {السماء منفطر به} قالوا: من ثقل الرحمن.

قالوا: نور كله. هذا كلام فقط يعني هي هكذا نور بالذات، ولهذا مثلا تجدهم يقولون: الله لا متحرك ولا ساكن. بعضهم زودوا وجودوا كله رفع نقيضين، طيب هو الآن حين تقول لا يمين ولا شمال ولا نواحي ولا جوانب كله هذا تعريف العدم، هذان نقيضان لا يرتفعان كيف ترفع النقيضين؟ فبعضهم ما الذي فعله؟ جاء يتحذلق، قال عادي نحن ممكن نقول الجدار ليس بذكر ولا أنثى.

طيب هذا مدح أو ذم؟ الجدار ليس ذكرا ولا أنثى لكن له وصف اسمه جماد. الملائكة عند السلف قالوا ذكور، عند المتأخرين يقولون: ليسوا بذكور ولا إناث. طيب في وصف الخنثى في وصف الذي ما يقبل هذه الأمور. الله عز وجل قال: {لم يلد ولم يولد} لغناه، **فالله عز وجل ما ينفى عنه شيء إلا لإثبات الضد.**

فمثلا نقول الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة لكمال عدله، لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وقيوميته.

الآن أعظم آية في القرآن آية الكرسي؛ لماذا صارت أعظم آية القرآن؟ كلها تتكلم عن الله، وقالوا فيها الاسم الأعظم اختار هذا بعض السلف من تابعي الشام القاسم أن الحي القيوم اسم الله الأعظم قالوا لأنه ترجع إليه كمالات الصفات كلها، فالحي ترجع إليه كمال كل الصفات الذاتية كل الصفات التي لا تنفك عن الذات من كماله، والقيوم يرجع إليه كمال الصفات الفعلية المتعدية أفعال العباد.

وهذا المعنى موجود في الاسم الآخر الذي قال السلف أنه اسم الله الاعظم أيضا: ذو الجلال والإكرام.

ذو الجلال ترجع له كل الصفات الذاتية، والإكرام ترجع له كل الصفات الفعلية التي يعني ما يفعله لعباده، فهو ذو جلال في نفسه ذو إكرام لغيره، هو حي في نفسه كمال الحياة قيوم على غيره سبحانه وتعالى، سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن كلها عن الله، فمقصد الوحي الأصلي التعريف بالله، هؤلاء هدموا الأمر، لهذا القسري لما قال أن الجعد زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، تعرف ما الذي فسروا فيه الخلة؟ وهذا التفسير الموجود حتى في كلام ابن عقيل قالوا:الخلة الافتقار. من الذي افتقر؟ إبراهيم.

والله عزوجل جردوه من الصفة، طيب كل المخلوقات مفتقرة لله!

الله يحب عباده ويحب يعني هذا من أعظم ما يقع في نفوس العباد انهم يرجونأن الله يحبهم ويحبونه، أزالوا هذا الأمر بكل جمود سبحان الله، وموسى الكليم لم يكلم موسى تكليما فسبحان الله السلف فقهوا مقالاتهم تمام الفقه.

حتى أنا دائما أتي بعدنان إبراهيم لأن هذا فاهم. فأيش يقول عدنان؟ يقول: عقيدة متأخري المالكية على عقيدة الجعد.

هو يقصد بمتأخري المالكية الأشعرية، وليس كل المالكية أشعرية ولكن هذه دعاياتهم، وعلى فكرة لا تجد في المالكية معتزليا إلا اثنين أو ثلاثة ذكروهم وبعد البحث ظهر لي أنهم ما يثبت حتى أن بعض الشعراء يعني يقول مخاطبا محبوبته يقول: يا مالكي كيف صرت معتزلي.

يلعب بالألفاظ هذه مثل غرامي صحيح والرجاء فيك معضل، يقول: يا مالكي يعني هي تملكه ،كيف صرت معتزلي يعني كيف اعتزلتني هكذا. نعم. وهي فيها فائدة أنه فعلا المالكي والمعتزلي لا يجتمعان في الغالب يعني، فهي أيضا فيها فائدة علمية.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل، أنه لا شيء.

فعند ذلك، تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية.

هذه الكلمة قيلت في ابن سينا لما أفرط في التجهم، قال بعض أهل الكلام قال فلان ذكر شخصا: حقيقة مذهب ابن سينا التعطيل الإلحاد لكنه يدفع عن نفسه الشناعة بهذا، يقول وإلا هو ذكي ويعرف أن حقيقة مذاهبهم.

وابن تيمية يقول: هم أهل إلحاد على التحقيق.

وقلت لكم أن هذه المقالات استفاد منها الملاحدة، ذكرت لكم في نقاش جلال العظم مع محمد سعيد رمضان البوطي، ما الذي قاله جلال العظم للبوطي في رده عليه؟ قال له: الإله الذي تتكلم عنه يا البوطي هو نفس إله جهم هذا عدم.

-حتى نيتشه لما تكلم عن الإله الميت كان يتكلم عن هذا المعنى- قال له: هذا عدم ومقالتكم هي مقالتنا لكن أنتم تلفون وتدورون. وقد علم أهل العقل وأهل الفطرة أن كلام جلال العظم الملحد لعنة الله عليه صحيح. والله حق. قد نبه على هذا سمرين في كتابه نظرية المعرفة.

ابن تيمية يقول: ابن عربي أغتر بالآمدي، الآمدي رجل أشعري،

الآمدي وصل إلى مرحلة يقول لا يوجد دليل عقلي ثابت على وحدانية الله، الأدلة سمعية فقط.

فكيف يستدل بالأدنى على الأعلى وحدانية الله، والأدلة السمعية هم اصلا ضاربينها بمكان ثانيذ حتى يقول ابن تيمية لما تأثر به بعض الناس تكلم الناس بتكفيره. والآمدي والرازي ابن تيمية يرى أن هذين الرجلين ما وقع كلامهم شطح، بل فهما تمام الفهم حقيقة مقالات هؤلاء الناس، فأنتهوا إلى الأخير الذي تكلم عنه.

القصة أن الجهم جاء بهذا المذهب وهو فاهم كل شي هو أذكاهم كلهم إمامهم فهو أقلهم تناقضا، الذي جاءوا بدأوا يحسنون المذهب يحسنون يحسنون يحسنون إلى أن جاء متأخرون عنهم قالوا: لا لا هذه التحسينات كلها لا تصلح.

إلى أن جاء الجويني قال: لا لا لا كلام متقدمينا هذا شوية حشوية مع شوية تنزيه لا لا مو صحيح إذًا لنتجهم لنتقدم خطوات زيادة. لما جاء الرازي قال لا لا بعد بعد بعد إلى أن وصل، إلى أن جاء ابن عربي: كل شيء هو الله أنهى الموضوع، انظر تعرف عميق فقه السلف.

بزماننا لما صار الملحد يقدر يتكلم براحته جاء ملاحدة وتكلموا وأنتهوا إلى الزندقة والإلحاد من وراء كلام المتكلمين وتشكيكاتهم، يقول ابن تيمية كيف تحفظون أديان العوام، **يقول ابن تيمية: العلم بالله هو أشرف المعلومات لأن شرف العلم من شرف المعلوم. يقول: وهؤلاء كل علومهم عن الله سلبية** ليس كذا ليس كذا ليس كذا ليس كذا، ليس شيئا وجوديا لا يثبتون شيئا وجوديا يخافون بحجة التجسيم بحجة التشبيه، الناس قديما إذا سمعوا أحاديث الصفات يستبشرون (ضحك ربكم من قنوط عباده مع قرب غيره قال: أويضحك ربنا؟ قال: لن نعدم الخير من رب يضحك)

بعض الناس يقول لك هؤلاء أحمد كلمهم بلازم المذهب.

ليس كل شيء لازم المذهب! فيه شيء مثلا أنا أتي وأقول لك كل صفات الأسد ثم أقول لك أنا لا أعني الأسد، فالمنافقون مثلا كان الناس يستدلون على ما في قلوبهم من الكفر بما يظهرونه أليس كذلك؟

فهذا جاء وقال لك كل كلام الزنادقة والملاحدة.

الآن ألسنا نحن نعرف بعض الناس يقول لك: أنا مسلم وأنا كذا ثم تجده يطعن في كل الثوابت؟ هذا هو الزنديق.

الحلاج على ماذا قتل؟ السهروردي على ماذا قتل؟ كلهم هؤلاء الجماعة الذين قتلوا على الزندقة، هؤلاء ممكن محافظين على مظاهر التدين أكثر من جزء كبير المسلمين الذين نراهم اليوم بأعيننا، المنافقين الله عزوجل قال: {ولتعرفنهم في لحن القول} اليوم بحجة اللازم أُسقط حتى النفاق، ففعلا الإنسان يكذب بالأحاديث الآيات عسفا على معان يتكلف، يأتي يقول لك الانبياء كلموا الناس.. الذهبي يترجم لرجل من الشافعية فهذا الرجل كان يرى النبي كثيرا في المنام ويكتب مناماته، فجاء يقول سألت رسول الله فقلت له: لماذا قال الله في القرآن وفي

التوراة وفي الإنجيل أنه في السماء وأكثر الناس ينكرون هذا -يعني العلماء في زمانه- يقول فقال لي النبي من أنكر ذلك؟ هو كذلك.

طبعا المنام صح لم يصح ما لنا علاقة هو رجل ودون هذا صدق كذب الله أعلم، لكن لاحظ كيف هذا الرجل دخل في قلبه حيرة يعني كيف الله يقول لنا في القرآن وفي كل الكتب أنه في السماء ثم بعد ذلك يأتون العلماء يقولون لا هذا غير صحيح، هذا كفر. ففعلا المعطل يعبد عدما، وهذه حقيقة الإلحاد وهذه حقيقة الكفر ولا حول قوة إلا بالله، قد يغتر بمقالاتهم من هو في باطنه مؤمن بالرسالة ولكنه خلاص هذا لا يتم إيمانك ولا يصح أصلا وأنت تنكر هذه الثوابت والقطعيات تكابر فطرتك تكابر ظواهر تكابر العقل تكابر كل شيء وتمشي وراء اليونان خيالات لأفلاطون وغيرها وغيرها وتمشي وراءها، سبحان الله نقف هنا هذا وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

المجلس السادس

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد مجلس جديد في الرد على الزنادقة والجهمية.

هناك قاعدتان من أنفع القواعد إذا أعتقدت بها وإذا سرت عليها في حياتك العلمية، وهاتان القاعدتان مما يزيدان في قلبك اليقين أن هذا الوحي من عند الله عز وجل ويجعلانك إذا نظرت في القرآن تنظر نظر متدبر لا تغفل عن آية تركز في عموم النصوص بعد دراستك للعلم.

القاعدة الأولى: أنه ما من دليل شرعي يستدل به المخالفون إلا وفيه الرد عليهم، دليل شرعي صحيح إلا وفيه لفتة تدل على الرد عليهم هذه اول. قاعدة.

القاعدة الثانية: أنه ما من مبطل ظهر وسيظهر إلى يوم القيامة إلا والرد عليه في كتاب الله عز وجل. هذه كلمة قالها مسروق والشعبي وغيرهم من السلف.

اليوم سيظهر معنا مثال حين نتحدث عن بعض استدلالات الجهمية من القرآن، وكيف أن هذه الأدلة ضدهم وليست ضدهم بل في مضامينها ما يفتح بابا طويلا عريضا للرد عليهم، سبحان الله.

مر معنا مثل في الدروس السابقة {ليس كمثله شيء} الآية فيها أن الله عز وجل وتعالى شيء، وفي تتمتها وهو السميع البصير، الرد عليهم.

ثم ليس كمثله دليل على أنه موصوف بصفات ليس عدما، وقد قلنا أنه يقال فلان ليس كفلان إذا كان هناك قدر مشترك، الله عز وجل حقا ليس كمثله شيء لا يشبه خلقه.

نبدأ بقراءة كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى والتعليق عليه:

فإذا قيل لهم: فمن تعبدون؟

قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق.

فقلنا: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة.

قالوا: نعم.

فقلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه.

هذه الكلمة للإمام أحمد يعلق عليها ابن تيمية بعد ست قرون تقريبًا من ظهور الباطنية والقرامطة الذين بنوا على هذا البلاء، وظهور أيضا متأخري الاشعرية الجهمية،

يقول ابن تيمية في درء التعارض: وهذا الذي ذكره الإمام أحمد أصل قول هؤلاء النفاة وسر مذهبهم.

-لاحظ وسر مذهبهم- وكلما كان الرجل أعقل وأعرف وأعلم وأفضل وأعلم بحقيقة الأمر بنفسه وبقول هؤلاء النفاة إزداد في ذلك بصيرة وإيمانا ويقينا وعرفانا.

فسبحان الله وأيضا في شرح الأصبهانية صفحة ١١٨ من طبعة محمد عودة السعوي يقول: وكذلك الجهمية تكتم حقيقة قولها عن أتباعهم، وكذلك الملاحدة يكتمون حقيقة قولهم عن أكثر أتباعهم، لأن المقالات الفاسدة في الإلهيات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام.

لهذا شرح مذهبهم هو من ضمن الرد عليهم مجرد أن تشرح مذهبهم ما هو وتحكيه للعامة هذا يكفي في الرد عليهم، دائما أكرر لكم كلمة شيخ الأزهر الذي يقول فيها: أننا لو نزلنا بالمذهب الأشعري للعامة فلن يعرفوه.. لن يفهموه.

ولهذا من فقه الرد على هؤلاء الناس أن تُحكى مقالتهم كما هي، حتى الباطنية لهذا قديما لما كانوا يصنفون على الباطنية يصنفون كتب اسمها فضائح الباطنية يعني مجرد شرح المذهب، لهذا مثلا العبيديون لما حكموا مصر والمغرب وأخذوا الشام زمنا ما كانوا يظهرون حقيقة مذهبهم، وإنما كانوا يزعمون أنهم شيعة أثناعشرية، وحتى مذهب الشيعة لا يحققونه بدقة،

لكن يزعمون للناس ظاهرًا أنهم شيعة لهذا يقولون: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض.
وهذه كلمة الإمام أحمد: قد علم الناس أنكم لا تؤمنون بشيء، وإنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه.
هذا بما يسمى بالمنطق الموجود الآن حاليًا يقول لك هذه الآن هذه مغالطة شخصنة أو هذا كلام بالنيات هذا جهل، القوم فعلا تكلموا بالنفاق حقًا وبالزندقة حقًا، ولكنهم فقط غيروا الألفاظ.

ونكمل يقول الإمام أحمد:
فقلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى.

قصة موسى هذه محورية جدًا لأنها لا تدخل عليها بقية شبهاتهم، لأن الله حين كلم موسى قال له: إنني أنا الله. فهذا لا يمكن أن يكون غير الله هو المتكلم.

قالوا: لم يتكلم ولا يكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة، والجوارح منفية.
فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيمًا لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله.

الآن بعض الناس إذا أراد أن يميع الخلاف مع الجهمية المتأخرين يقول: هؤلاء إنما أرادوا التنزيه.
طيب والجهمية الأولى نفس القصة أرادوا التنزيه.
والواقع ينزهونه عن ماذا؟ عن ظاهر القرآن والسنة؟
ينزهونه عن ماذا؟ عن ما وصف به نفسه.
ينزهونه عن ماذا؟ ينزهونه عن كماله تقدس اسمه!
الكفار زعموا أنهم ينزهون الله عنان يبعث عن أن يبعث رسولا. باليوم تجد العلماني وغيره يزعم أنه ينزه الله عن أن يشرع تشريعات بربرية أو عن تشريعات فيها أذية للناس وغير ذلك.

الآن لو ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى كفار قريش وشافههم بما يخالف ما كان عليه أباؤهم فقال له شخص: أنا أكفر بك لأنك تخالف ما جاءنا عن أبائنا. فإن هذا شخص صريح. وجاءه آخر قال: بل أنا أؤمن بك يا محمد ولكن كل ما خالف كلام أبائي فإني سأقول أنا أنزه الله عن أن يخالف كلام ابائي وأنا انزه الله عن كذا.. وأحرف أو أنكر.
هل هذا سيكون مقبولا؟ هذا سيكون منافقًا كافرًا ولم يؤمن بالرسالة على التحقيق.

يقول الإمام أحمد:

فمما يسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق؟

هذا السؤال نأتي به هو إلى جانبنا، لا نجلس نتحدث عن العقليات، كلام الإمام أحمد رحمه الله هذه الطريقة في النقاش لما نقول له تجد آية ؟ تجد حديثًا؟ هذه ترسخ في المسلمين تعظيم النصوص.

الذهبي ذكر في تاريخ الإسلام أنه انتشر الكفر والإلحاد كثيرًا في شرخ ٣٦٠هـ وما بعدها، قال انتشر الرفض والإلحاد كانت مصر والمغرب عند العبيدية القرابطة الفلاسفة، وكانت العراق عند البويهيين الرافضة، وحلب وغيرها كانت عند بني حمدان الحمدانيين الذين هم بين رافضة وإسماعيلية منوعة هكذا.
وأيامها أيضا عما قريب أُخذ الحجر الأسود أخذوه الباطنية وكذا، وهذا الذي أخد الحجر الأسود أعاد الحجر الأسود وصار يأخذ على الحجاج أتاوة.
فمن الأمور التي ذكرها الذهبي وأستدل بها على فشو الإلحاد وذهاب هيبة الدين في القلوب -الزندقة- ما ذكره ابن أبي زيد القيرواني يقول أنا جلست في مجلس لأهل الكلام فكان يوجد اليهود والنصارى والمسلمون، فكان اليهودي أول ما يقوم يقول: لا تحتجون علينا بكتابكم وإنما تحتجون علينا بالعقل وهكذا. هذه العبارة حين يقوم هو يقولها بهذه الطريقة يكسر هيبة النص في قلبك، وهو هذا المهم.

فكان السلف إذا كلموا الجهمية قديمًا، في ذلك الزمان كان في الناس بقية، حتى الجهمي لا يمكن أن يقول لك أنا أقدم العقل على النقد صراحة كما صرح به متأخري الجهمية، لا يقولون هذا. في ذلك الوقت خلاص الناس يبطشون بك، هذه انتظروا قرونًا حتى يقولوها: نحن نقدم العقل على النقل.

فيضطر أنه يبحث عن شيء من القرآن والسنة لأجل يداري الناس مثل ما بشر المريسي وذاك الرجل الذي قال له: المحدثون يكفرونني لأني أنكر الأحاديث. قال: صدقوا قل لهم له علة.

يعني بشر المريسي يقول له الآن ليس الوقت المناسب أننا نظهر للناس أننا لا نؤمن بالأحاديث نقول له علة نطعن.

انظر لإبراهيم النظام لما أظهر مذهبه كل الناس كفروه، فبالهدوء..

فهنا الإمام يأخذهم إلى منهجيتنا نحن: الإيمان بالقرآن.

طبعا والجهمي أكبر خطأ يفعله أن يستدل بالقرآن، لأنه هو مذهبه فلسفة أفلاطونية يستحيل أن يكون عليها براهين من القرآن، ثم أنت حين تستدل على العلماء بالقرآن فأنت كما يقال في المثل عندنا: "يبيع ماء في حارة السقاية" يعني أنت أتيت للعلماء الذين هم كل حياتهم مع القرآن والسنة وتريد أن تقول لهم أنا أدركت من القرآن ما لم تدركوا!

ستقع في حرج شديد وانظر الآن إلى ما وقعوا فيه حين حاولوا أن يستدلوا من القرآن، وهذا الدليل من القرآن –على أساس أن القرآن مخلوق– موجود الآن في كتاب مفتي الإباضية أحمد الخليلي الحق الدامغ.

فمما يسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق؟ فلا يجد.

فيقال له: فتجده في سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: إن القرآن مخلوق. فلا يجد.

فيقال له: فمن أين قلت؟

هنا الإمام أحمد الآن حوار فقهاء، أنت عندك نص صريح في المسألة؟

الأدلة تنقسم إلى أنواع: إلى نص وإلى ظاهر.

النص قالوا: ما لا يحتمل معنى آخر، {أقيموا الصلاة} خلاص يدل على وجوب الصلاة.

وهناك ظاهر: يعني يدل على معنى مع احتمال شيء آخر باحتمال مرجوح.

وهناك ما يقال: هو استنباط، الآن مثلا خلافة أبو بكر الصديق. هل نص النبي عليها نصا؟ لا، هذا الصواب لم ينص عليها نصا، لكنه أشار مجموعة إشارات منها فُهم أن أولى الناس بالخلافة بعده: ألو بكر وهذا ما استنبطوه الصحابة.

فالجهمي يقول: عقيدتي ليس عليها دليل صريح لكني ممكن استنبط استنباطات.. يعني إشارات في القرآن.

فيقال له: فمن أين قلت؟

فيقول من قول الله:

الجهمي آنذاك يفرق بين الدليل الصريح وبين الاستنباط، الدليل الصريح هو الذي يفهمه العامي والعالم شيء واحد، والاستنباط لا.

ما يستدل العالم ويستخرجه، يقرأ عليك الآية فلا تفهم وجه الدلالة، فيقول لك وجه الدلالة كذا وكذا، فهنا أنت تفهم.

فيقول من قول الله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}[الزخرف: ٣] .

وزعم أن: جعل، بمعنى: خلق، فكل مجعول هو مخلوق، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزليه، ويبتغي الفتنة في تأويلها، وذلك أن: جعل، في القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية، وعلى معنى فعل من أفعالهم.

الآن قبل أن نكمل المناقشة للجهمي، هذه الآن استدلاله هذا هل يمكن أن يدل على مذهب الجهمية كله؟ الجهمية مذهبهم أن الله لا يتكلم والنصوص تدل بشكل قاطع أن الله

يتكلم، وهم بنوا على أن الله لا يتكلم أن القرآن مخلوق فهو ترك دلالة النصوص على أن الله يتكلم ثم صار يحاول يستدل على أن القرآن مخلوق، مع أنه بنى القول على أن القرآن مخلوق على أن الله لا يتكلم، فالنصوص ضده في الدعوى الكبيرة أن الله لا يتكلم، ثم ذهب إلى بعض قوله وحاول يستدل عليه بالقرآن، هذه أول درجة تدلك على أن الذي أمامك ينافق ليس جادًا.

الآن أنت استدللت على خلق القرآن، طيب ما الذي تصنع بكلام الله لموسى؟ ﴿وَنادَيناهُ مِن جانِبِ الطّورِ الأَيمَنِ وَقَرَّبناهُ نَجِيًّا﴾ ما الذي تصنع بكلام الله عز وجل تقدس اسمه حين قال للقلم: اكتب.

ماذا تصنع بكلام الله عز وجل للناس يوم القيامة: حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم أحد إلا وسيكلمه الله) (يناديهم الله بصوت يسمعه من بعد كما من قرب)

ما الذي تصنع بخطاب الله للملائكة؟ ما الذي تصنع بكل هذا؟ فرضنا أنه فيه رائحة دليل تدلك على أن القرآن مخلوقذ طيب ما الذي تصنع بالأدلة الأخرى؟ وأنت أصلا تنكر كل هذا لا تثبت ظاهره، لا تثبت أن الله يتكلم نهائيا. هذا هو النفاق الذي يقومون به.

وعلى فكرة **لا تستهينوا بقولهم بخلق القرآن**، فقد بدأوا أنهم قالوا القرآن مخلوق ثم بعض ذلك قالوا: يدخله النقص،

ثم ظهر الفلاسفة أمثال ابن عربي الذين قالوا: القرآن إلهام من جنس رؤى المنام، وهذه المقالة الآن يحمل رايتها رجل شيعي اسمه عبد الكريم شروس، ولهذا قال: القرآن عادي ممكن يكون فيه نقص.

هذه قضية النبوة المكتسبة عند الفلاسفة، الفلاسفة عندهم النبوة تختلف عن النبوة عندنا، النبوة عندنا الله يكلمك ويعلمك هذه النبوة عندنا عند أهل الأديان، الفلاسفة عندهم النبوة أنت تقتبس من الله والوحي كما هو، لهذا مثلا يقول لك باليوجا وغيره كأنك تصطاد من بحر مثل الرؤى المنامية. فلهذا عبدالكريم شروس قال: نعم القرآن وحي لكن فيه مشاكل عادي.. فيه أخطاء.. فيه عدم كمال.. ما في أي مشكلة.

طبعا هذا شروس أخذها من ابن عربي، فالخميني متأثر بابن عربي، وابن عربي أخذها من الجهمية، وعمل على مذهبه، فهذه أولا.

ثانيا: الله عز وجل لو تكلم عن صفة من صفاته، فنقول جعل الله يده مقبوضة جعل الله يده مبسوطة، هل معناه أن اليد صارت مخلوقة؟ لا.

إذًا كلمة (جعل) بحسب الفعل الواقع عليها، وهنا سيستدل أحمد عليهم من القرآن أن جعل قد تأتي بمعنى خلق، وجعل من الأفعال التي تتعدى المفعولين، فإذا تعدت إلى مفعول واحد ممكن تأتي بمعنى خلق وممكن تأتي بمعنى صير،

{جعل إبراهيم إماما} إبراهيم مخلوق لما جعله الله إماما ما تغير إبراهيم إلى مخلوق آخر وكان مخلوق من قبلها، فبمعنى صير.

فالله يقول: {إنا جعلنا قرآنًا عربيًا}

يعني صيرناه قرآنا عربيا، بل هذه الآية: {إنا جعلناه} إذًا هذا معناه أنه قرآن من الله مبدئيا.

انظر الآن هذه قاعدة كل آية كل نص يستدلون به فيه رد عليهم.

ثانيا: {عربيًا} إذًا الله عز وجل يتكلم بلغة، يوضح بلغة، إذًا هذا يدل على أن الله يفعل بالمشيئة والله إن شاء تكلم بالعربية وإن شاء تكلم بالعبرانية كما التوراة وإن شاء كلمهم بالسريانية وإن شاء كلمهم بما شاء من اللغات، فالله يتكلم بما شاء متى شاء. فهذه أصلا الآية فيها معنى المشيئة الذي هم لا يؤمنون به.

فالإمام أحمد بدأ يذكر لهم من الآيات تدل على لا تدل على أن جعل قد تأتي على معنى صير، إذا الجعل وقع على مخلوق كان موجودا قبل الجعل وما تحول إلى مخلوق آخر بعد الجعل مثل قصة إبراهيم.

ولهذا أحد شيوخ الإباضية قديما الذين كانوا لا يقولون بخلق القرآن له قصيدة:

يا من يقول بفطرة القرآن

جهلاً ويثبت خلقه ببيان

لا تنحل القرآن منكَ تكلفاً

ببدائع التحريف والبهتان

إن كان من إنا جعلناه فما

في الجعل إن أنصفتَ من تبيانِ
قد قال إبراهام رب اجعل لنا
بلداً بفضلك أفضل البلدان
وكذاك فاجعلني حنيفًا مسلمًا
حق الصلاة لوجهكَ المنانِ
أتراه كان وقد دعاه لجعله
أم لم يكن خلقاً من الرحمن

وقوله: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} [الحجر: ٩١] .

يعني الكفار خلقوا القرآن مثلا؟!، جعلوا يعني وصفوه بوصف.

قالوا: هو شعر وأنباء الأولين، وأضغاث أحلام، فهذا على معنى التسمية.
يعني سموه وصفوه

قال: {وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا}[الزخرف: ١٩] .

خلقوهم معناها؟ لا، سموهم، جعلوا وصفا من أوصافهم.

يعني أنهم سموهم إناثًا.
ثم ذكر: جعل، على معنى التسمية فقال:{يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} [البقرة: ١٩] .
فهذا على معنى فعل من أفعالهم.

والأصابع موجودة قبل وهكذا.

وقال: {حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا} [الكهف: ٩٦]هذا على معنى فعل، فهذا جعل المخلوقين، ثم جعل من أمر الله على معنى غير خلق، لا يكون إلا خلق، ولا يقوم إلا مقام خلق خلقًا لا يزول عنه المعنى، وإذا قال الله: جعل، على غير معنى خلق لا يكون خلق، ولا يقوم مقام الخلق، ولا يزول عنه المعنى.

فمما قال الله جعل على معنى خلق،

الآن أحمد يفصل لهم، قال لهم: نعم، جزء من دعواكم سليم أنه جعل تأتي على معنى خلق لكن هذا إذا تعدت إلى مفعول واحد.

فمما قال الله: جعل، على معنى: خلق، قوله:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} [الأنعام: ١] ، يعني وخلق الظلمات والنور.
وقال: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ}[النحل: ٧٨] .
يقول: وخلق لكم السمع والأبصار.
وقال: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ}[الإسراء: ١٢] .
ويقول: وخلقنا الليل والنهار آيتين.
وقال: {وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح: ١٦] .
وقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [الأعراف: ١٨٩] .
يقول: خلق منها زوجها. يقول: وخلق من آدم حواء.
وقال: {وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ} [النمل: ٦١] .
يقول: وخلق لها رواسي، ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان مثله لا يكون إلا على معنى خلق.

ثم ذكر: جعل، على غير معنى: خلق، قوله: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ} [المائدة: ١٠٣]

لا يعني: ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة.

وإنما معناها ما جعل حكم هذا الحكم من الأمر، لم يأمركم بهذا، وإلا البحيرة والسائبة خُلقت.. موجودة، الكفار بعثوها ووجدت في الخلق، وهنا هذا الفصل من أدلة أن الكتاب للإمام أحمد، الخلال في السنة قال: أخبرنا أبو بكر المروذي هذا ما أحتج به أبو عبد الله على الجهمية في القرآن، ثم ذكر آيات كثيرة أحتج بها الإمام أحمد على الجهمية من القرآن الكريم، وكان منها آيات توحيد الألوهية آيات الدعاء التي تأمر بإفراد الله بالعبادة وهذا الواجب: لماذا أحمد أورد هذه الآيات.

الإمام أحمد ذكر آيات كثيرة في معنى جعل في هذا الكتاب، وهذا الكتاب أيضا رواه الخضر بن أحمد بن المثنى الذي راوي الكتاب معنا،
نقرأ الآيات التي أستدل بها أحمد هنا في هذا الكتاب ثم نقرأ الكتاب الآخر نسرد الآيات التي ذكرها.

وقال الله لإبراهيم: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} [البقرة: ١٢٤] .
لا يعني إني خالق للناس إمامًا؛ لأن خلق إبراهيم كان متقدمًا.
وقال إبراهيم: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}[إبراهيم: ٣٥] .
وقال إبراهيم: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ}[إبراهيم: ٤٠] .
لا يعني: اخلقني مقيم الصلاة.

هذه الأدلة استدل بها الشيخ الإباضية الذي ذكرته لكم.

وقال: {يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ} [آل عمران: ١٧٦] .
وقال لأم موسى: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧] .

لا يعني: وخالقوه من المرسلين؛ لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها، ثم يجعله بعد ذلك رسولاً.

وقال: {وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ} [الأنفال: ٣٧] .

وقال: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}[القصص: ٥] .

وقال: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}[الأعراف: ١٤٣] .

لا يعني: وخلقه دكًّا. ومثله في القرآن كثير.

فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى:خلق، فإذا قال الله: جعل، على معنى خلق،وقال: جعل، على غير معنى خلق، فبأي حجة قال الجهمي: جعل على معنى خلق؟ فإن رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه، وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون

فلما قال الله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ٣] .

وقال: {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٤، ١٩٥] .

وقال: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ} [مريم: ٩٧] .

فلما جعل الله القرآن عربيًّا ويسره بلسان نبيه –صلى الله عليه وسلم– كان ذلك فعلاً من أفعال الله –تبارك وتعالى–

هذا واضح في هذه الرسالة إثبات الأفعال لله.

جعل القرآن به عربيًّا يعني: هذا بيان لمن أراد هداه الله مبينًا،وليس كما زعموا معناه: أنزلناه بلسان العرب.وقيل: بيناه، ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر، وهو من المحال.

الآيات التي استدل بها الإمام أحمد في كتاب المروذي:

استدل بقول إبراهيم: ﴿وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ اجعَل هذا بَلَدًا آمِنًا ﴾ هذا موجود عندنا في الرسالة.

واستدل بقوله: ﴿فَلَمّا آتاهُما صالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ ﴾

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذينَ كَفَرُوا السُّفلى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُليا﴾

وأستدل أيضا بقوله تعالى: ﴿أَجَعَلتُم سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارَةَ المسجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ﴾

﴿فَكَذَّبوهُ فَنَجَّيناهُ وَمَن مَعَهُ فِي الفُلكِ وَجَعَلناهُم خَلائِفَ ﴾

هذه كلها جعل على معنى صير أو وصف أو غير الوصف.

﴿فَقالوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلنا رَبَّنا لا تَجعَلنا فِتنَةً لِلقَومِ الظّالِمينَ﴾

﴿وَاجعَلوا بُيوتَكُم قِبلَةً﴾

﴿ فَجَعَلناها حَصيدًا ﴾

وسرد الإمام أحمد شيئًا كثيرًا من الآيات بامكانكم أن تراجعوا هذا الكتاب في السنة للخلال، فكيف الجهمية فتحوا على الإمام بابًا عظيمًا من الاستدلال عليهم، أيضا وقول الله عز وجل: ﴿وَيَجعَلونَ لِلَّهِ ما يَكرَهونَ ﴾

فكيف أنهم لما جاءوا يستدلون من القرآن قُلب الاستدلال عليهم، وهذه القاعدة التي ذكرناها لكم مبدئيا أنه ما من مبطل يستدل بآية إلا وفيها الدليل عليه، وما من مبطل إلا والرد عليه من القرآن الكريم.

هذا منتهى هذا الدرس، بارك الله فيكم هذا وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

المجلس السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا مجلس جديد في التعليق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى،

نقرأ اليوم في حل أغلوطة مشهورة عند الجهمية وهذه الأغلوطة نفسها يستخدمها الملاحدة في يومنا هذا بطريقة مختلفة نوعا ما إلا أن الشبهة هي هي، وهذا مبحث كنت قد وعدت أن نتحدث عنه وبإذن الله تبارك وتعالى اليوم نوسع فيه الكلام حتى لا يبقى إشكال، الدرس اليوم مأخذ التوضيح فيه طويل وأرجو أن تركزوا معنا حفظكم الله إذ أن هذه المسألة إذا حُلت عندكم تُحل إشكالات كثيرة.

يقول الإمام أحمد:

فقال –يعني الجهمي–: "أخبرونا عن القرآن أهو الله أو غير الله؟

فادعى في القرآن أمرًا يوهم الناس. فإذا سئل الجاهل عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ فلابد له من أن يقول بأحد القولين.

فإن قال: هو الله. قال له الجهمي: كفرت. وإن قال: هو غير الله. قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقًا؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي.

وهذه المسألة من الجهمي من المغاليط، فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ قيل له: وإن الله –جل ثناؤه– لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وقال هو كلامي فسميناه باسم سماه الله به.فقلنا: كلام الله، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين.

وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولا، فقال: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] .

فلما قال: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ} لم يبقَ شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق،فقال: {والأمر} فأمره هو قوله، تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقًا.

وقال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[الدخان: ٣، ٤] ثم قال القرآن: {أمرًا مِنْ عِنْدِنَا} [الدخان: ٥] .

وقال: {لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [الروم: ٤] .

يقول: لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق.

فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه.

وقال: {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ} [الطلاق: ٥] .

وقال: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} [هود: ٤٠] .

وذلك أن الله جعل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد ...

نقف هنا نوضح المسألة ثم نتبع الأمر بالإيضاح، هذه مسألة إلى يومنا هذا يسألونها، يقول لك: القرآن هو الله أو غير الله؟ أو صفات الله هي الله أو غير الله؟

فإذا قلت هي الله أو إذا قلت هو الله كفرت، لماذا؟ لأن القرآن له بداية وله نهاية، والله عز وجل لا بداية له هذا محل اتفاق بيننا وبين الجهمية ويخالفنا في ذلك الأشعرية إذ أنهم يرون أن كلام الله لا بداية له،

وإن قلت: غير الله. قال لك: ممتاز إذا قلنا غير الله إذًا هو مخلوق فما غير الله مخلوق.

كيف الإجابة على هذه الأغلوطة؟ أو هذا ما نسميه نحن فخ المغايرة.

الإجابة: أنت أيها الإنسان أنت ذات قائمة أليس كذلك؟ ولك أفعال ولك صفات أليس كذلك؟ ولك مفعولات أشياء تفعلها وخارجة عنك أليس كذلك؟

صفاتك أفعالك هل هي مثل ذاتك.. هي ذاتك تماما ينطبق عليك كل صفات ذاتك؟

الجواب: لا. فمثلا أنت تفقد سمعك وأنت باق قد تفقد بصرك وأنت باق، فإذًا صفتك ليست هي ذاتك وليست هي شيئا مغايرا.

سمعك وبصرك القائم فيك غير الأشياء التي تصنعها بيدك،

فصفتك ليست هي ذاتك وليست هي شيء خارجا عنك،

أنت أيها الإنسان لك أفعال ولك مفعولات ولله المثل الأعلى،

الله عز وجل له أفعال وله مفعولات الله عز وجل يفعل ما شاء متى شاء، هذه الأفعال صفاته فليست هي ذاته تماما، وأيضا ليست هي مخلوقاته الخارجة عنه،

وكل ما يوردونه عليك في القرآن قل لهم في العلم، هذه قاعدة، فإذا قالوا لك كلام الله غير الله أو كذا

قل لهم: علم الله.

فإن قالوا: علم الله مخلوق كفروا لأنه سيثبتون أن علم الله له بداية أو علم الله لم يكن موجودا فكان الله جاهلا أو قدرة الله هكذا يكفرون،

وإن قالوا: لا علم الله صفة لله وقدرته صفة له سبحانه وتعالى، ونقول كذلك الله عز وجل له صفات تقوم به وهي ليست ذاته مئة بالمئة وليست هي مفعولاته وإنما هي أفعال،

وقد دل القرآن على هذا المعنى دلالات قطعية فالله عز وجل يقول: {إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون} (فكن) هذا قوله (فيكون) هذا مفعوله هذا المخلوق،

يقول الله تبارك وتعالى: {ألا له الخلق والأمر}

الخلق مفعولات الله،

الأمر أفعاله،

الله له فعل وله مفعولات، وأصلا العرب وكل بني آدم لا يعرفون مفعولات بدون فعل، فقط أهل الكلام الذين يقولون أن المفعولات توجد بلا فعل، وهذا خلاف بداهة العقل.

الله عز وجل يقول: {فلما ءاسفونا انتقمنا منهم} ءاسفونا: اغضبونا، {انتقمنا منهم} وقع الفعل عليهم، قام الغضب في ذات الله عز وجل، والانتقام وقع عليهم، الغضب غير الانتقام. الغضب فعل، الانتقام الفعل المتعدي.

لنقل كما قلنا فعل ومفعول لنقسمها تقسيمة ثانية، لنقل فعل لازم وفعل متعدٍ، الفعل اللازم الذي يقوم في ذات الفاعل، والفعل المتعدي يعني الذي يقع على الغير.

فلما ءاسفونا: اغضبونا قام الفعل في ذاته سبحانه وتعالى، انتقمنا منهم فعل متعدي، والعرب لا تعرف فعل متعديا بدون فعل لازم، الله عز وجل يحب فيثيب (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث.

الله عز وجل يغضب ويبغض فيعاقب، يرحم فتظهر آثار رحمته، **فهنا هذه مغالطة الغيرية، وهذه شبهة مشهورة جدًا عند الفلاسفة، يسمونها شبهة الاستكمال** وبنوا عليها نفي صفات الله عز وجل، فقالوا أن صفات الله غير الله والله غني عن الغير وبناء عليه لا صفات له.

رأيتم الشبهة؟ هي نفسها هذه الشبهة.

فما جوابنا؟

جوابنا أن صفاته سبحانه وتعالى منه وله تقدس اسمه، فهي ليست غيره، الله عز وجل غني عن الغير المنفصل أما صفاته فهي منه سبحانه وتعالى،

ولهذا إذا جاءك ملحد وقال لك هل الله خاضع للزمان؟ هل الله خاضع للمكان؟

قل له:

إن قصدت بالزمان أولية الله عز وجل وأنه يفعل ما شاء متى شاء فهذه صفته، هذا ليست شيئا مغايرا حتى يقال يخضع له،

إن قصدت بالمكان أنه فوق الأشياء ولا شيء فوقه فهذه صفته سبحانه وتعالى.

يقول ابن تيمية في شرح الأصفهانية: الوجه الثالث أن يقال اسم الغير فيه اصطلاحان، أحدهما أن أحد الغيرين ما جاز العلم بأحدهما مع العلم بالآخر. والآخر أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود أو إمكان أو زمان، الأول اصطلاح المعتزلة والكرامية.

الأول ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر، أنت الآن يجوز أن تعلم بذات الله عز وجل ثم تعلم بعض صفاته لاحقا سبحانه وتعالى، وهناك مصطلح آخر وهو ما جاز مفارقة أحدهما للآخر.

يقول: فإن قيل في الثاني فجزئه وصفته ليس بغير، فلا يكون ثبوته موجبا لافتقار إلى غيره.

على هذا الاصطلاح الذي هو ما جاز مفارقة الآخر، الله عز وجل فصفاته أصلا لا تفارقه، فصفاته ليست غيرا له حتى يقال أنها غير القرآن، ليست غيرا بهذا المعنى.

أيضا الله يبارك فيكم حين يأتيك الزنديق أو الملحد يقول لك: هل الله عز وجل محتاج لعبادتنا؟ أو محتاج لخلقنا؟

هي نفس هذه الشبهة.

فتقول له: لا تتلاعب بالالفاظ، نحن المحتاجون إليه وقد خلقنا بصفته بكلامه، وكلامه منه صفته، فأوجدنا وجودنا تابع لوجود كلامه قال لنا كونوا فكنا،

فهو سبحانه وتعالى لم يستكمل بغيره لا، وإنما أظهر كماله بكماله، فالله عز وجل لما خلقنا كنا محلا لرأفته ورحمته ومغفرته وعفوه وكنا محلا لظهور صفات الجلال أن له حقوق علينا إن لم نؤدها عاقبنا، فأظهر كماله بكماله سبحانه وتعالى، هذه هي خلاصة المسألة أرجو أن تكون قد فُهمت،

نعيد **نلخص**:

أول شيء أنت أيها الإنسان لك صفات وصفاتك هذه قد تذهب ويبقى ذاتك وقد تكتسب صفات لاحقا، فهذه الصفات لا يقال هي غيرك تماما بمعنى أنها مفارقة لك، ولا يقال هي ذاتك بمعنى أنها إذا فنيت فني ذاتك، ولله المثل الاعلى.

وأنت أيها الإنسان لك أفعال ولك مفعولات، والله عز وجل له أفعال وله مفعولات وقد دلت النصوص على أن لله عز وجل أفعالا يفعلها ما شاء متى شاء، ورابعا لا يكاد يخرج إنسان من مثبتي وجود الله عز وجل عن اثبات صفات لله عز وجل، وهذه الصفات لا يقول أنها الذات من كل وجه، ولهذا كان في آثار السلف أنهم يقولون في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق.

وهذا موضوع أن هناك شيء لا يكون مغايرا مئة بالمئة ولا مساوي مئة بالمئة، هذا أمر يدرك حتى بالنظر.

وهنا لطيفة:

ابن قتيبة قالوا له كلامكم هذا الذي تتكلمون به هل هو كلام السلف الأوائل؟ أم هو غير كلام السلف الأوائل؟

فقال: كلامنا هذا لا هو كلام السلف الأوائل ولا هو غير كلام السلف الأوائل.

فقالوا كيف؟

قال: هو هذا السلف وضعوا لنا منوالا ووضعوا لنا ميدانا، هذا المنوال وهذا الميدان نحن نجري فيه –هذا معنى كلامه– نحن نجري فيه ونحن نحاكي ما فعلوه وما قالوه فكلامنا هو ليس كلامهم هم مئة بالمئة ولكنه في الوقت نفسه ليس مفارقا لكلام السلف مئة بالمئة.

وأيضا مثلا عندنا موضوع القياس الذي سأل عنه بعض الأخوة الآن حين يقال هل القياس هو بالضبط القرآن والسنة؟ يقال: لا هو دليل مستقل.

طيب وهل القياس شيء غير القرآن والسنة إذا اتبعناه نكون قد اتبعنا غير سبيل الله ورسوله؟

الجواب: لا القياس فرع عن الكتاب والسنة، فالقياس قياس على الكتاب والسنة،

الآن ظهرت الحشيشة، الحشيشة لا نعرف فيها دليلا واضحا، ما الحشيشة؟ لا ندري ما هي؟ ما النص؟ نبحث في القرآن والسنة لا نجد نصا واضحا في الحشيشة، فنظرنا في صفات الحشيشة، فوجدناها تسكر فنظرنا في موضوع القرآن في النصوص فوجدنا الخمر محرما لعلة الاسكار فقلنا الحشيشة إذًا هي حرام لأنها اجتمعت مع الخمر بعلة الإسكار، مع أن هناك نص واضح: (كل مسكر خمر) لكن هذا نضربه مثلا.

الآن لو جاءك إنسان وقال لك عندي عبد ذكر زنا، اخرج لي من القرآن حد هذا العبد، أنت ستقول لا أجد لك في القرآن نصا واضحا لكن نجد أن الامة الانثى اذا زنت تجلد خمسين، عليها نص ما على المحصنات من العذاب هذا عبد وهذه أمة عبدة مثله. هذه زنت وهذا زنا، إذًا القياس أن الحد واحد، خمسين.

الآن هذا القياس هل هو النص بعينه؟ لا.

هل هو مغاير للنص مئة بالمئة؟ أيضا لا

هو موضوع بين بين، هو شيء تفرع عن النص.

نحن المخلوقات مغايرون للإله لكن وجودنا ليس مفارقا لوجوده نحن ما وجدنا إلا مفتقرين إليه أصالة، هو الذي أوجدنا وبوجودنا ظهرت لنا مجموعة من الصفات، وهو أظهر كمالات له سبحانه وتعالى بإيجادنا وبايجاد المسلمين والكفار تصير معركة بين الحق والباطل، فهنا تظهر صفة الحلم لله عز وجل أنه يحلم على أعدائه وإن أذوا أولياءه، ويظهر اسم التواب أنه فيه إنسان يعصي ويتوب يكفر ويتوب. هذا الآن الله عز وجل ليس مفتقرا لنا، هو أصل أوجدنا ليظهر كماله بكماله، لهذا الملائكة يوم القيامة ماذا تقول حين ترى الجلال والجمال يتجلى؟ تقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

فهذا باب الغير هذا باب مهم جدا يضبط لك الكثير من الإشكالات،

أيضا كذلك عندنا مثل الحديث (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)،

الآن الزاني هذا هل هو متبع للنبي صلى الله عليه وسلم مئة بالمئة؟ لا طبعا هو زنا،

لكن هل هو فارق الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم مئة بالمئة؟ لا هو يعتقد تحريم هذا الفعل، إذًا هو منزلة ما بين المؤمن والكافر: هو مسلم، فلا هو الذي أتبع الوحي مئة بالمئة ولا هو الذي فارق الوحي مئة بالمئة.

الخوارج ما استوعبوا هذا قالوا هو شوي يفارق الوحي أنتخى الموضوع صار كافر.

هذا موضوع الغيرية ولي درس اسمه الجهمية وفخ المغايرة يسمع.

يقول الإمام أحمد مستدلا على أن الله له فعل وله مفعول يستدل بالآية: {ألا له الخلق والأمر}:

فلما قال {أَلا لَهُ الْخَلْقُ} لم يبقَ شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك.

هذه الألف واللام في كلمة الخلق يسمونها الألف واللام للجنس، أنها تشمل كل الافراد، لها أمثله في القرآن: {والعصر * إن الإنسان لفي خسر}

يعني جنس الإنسان يعني كل البشر

ثم استثنى: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}

{والأمر} فأمره هو قوله، تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقًا.

الجهمي ممكن يخرج من هذا الدليل؟ ممكن يفر؟
ممكن له مفر، والإمام أحمد سيضيق عليه،
لكن حفظكم الله عندنا نصوص أخرى.. بل كل نص يثبت لله كلاما بل عندنا النص: (أن الله كتب المقادير قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة)

وأيضا أورد نصا آخر{إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم}

فهنا سمى كلام الله أمر، فالأمر غير الخلق، الأمر هو الفعل هو الصفة القائمة بالذات، الأمر هو الفعل، الأمر هو الفعل اللازم، الخلق هو المفعول أو لنقل الفعل المتعدي.

وقال تعالى: {لله الامر من قبل ومن بعد}

يعني لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق، فالله عز وجل يوجدنا بقوله كن ويبقينا بقوله سبحانه وتعالى، لهذا نحن يوم القيامة نخلد، منا من يخلد بالجنة نسأل الله من فضله، ومنا من يخلد في النار نعوذ بالله من عذابه، هل معناه صرنا مثل وصف الله الآخر؟ لا. نحن باقون بابقاءه لنا، وهو باق صفة ذاتية له سبحانه وتعالى غني بنفسه.

وقال: {ذلك أمر الله أنزله إليكم} وقال: {حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور}.

الجهمي قد يحاول الهروب من هذا بقوله أن هذا عطف الخاص على العام، أن الأمر من الخلق كما في قوله تعالى: {يا أيها الذين امنوا وعملوا الصالحات} علما أن عموم الجهمية أصلا مرجئة، لكن يدفع هذا أن الأمر لا مدخل له في الخلق أصلا، ويدفع هذا كن فيكون وغيرها.

وسيأتي كيف الإمام أحمد يتوسع في دفع مثل هذا، يقول:

وذلك أن الله جعل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامٍ فهو مرسل غير منفصل،وإذا سمى شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما من ذلك قوله: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا} [يوسف: ٧٨] .

فالشيخ الكبير عدة أسماء.. عدة صفات واحد بدون فصل،

فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامٍ، وهو مرسل،ولم يقل: إن له أبًا وشيخًا كبيرًا.
وقال: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ} . ثم قال: {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} [التحريم: ٥] .

كل هذه الصفات ممكن تكون صفة للثيب وممكن تكون صفة للبكر، لكن الثيب والبكر نوعين مختلفات لا يمكن أن يجتمع في امرأة أنها ثيب وبكر ولهذا فصل، لهذا هو فقط يريد أن يقول الخلق والأمر مختلفان.

يقول: فهذا اسم شيء واحد فهو مرسل، فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما فذلك قوله: {ثيبات} ثم قال: {وأبكارا}

فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما،

يعني يعلمهم على أسلوب القرآن، طبعا هم لا يهتمون للقرآن، هم البلاء عندهم الفلسفة، لكنهم يجادلون جدال المنافقين بالكتاب

وقال: {وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى} ثم قال: {وَالْبَصِيرُ} [فاطر: ١٩] فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما.

ثم قال: {وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ، وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ} [فاطر: ٢٠، ٢١] .

كلها نقائض، وممكن يكون فيه عطف خاص على عام، لكن هذا ليس بابه لأن لا مدخل لهذا على ذاك.

فلما كان واحد من هذا الشيء غير الشيء الآخر فصل بينهما.

ثم قال: {هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}

هذه كلها أسماء لمسمى واحد، لله عز وجل.

{الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٣، ٢٤] .

فهذا كله شيء واحد، فهو مرسل ليس بمفصل.

فلذلك إذا قال الله: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} ؛ لأن الخلق غير الأمر، فهو منفصل.

قوله: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم: ١] .

قال: وذلك أن قريشًا قالوا: إن القرآن شعر،وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: أضغاث أحلام،وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه، وقالوا:تعلمه من غيره، فأقسم الله بالنجم إذا هوى،يعني القرآن إذا نزل.

كل هذه الصفات تشترك مع قول الجهمية بأنه مخلوق، أنه شيء جاء من المخلوقات بدأ من المخلوقات، أما حقيقة اعتقادنا بالوحي أنه بدأ من الله، حتى جبريل ما بدأ منه، جبريل رسول.

فقال: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ} يعني محمدًا {وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ١-٣] .

يقول: إن محمدًا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه: فقال: {إِنْ هُوَ} يقول: ما هو، يعني القرآن: {إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} ١ [النجم: ٤] .

فأبطل أن يكون القرآن شيئًا غير الوحي،

قد يقول قائل: ومن قال من المسلمين غير هذا؟

أقول لك هناك من قال: القرآن عبارة عن كلام الله، ليس كلام الله، حكاية عن كلام الله، بدأ من مخلوق.

لكي لا يثبتوا أن الله يتكلم.

ثم قال: علَّمه. يعني علم محمدًا جبريل، صلى الله عليه وسلم

جبريل علّم ما ابتدأ، علمه ما تعلمه من الله.

وهو: {شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} إلى قوله: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: ١٠] .

فسمى الله القرآن وحيًا، ولم يسمه خلقًا.

ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر، فقال: أخبرونا عن القرآن: هو شيء؟

يعني يريد يستدل بقول الله عز وجل: {الله خالق كل شيء} طيب الآن القرآن كلام الله، هل الله مخلوق؟ هل الله شيء مخلوق؟ لا. إذًا صفاته ليست داخلة بهذا، هو يخلقنا بـ(كن)، هو الله خالق كل شيء، النص بين لنا (كن) هذه غير مخلوقة فهي كلام منه سبحانه وتعالى، {كل شيء} يعني كل شيء منفصل عنه من مفعولاته، صفاته غير داخله في السياق، لا علمه ولا قدرته ولا شيء من هذا،

والعجيب أن عددًا منهم يعني لاحظ أن الجهمية منهم قدرية ومنهم مرجئة هنا عطف المغايرة ما أعملوه هؤلاء الجهمية مع أنهم يعملونه {وعملوا الصالحات} يقولون العمل غير الإيمان، والقدرية المعتزلة يقولون أفعال العباد هم يخلقونها الله لا يخلقها.

فجاءهم علماء أهل السنة، قالوا لهم: ألستم تقولون أن الله خالق كل شيء حتى أدخلتم صفات الله؟ قالوا بلى. قالوا لماذا تقولون أفعال العباد لم يخلقها الله هم يخلقونها! انظر التناقض.

فقلنا: نعم هو شيء.

فقال: إن الله خلق كل شيء فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة، وقد أقررتم أنه شيء؟

فلعمري لقد ادعى أمرًا أمكنه فيه الدعوى، ولبَّس على الناس ما أدعى فقلنا: إن الله في القرآن لم يسم كلامه شيئًا

إنما سمى شيئًا الذي كان بقوله: ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ} [النحل: ٤٠] .

فالشيء ليس قوله: إنما الشيء الذي كان بقوله.

وفي آية أخرى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا}[يس: ٨٢] .

فالشيء ليس هو أمره، إنما الشيء الذي كان بأمره.

مفعولاته، يعني الفعل غير المفعول.

ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة قال الله للريح التي أرسلها على عاد: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}[الأحقاف: ٢٥] .

أيضا بدأ يتنزل معهم، قال كلمة كل هذه لا تشمل كل شيء في كثير من الأحيان، هذا الله عز وجل قال: {ما تذر من شيء أتت عليه} هذا عموم صحيح؟ وقال: {تدمر كل شيء بأمر ربها} ثم قال {فأصبح لا يرى منهم إلا مساكنهم} طيب مساكنهم بقيت، وفي بلقيس {وأوتيت من كل شيء} لكن ما كان عندها الإسلام، فالكل تأتي على الأغلب في كثير من الأحيان.

وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها، منازلهم، ومساكنهم، والجبال التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها. وقال:{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ} .

فكذلك إذا قال: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٠٢] لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال لملكة سبأ: {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}[النمل: ٢٣] .

قد كان ملك سليمان شيئًا ولم تؤته، وكذلك إذا قال: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال الله لموسى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه: ٤١] {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٣٠].

وقال: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}[الأنعام: ٥٤] .

وقال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦] .

ثم قال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: ١٨٥] .

فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، وقد ذكر الله –عز وجل– كل نفس، فكذلك إذا قال: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٠٢] لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله. فرحم الله من فكر، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة، ولم يقل على الله إلا الحق، فإن الله قد أخذ ميثاق خلقه فقال: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ} [الأعراف: ١٦٩] .

وقال في آية أخرى: {إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

انظر الآن الآية ترتب من الأدنى إلى الأعلى، ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي، طبغا ما ظهر منها وما بطن لأن العرب كانوا يرون أن الزنا باطنا لا مشكلة لكن المجاهرة به لا تنبغي.

وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣] .

أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا هذا مثل شرك الرافضة شرك الصوفية يدعون غير الله يعبدون غير الله، لكن القوية العظيمة: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون، هذا تعطيل الجهمية يقول: الله يجوز عليه كذا ولا يجوز عليه كذا ما وصف به نفسه هذا تشبيه هذا كفر سبحان الله.

فقد حرم الله أن يقال عليه الكذب، وقد قال:{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} [الزمر: ٦٠] . فأعاذنا الله وإياكم من فتن الضالين.

مسودة يعني من الظلمة التي عليها، ما عليها نور.. خايفة، وروي عن ابن عباس ولا يصح سندًا لكن معناه صحيح قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة.

يعني هؤلاء المبتدعة كذبوا على الله، أما أهل السنة ما غيروا ولا بدلوا ولا زادوا ولا أنقصوا.

فأعاذنا الله وإياكم من فتن الضالين.

وقد ذكر الله كلامه في غير موضع من القرآن، فسماه كلامًا، ولم يسمه خلقًا.

قوله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} [البقرة: ٣٧] وقال: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ} [البقرة: ٧٥] .

وعندنا **قاعدة في الإضافات**،

الله عز وجل إذا أضاف لنفسه شيئا قائما بذاته فهذه إضافة مفعول إلى فاعل، مثل: ناقة الله، الناقة قائمة بنفسها.

وعندنا إذا أضاف لنفسه شيئا لا يقوم بذاته، فهذه إضافة فعل إلى فاعل أو صفة إلى موصوف مثل: كلام الله.

يوجد كلام قائم نفسه يمشي؟ لا.

بيت الله ناقة الله هذه قائمة فهذه إضافة تشريف، أما هذه إضافة صفة، والجهمية يخلطون بين المقامين.

وقال: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣]

وقال: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي} [الأعراف: ١٤٤] ، وقال: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] . وقال:{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} [الأعراف: ١٥٨]

انظر {وكلماته} يؤمن بالله وكلماته، إذًا هذا في القرآن، إذًا لو جاء إنسان وآمن بالله لكن لم يؤمن بكلام الله كفر به، هذا كافر بنص القرآن، هذا خالف الرسالة.

أيضا حفظكم الله {الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه} لقائه هذه أيش؟ الرؤية، فالله عز وجل سبحان الله نصص على مواطن خلافنا مع الجهمية في القرآن، ممكن يأتيك واحد متحاذق: والله الجهمية قبل القرآن. منزل القرآن عليم بكل شيء.

فأخبرنا الله أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يؤمن بالله وبكلام الله، وقال: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ} [الفتح: ١٥] . وقال: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} [الكهف: ١٠٩] .

إذًا الكلمات هذه عدد، هذا العدد عند أهل الكلام: تركيب وكثرة وتعدد خلاف التوحيد.

وهو حقيقة التوحيد تعدد كمال الله عز وجل الله عز وجل، الله عزوجل ذكرها عدد ثم ذكر أنها تزيد وأنها تُعد يعني يضيق عليهم الخناق تماما بخلاف عقائدهم الملعونة.

وقال: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] . ولم يقل: حتى يسمع خلق الله.

فهذه نصوص بلسان عربي مبين، لا يحتاج إلى تفسير هو مبين بحمد الله.

لم يذكر الإمام رضوان الله عليه الأحاديث لأن القوم هو يعرف مقام الأحاديث عندهم، وإلا عندنا حديث واضح: (إذا تكلم الله بالوحي صعق من في السماء) سبحانه هذا واضح.

يقول: (فيكون جبريل أول من يفزع عنه فيقول ماذا قال ربكم؟ قال..)

سبحان الله. سبحان الله.

الله يحفظكم ويبارك فيكم، أنا أرجو أن أكون قد شرحت الأمر جيدا، أرجو أن تكون المسألة قد اتضحت، لأنه هذه الأمور أنا أبسطها ثم ستجدونها في الكتب الأخرى بألفاظ مختلفة. عود نفسك، احفظ دائما المسائل بصيغ معقولة ومفهومة عندك ثم بعد ذلك هذه الصيغ كلما تعددت الألفاظ ستعود إلى هذه الأسس التي عندك، قصة فاعل فعل مفعول هذه دائمًا هي التي تضبط لك الخلافيات، ذهبت الأمور يمينا شمالا تعرفون الخلاف مع الفلاسفة وأهل الكلام يوسعون الكلام يمينا وشمالا لكن بفضل الله تبارك وتعالى الأمر ميسر.

المجلس الثامن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد هذا مجلس جديد في التعليق على كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

اليوم إن شاء الله معنا مبحث مهم متعلق بلفظ المحدث والحادث وغير ذلك، لكن قبله نقرأ الوارد

يقول: قال أحمد:

وقد سألت الجهمية:أليس إنما قال الله: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ} [البقرة: ١٣٦] ،

{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣] ،

{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} [العنكبوت: ٤٦] ،

{وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠] ،

{فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤] ،

وقال: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ} [الكهف: ٢٩] ،

وقال: {فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ} [الأنعام: ٥٤] .

ولم نسمع الله يقول: قولوا إن كلامي خلق.

وقال: {وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا} [النساء: ١٧١].

وقال: {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤] ، {لا تَقُولُوا رَاعِنَا} [البقرة: ١٠٤] ، {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ} [البقرة: ١٥٤] ، {وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف: ٢٣، ٢٤] ، {فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء: ٢٣] ، {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

آخَرَ} [القصص: ٨٨] ، {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ} [الأنعام: ١٥١] ، {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}[الإسراء: ٢٩] ، {وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} [الأنعام: ١٥١] ، {وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام: ١٥٢] ، {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا} [لقمان: ١٨] . ومثله في القرآن كثير.

فهذا ما نهى الله عنه، ولم يقل لنا: لا تقولوا: إن القرآن كلامي.

وقد سَمَّت الملائكة كلام الله كلامًا ولم تسمه خلقًا،

قوله: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} [سبأ: ٢٣] .

وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وبينهما كذا وكذا سنة.

فلما أوحى الله إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– سمع الملائكة صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا فظنوا أنه أمر من الساعة، ففزعوا وخروا لوجوههم سجدًا، فذلك قوله: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} [سبأ: ٢٣] .

يقول: حتى إذا انجلى الفزع عن قلوبهم رفع الملائكة رءوسهم فسأل بعضهم بعضًا فقالوا: ماذا قال ربكم. ولم يقولوا، ماذا خلق ربكم. فهذا بيان لما أراد الله هداه.

هذا باب يُستدل به على الجهمية في العادة: **أن ظواهر القرآن تدل على اثبات الصفات سواء صفة الكلام أو أي صفة أخرى وقد آمن بذلك قوم كثير، سواء من العرب أو الأعراب وأيضا حفظكم الله حتى من اليهود والنصارى، هو هذا أصل دينهم اليهود والنصارى يؤمنون أن الله تبارك وتعالى في السماء تقدس اسمه، ولم يأتي في القرآن أي نهي عن الإيمان بهذه الظواهر، فهذا يدل على إبطال مسلكين: مسلك التحريف ومسلك التفويض.**

فقد يقول قائل في مثل هذا السياق كما قال بعض الزنادقة:

أن الأنبياء يخاطبون الناس بما يوافق جهلهم، وهذا هو المسلك الذي فشى بين المعطلة المتأخرين وهذا مسلك يسمى **مسلك التخييل**،

ما معنى مسلك التخييل؟

معناه أن الأنبياء كانوا يخاطبون الناس بحسب الهوى أو بغير الحقيقة لأن الناس لا يفقهون التوحيد، والأنبياء يعرفون التوحيد ولكن لا يسرون إلى أي أحد، وهذا المسلك الذي سلكه ابن سينا في رسالته الأضحوية حين تحدث عن معاد الأبدان فهو ينكر أن الأبدان تبعث، فلما قيل له ماذا عن النصوص؟ فمال إلى مسلك التخييل هذا وقال أن هذه النصوص تخاطب الناس على عقولهم ولا تخاطبهم بالحق، وهذا المسلك مال إليه أيضا أبو حامد الغزالي وعليه بنى كتابه إلجام العوام عن علم الكلام، وكان إليه يميل ابن رشد أيضا ويذم المتكلمين باظهارهم خلاف الحق، وهذا أمر مشهور عند الصوفية يقولون عقوبة الحلاج أنه باح بالسر، وهذا المسلك أيضا تأثر به حتى ابن الجوزي وتجد كلامه في صيد الخاطر واضحًا في هذا أن النبي ﷺ كان يخاطب الناس على عقولهم، وأيضا تكلم بذلك التفتازاني، وأيضا صرح بذلك العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقر الناس على التجسيم، وحقيقة هذا من أقبح الأقوال وأشدها لأنه مع هذا القول لا يوثق بأي شيء، ممكن يكون نعيم الجنة كلام فارغ وعذاب النار أيضا تخييل، هذا هدم للدين من أساسه.. سبحان الله.

وسبحان الله يعني الأنبياء حتى ما خاطبوا خواصهم ثم أنتم ألا يسعكم ما يسع الأنبياء إذا انتم زعمتم الناس في زمن الأنبياء الصحابة الذين هم أكمل الناس عقولا لم يفقهوا الحق تمام الفقه فما بالكم أنتم تزعمون أنكم ستفقهون ما لم يفقه الصحابة وتلقون للعوام ما لم يلقه الأنبياء للناس؟ ألا يسعكم ما يسع الأنبياء، وهذا يعني من أبشع الزندقة ومن أعظم

السفسطة وحقيقة لا يمكن أن يجيبوا أمام هذه البينات لأن القرآن كان يتلى، حتى ابن تيمية لما قالوا له في المحاكمة على التسعينية ذكر هذا، قالوا له أنت لماذا تفاتح العوام بمواضيع الصفات فقال لهم عبارته التي دائما يأتون بها مجتزءة: ما فاتحت عاميا قط بهذا الأمر.

ثم ماذا قال؟ قال إنني أُسأل فأجيب ولا يمكنني أن أكتم العلم.

ثم قال لهم هذا الذي أنتم ترغبون بكتمانه هذا موجود في القرآن موجود في الأحاديث موجود في كتب الحديث موجود في كل الكتب، فماذا تكتمون؟ وكيف تكتمون هذا؟ يعني أنتم تزعمون والله ابن تيمية يقول كذا وكذا، طيب الناس لو قرأوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مجردة لو قرأوا الآيات مجردة لآمنوا بظواهر النصوص إن لم يداخلهم كلام المعطلة، فقط أنت يجوز لك أن تنشر لتعطيلك وأنا لا يجوز لي أن أنشر الحق الذي أنا أعتقده ومذاهب السلف سبحان الله.

هذا الفصل المهم في هذا السياق وهذه الحجة التي يعني كانت تقال للجهمية في الزامهم الناس بعقائدهم، دائما يقال لهم أين تجدون في القرآن أن الله عز وجل أمر بهذا الذي أنتم جعلتموه رأس التوحيد حتى امتحنتم الناس عليه؟ إما أن تقولوا أن القرآن ليس هدى وبيان في الإلهيات وإما أن تقولوا أن قولنا ليس هو الحق أو ليس هو الضروري، وهذا ما اضطر الفخر الرازي إلى أن يقول أننا لا نجزم أن النصوص هي الهدى في الإلهيات، ورفض ذلك كما في تفسيره في تفسير سورة البقرة.

طيب الآن نأتي إلى مسألة مهمة جدًا وهذه المسألة تحتاج منا إلى تركيز وتفهم لأنه كثر فيها الغلط والاشتباه:

قال أحمد رحمه الله:

ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تبارك وتعالى تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا في أي آية؟..

فقال: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} [الأنبياء: ٢] .

فزعم أن الله قال: القرآن محدث. وكل محدث مخلوق.

فلعمري، لقد شبه على الناس بهذا. وهي آية من المتشابه فقلنا في ذلك قولاً واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه الآية أيضا أُحتج بها على الإمام أحمد في المحنة،

واليوم حتى كثير من أهل السنة لا يفهمون وجه استدلال الجهمي بهذه الآية ووجه رد الأئمة عليه،

كثير من الشباب يشتبه عليهم ما الذي أراده الجهمي بالاستدلال بهذه الاية؟ وكيف أجابه علماء أهل السنة؟

أولا: الآية تتكلم عن القرآن فحسب، وقد علمنا أن الجهمية أصلا لا يؤمنون أن الله يتكلم بما شاء متى شاء، فهم حتى كلام الله لموسى لا يؤمنون به على حقيقته، كلام الله لنا يوم القيامة لا يؤمنون به على حقيقته، خطاب الله عز وجل للمخلوقات لا يؤمنون به على حقيقته، ولكنهم ينافقون منافقة يضحكون بها على العوام حين يتحدثون عن القرآن خاصة فهم لو زعموا لو جاءوا بدليل على خلق القرآن مثلا لو زعمنا جدلا هذا،

فإنه لا يمكن أن يأتوا بدليل يدلهم على أن الله لا يتكلم، هذا يستحيل

طيب إذًا ما الحل؟ ما معنى الاستدلال بهذه الآية؟

قبل قليل كان الإمام أحمد يتحدث عن كلام الله عز وجل بالوحي بين فترة عيسى وفترة محمد صلى الله عليه وسلم،

في اللفظ الكلامي المشهور كلمة حدث يعني وجد بعد أن لم يكن فيشمل الفعل والمفعول،

نحن عندنا بارك الله كما نبهنا في الدروس الماضية:

أن الله عز وجل فاعل وله فعل وله مفعولات سبحانه وتعالى،

فكلمة حدث في المصطلح الكلامي تشمل فعل الله الذي له بداية وله نهاية، وتشمل الخلق والأمر وتشمل المفعول، تشمل {ألا له الخلق والأمر} تشمل {كن وفيكون}، تشمل الاثنين داخل المصطلح الكلامي.

إذًا ما وجه احتجاج الجهمي بهذه الآية إذا كان معنى محدث أنه شيء له بداية وله نهاية؟

نحن نتناقش في القرآن الذي له بداية وله نهاية، يعني الجهمي تقول محدث بمعنى أن له بداية وله نهاية كذلك الجماعة الذين يناقشونك يسلمون لك بها، ولكنهم يقولون أنه غير مخلوق.

لا لا لا ليست هذه حجة الجهم، الجهمي لقوله مقتضى، فيقيم الدليل على مقتضى قوله ويجعل الدلالة على هذا المقتضى دليلا على صحة قوله.

حين تقول القرآن مخلوق ما معناه؟

معناه أنه جاء بعد البشر أو جاء بعد المحل أي أنه لم يسبق وجودنا نهائيا، فالله عز وجل ليس له كلام قبل أن توجد مخلوقات يخلق فيها هذا الكلام،

نحن عندنا أحاديث أن الله كتب المقادير قبل أن يخلق الخلق وكلم القلم قبل أن يخلق الخلق، أليس كذلك؟

عندنا أيضا حديث بصري صحيح: أن الله عز وجل كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفين سنة وأنزل من هذا الكتاب آخر آيتين في سورة البقرة [رواه الترمذي ٢٨٨٢]،

فكلام الله موجود،

ولهذا اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة يضع بابا في قدم القرآن، ثم يأتي بدليل منها قول آدم لموسى أن الله كتب لك التوراة قبل أن يخلق الخلق بستين سنة.

هذا يخالف مقتضى قول الجهمية، الجهمية يرون أن القرآن إنما ما ظهر بعد خلق السماوات والأرض لأنه خلق من المخلوقات وإنما يقوم في المخلوقات،

فهو ما الذي فهمه من قول الله عز وجل: {من ربهم محدث}؟

فهم أنه ظهر حين سمعه الخلق، يعني أنه ظهر في مخلوق محدث هكذا يفسرها الجهمي.

محدث يعني أنه ابتدأ الآن حين سمعناه بدأ القرآن، لم يكن له ظهور قبل أن نسمعه الآن، القرآن المسموع هذا هو أول ظهور للقرآن.

لهذا وكيع يقول: من قال القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث.

يعني إذا قلت أنه مخلوق فقد زعمت أنه ظهر إنما ظهر في الأرض أول ما ظهر وهذا كفر لأن هذا هو قول قريش {إن هذا هو إلا قول البشر}.

فهذا معنى محدث أي أنه ابتدأ ظهوره في الأرض يعني لما سمعناه هو الآن بدأ، لم تكن له بداية من قبل لم يتكلم الله به من قبل،

ولهذا مثلا داوود الاصبهاني لما قال محدث على هذا المعنى قال أيضا: لفظي بالقرآن مخلوق.

يعني الذي في الأرض مخلوق.

وقال: صراحة الذي في الأرض مخلوق فقط الذي في السماء غير مخلوق.

لأنه عنده الذي في الارض ابتدأ ابتداء مستقلا عن الذي في السماء ليس هو عين ما تكلم الله به، وداوود الأصبهاني ذكر أبو طاهر الذهلي أنه أخذ من ابن كلاب الكلام، كان ابن كلاب يزعم أنه يثبت الكلام ثم لما أثبت كلاما أثبت كلاما بلا حرف ولا صوت يعني ليس كلاما حقيقيا، كلام معنوي فقط، يعني ليس كلاما مسموعا، فلم يثبت أن الله يتكلم بكلام

مسموع، ولهذا قول داوود في القرآن الأرضي محدث كقول ابن كلاب في القرآن السماوي قديم أنهما قرآنان واحد مخلوق وواحد غير مخلوق هم فقط لا يريدون أن يثبتوا أن الله يتكلم.

فكلمة محدث التي يريدها الجهمي يريد الجهمي أنه ظهوره ابتداء في الأرض، هذا الذي يخدم مذهبه.

المعنى الآخر الذي تجده مثلا في كلام شيخ الإسلام حادث الآحاد أن الله بدأ منه الكلام، هذا المعنى لا يخدم الجهمي لأنه تثبت لله كلام من اختياري غير مخلوق، هذا المعنى لا يخدم الجهمي بشيء بل هذا نقيض مذهب الجهمي.

لهذا الإمام أحمد لما استدلوا عليه بالآية في المحنة أجابهم أجابهم أجابهم، ثم قال له شخص يعني ذكر أحمد قال له حديث خباب: إنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه.

فقال أحمد: هو كذاك.

فنظر ابن أبي دؤاد لهذا الشخص نظر المغضب وفي رواية أنه نظر لأحمد نظر المغضب.

فإذًا: الله يتكلم بما شاء متى شاء.

فالجهمي يريد هذا المعنى، نحن الآن نجيبه بناء على هذا المعنى الذي يريده، نقول له هذا المعنى مسلّم لك أو غير مسلّم، الإمام أحمد أجاب بجواب هذا جوابه في المحنة لما استدلوا عليه بهذه الآية أنه ما قال لك أن الذكر هنا الذي هو محدث ابتدأ في الأرض هو القرآن، هنا قد يكون ليس القرآن قد يكون الحديث النبوي، وقال {من ذكر} حتى ابن تيمية يقول: {من ذكر} إذًا معناه فيه ذكر بهذا المعنى وفيه ذكر بغير هذا المعنى أصلا، فهذا يدل على إثبات الكلام أصلا.

فقال: {من ذكر} هذا غير الذكر بالألف واللام الذي هو القرآن، فهذا ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما عندنا مشكلة.

وهناك جواب آخر الذي أختاره إسحاق بن راهوية يقول حرب في مسائله [٣/١١٢٥]:

قال حرب: سمعت إسحاق يقول:

من قال القرآن محدث على معنى مخلوق فهو كافر بالله الغني العظيم.

إذا قال محدث بمعنى جعله مفعولا جعله مخلوقا فهو كافر.

إما إذا قال حدث ومحدث بمعنى أن الله تكلم به بما شاء متى شاء، فهذا المعنى الوارد في النصوص الواضح.

الملائكة سمعته في وقت معين.

يقول حرب: فقلت له ما معنى قوله {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث}

قال: محدث من العرش، آخر ما نزل من الكتب من العرش.

هذا معنى إثبات الصفات الفعلية لله.

يقول: ثم راجعته فقال: أحدث الكتب عهدًا بالرحمن.

هناك أثر عن سعيد بن المسيب يقول: بلغنا أن أحدث آية عهدا بالعرش آية الدين.

يعني هي آخر القرآن نزولا، فهذا بهذا المعنى.

أيضا يقول العمراني [الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٥٧٥-٢/٥٧٧]:

وأما استدلالهم بالآية قلنا عن ذلك أجوبة:

أحدها: أن نقول: إنه لا يرد بالذكر هاهنا القرآن، لأن كل ذكر في القرآن أراد به القرآن فإنه معروف بالألف واللام أو ممدوح أو موصوف بأنه منزل ليفرق بينه وبين غيره

بالذكر، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} وقال: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} وقال: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} ، وقال: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَالذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاس} ، وقال: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ} ، وقال {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} ، فذكر الذكر في هذه الآية مُنَكَّراً إلا أنه مدحه بالبركة ووصفه بأنه منزل ليدل على أنه القرآن.

وفي هذه الآية التي استدلوا بها ذكر منكر ولم يمدحه إلا وصفه بأنه منزل ليدل على أنه غير القرآن فيحمل على أحد معنيين: إما على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله سماه ذكراً بقوله تعالى: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُم}، ويدل على هذا التأويل أنه قال: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ} فذكر أن الذكر يأتيهم، والذي يأتيهم بنفسه هو النبي صلى الله عليه وسلم في المواعظ والتخويف من كلامه لا من كلام الله، ويدل على هذا أن قريشاً كانوا إذا سمعوا القرآن قسموا آراءهم فيه، ولم يقابلوه بالضحك واللعب. فدل على أن الذي ضحكوا منه ولعبوا هو ذكر غير القرآن.

هذا خلاصة جواب الإمام أحمد صاغه بصياغة توضيحية.

يقول:

والجواب الثاني أن يقال: لو سمعنا أنه أراد بالذكر هاهنا القرآن لم يجب كونه مخلوقاً لوصفه بالمحدث لأن المحدث ضد القديم، وقد أخبر الله سبحانه عن بعض المخلوقات أنه قديم بقوله تعالى: {حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}، فلما جاز في المخلوقات ما سمى قديماً كان في القديم ما يسمى محدثاً ولا يكون مخلوقاً.

هنا تنبيه:

أن المتكلمون لهم مصطلح يقولون قديم ويريدون به ما لا بداية له،

هذا ليس المصطلح الوارد في النصوص، المصطلح الوارد في النصوص: أن القديم ما تقدم على غيره {حتى عاد كالعرجون القديم} ما كان متقدما على غيره.

وهذا المصطلح استخدمه الالكائي لما قال القرآن قديم ثم أورد أخبارًا أن الله تلى طه وياسين قبل الخلق ألفين سنة، فإذًا هو يذكر له بداية ونهاية.

أيضا المحدث ليس هو المصطلح الكلامي ولا الجهمية استخدموه على المصطلح الكلامي باستدلالهم هذا هم أرادوا باستدلالهم هذا أنه بدأ من مخلوق، لم يريدوا بالمحدث أنه له بداية وله نهاية، فهنا تنبية أيضا.

ثم ذكر جوابا ثالثا لا شأن لنا به، ثم ذكر الجواب الرابع

يقول [الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/٥٧٨]:

والجواب الرابع: أن المحدث قد يراد به المظهر ولا يراد به المخلوق بدليل ما أخبر الله عن الخضر أنه قال لموسى عليه الصلاة والسلام: {فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً} يعني أظهر وأبدي لا أخلق.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره شيئاً وإن مما أحدث الله أن لا تتكلموا في الصلاة ".

وذكر البخاري في خلق أفعال العباد صـ٤٤ عن أبي عبيد القاسم بن سلام جوابا على قولهم هذا يقول:

وأما تحريفهم {من ذكر من ربه محدث} فإنما حدث عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما علمه الله ما لم يكن يعلم.

هذا أيضا جواب أنه معنى محدث أن الذي حدث علمهم لا كلام الله،
يعني الذي حدث بدأ في المخلوق علمهم بالقرآن، وإلا فالله عز وجل تكلم بهذا الكلام قبل أن يسمعوه كلم به جبريل ثم جبريل جاءهم به، فهو ما خاطبهم به مباشرة،
ثم ما الذي بدأ في المخلوق؟ بدأ في المخلوق علمهم بكلام الله عز وجل.

طيب يقول لك أحدهم يا أخي ليش هذه التفسيرات نحن عندنا نصوص قطعية تدل على أن هذا القرآن تكلم به الله. أليس كذلك؟

أيضا ابن منده يقول في كتاب التوحيد [صـ ٦٤٨ ط الوهيبي]،
وابن منده فسرها على فعل الاختياري فأورد خبر ابن عباس:
أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ونزل بعد ذلك في عشرين سنة.
يقول رواه وهيب عن داوود فقال: كان ينزل الأول فالأول.
فقال فيه: أحدثه بالوحي حتى جمع يعني بقوله {من ذكر من ربه محدث}.

يعني الإنزال وأن الله يتكلم بالوحي بعد الوحي وينزل به جبريل.

ويقول ابن البنا الحنبلي في المختار صـ١٧٧:
باب قول الله عز وجل: {كل يوم هو في شأن}، {وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث}، وقوله: {لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا}

يقول: وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: {ليس كمثله شيء}.

وهذا إثبات الفعل الأختياري بشكل واضح في كلام هذا الرجل، وهو هنا جاء يأخذ كلام البخاري بالضبط، والبخاري أثبت لله فعل اختياري وسماه محدثا وحدثا، والدارمي سماه حركة.

وشراح البخاري من الأشاعرة كلهم اعترفوا أن مذهب البخاري في القرآن خلاف مذهبهم: أنه يثبت لله كلاما اختياريا.

• فلهذا مثلا يقول ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري ١٠/٥٢٥:

عرّض البخاري الفرق بين وصف كلام الله بأنه مخلوق وبين وصفه بأنه محدث، فأحال وصفه بالخلق وأجاز وصفه بالحدث اعتمادًا على الآية، وهذا قول بعض المعتزلة وأهل الظاهر.

الواقع أن هذا المعنى هو كلام أهل الحديث: أن الله يتكلم بما شاء متى شاء.

لكن لما كان ابن بطال كلابيا نسب الإمام البخاري إلى موافقة المعتزلة، وبقية الشراح كلهم الأشاعرة منهم مالوا إلى اتهام البخاري بأنه انحرف وعقيدته غير سليمة في كلام الله عز وجل.

وهذا اعتراف منهم،

• وقال ابن المنير في المتواري على أبواب البخاري صـ ٤٢٧:

وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله: {ليس كمثله شيء} ثم ذكر أمورا...

يقول: يحْتَمل بِأَن البُخَارِيّ أجَاز وصف الْكَلَام بِأَنَّهُ مُحدث لَا مَخْلُوق،

(محدث بمعنى أنه يتكلم بما شاء متى شاء)

كَمَا زعم بعض أهل الظَّاهِر، تمسكاً بقوله: {مَا يَأْتِيهم من ذكر من الرحمن مُحدث} [الشُّعَرَاء: ٥]

فَإِن أَرَادَ هَذَا فقد بيّن أَن الإحداث هَهُنَا لَيْسَ الْخلق والاختراع. لِأَنَّهُ لَو كَانَ مخلوقاً لَكَانَ مثل كَلَام المخلوقين.

وَيحْتَمل أَن يُرِيد البُخَارِيّ حمل لفظ الْمُحدث على معنى الحَدِيث. فَمَعْنَى قَوْله: {من ذكر من رَبهم مُحدث} أَي متحدّث بِهِ. وَالظَّاهِر أَنه أَرَادَ الأول.

• وقال الدماميني في مصابيح الجامع ١٠/٢٦٠:

قال المهلَّب وغيرُه: غرضُ البخاري بهذا الباب الفرقُ بين وصفِ كلامِ الله بأنه مخلوق، وبينَ وصفِه بأنه مُحْدَث، وهذا قولٌ لبعض المعتزلة، وبعضِ أهل الظاهر، وهو خطأ من القول؛

وهذا كلام شيخه إسحاق الذي قرأناه مبدئيا لما قال: من قال محدث على معنى مخلوق..

إذًا هناك معنى آخر.

"وهو خطأ من القول" لا هو صواب على هذا المعنى وهو ظاهر كلام الإمام.

أرجو أن تكون قد فهمت المسألة، نلخص:

المحدث له معنيان معنى مثبت ومعنى منفي.

المعنى المثبت: أن الله عز وجل يفعل ما شاء متى شاء، وهذا موجود في مضامين كلام العلماء أما يصرحون به أو يذكرون معناه حين يذكرون لكلام الله عز وجل غير المخلوق زمنا خاصا، كما ورد كلام أحمد لما ذكر زمنا بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم أنه حصل كلام هنا والملائكة افتقدت الوحي، وكما ورد أن الله عز وجل كتب لموسى التوراة قبل كذا وكذا سنة كما استدل به اللالكائي، وكلام الله لموسى له بداية وله النهاية هذا كله.

هذا المعنى المثبت وليس هذا المعنى الذي يريده الجهمية، الجهمية يخلطون ويقولون أن الفعل والمفعول شيء واحد، فعندهم كل شيء له بداية مخلوق وهذا غير صحيح ولا نسلم لهم بهذا فالله عز وجل {ألا له خلقه والأمر} فالأمر له بداية وله نهاية وليس مخلوقا، والخلق شيء آخر له بداية وله نهاية.

وهناك معنى آخر وهو المعنى الذي يريده الجهمية وهو المعنى المنفي: هو أن يكون القرآن قد بدأ من الأرض ولا علاقة لهذا القرآن الذي بدأ في الأرض بقرآن السماء، وهذه هي مقالة اللفظية ومقالة الجهم أصالة، وأن القرآن إنما وجد في محل ولهذا يوجد في الاعتقاد القادري عبارة يقول: وأن القرآن المتلو هو عين كلام الله الذي تكلم به.

فنحن نؤمن أن القرآن الذي نقرأه ونسمعه قد تكلم الله به هكذا.
أما الجهمي الصريح يقول: أن الله خلق هذا في مخلوق بدأ من مخلوق، لأن الله عز وجل لا يتكلم، كأن تقول هو سميع بصير معناه أنه يخلق السمع والبصر في غيره.
وأما اللفظي فيقول القرآن معناه في نفس الله ولكن الله تبارك وتعالى قد جعل مخلوقا يعبر عما في نفسه، فالقرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية وليس هو كلام الله حقيقة، الله لم يتكلم به بما شاء ما تشاء.

ومعنى حدث ومحدث وقديم، هناك معنى موجود في لغة العرب أو معنى اصطلاحي وهناك معنى كلامي،
فالمتكلمون عندهم كل ما له بداية ونهاية هو محدث وهذا المعنى يستخدمه بعض أهل العلم كما استخدمه البخاري.

وهناك معنى أن المحدث: المخلوق، وهذا معنى خاص عند المتكلمين بنوه على عقيدتهم المعروفة أن كل ما له بداية ونهاية مخلوق.

وهناك معنى الظهور والابتداء، وهذا المعنى الذي حاول الجهمية أن ينزلوه في الآية.

والقديم الذي هو يقابل محدث له معنى وهو: ما لا بداية له.

وهذا المعنى موجود في كلام أهل الكلام.

وهناك معنى موجود عندنا وهو: ما تقدم على غيره أو ما كان عتيقا متقدما كما نحن نقول هذا الشيء عتيق ليس معناه أنه لا بداية له، ولكن هذا وصف نسبي يعني بالنسبة لغيره.

وفقا لمذهب الجهمية: الله عز وجل لم يصح له كلام إلا بعد أن خلق السماوات والأرض.

وفقا لمذهبنا: الله عز وجل تكلم قبل أن يخلق الخلق بل لم يزل متكلما بما شاء متى شاء، بل لا يمكن أن نقول لكلمة من كلمات الله عز وجل أن هذه هي أول كلماته على الإطلاق كما أننا لا يمكن أن نقول في كلمة من كلماته هي آخر كلماته على الإطلاق فهو الاول والآخر ويفعل ما شاء ما تشاء سبحانه وتعالى.

الآن نقرأ كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى،

قال أحمد رضي الله عنه: اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليه اسم ذم فأدناهما أولى به،

يعني الآن مثلا زيد وعمر كلاهما اسمه رجل يجتمع فيهما اسم الرجل، فإذا قيل فلان رجل حقا، فنقول عمرو رجل حقا أو عمر هو الرجل، فنحن نريد المدح أن هذه أعلى الصفة صارت عنده.

وإن اجتمعا بوصف دون فأُطلق فقيل مثلا فلان هو الفقير حقا فأدناهما أولى بالوصف .

الإمام يريد معنى الذكر، فالحديث ذكر والقرآن ذكر فإذا أُطلق الذكر يراد به أعلى الذكر الذي هو القرآن، هذا الذي يريده أحمد

وإن أريد (ذكر) فقد يشمل الاثنين وقد يراد الدون أي السنة.

يقول من ذلك:

ومن ذلك قول الله تعالى في كتابه: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج: ٦٥] {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان: ٦]يعني الأبرار دون الفجار، فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان، واسم العباد، فالمعنى في قوله الله جل ثناؤه: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان: ٦] يعني الأبرار دون الفجار، لقوله إذا انفرد الأبرار: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [الانفطار: ١٣].

وإذا انفرد الفجار: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}[الانفطار: ١٤] .

وقوله: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج: ٦٥] فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا في اسم الناس،لأن المؤمن إذا انفرد أعطى المدحة لقوله: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج: ٦٥]

أيضا قوله عزوجل: {ولقد كرمنا بني آدم} هذه أهل الإيمان هم الأولى بها، أما الكفار فقد دفعوا عن أنفسهم الكرامة.

{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣] .

وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم في قوله:{أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨] ،

وقال: {أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٥] . فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة.

وفي قوله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ} [الشورى: ٢٧] .

الآن العباد من هنا؟ أهل الفسق وأهل الكفر ليس أهل الإيمان ليس هم عباد الرحمن

فاجتمع الكافر والمؤمن في اسم العبد، والكافر أولى بالبغي من المؤمنين؛ لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط لهم من الرزق، وهو وقوله:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا}[الفرقان: ٦٧] .

وقوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [البقرة: ٣] .

وقد بُسط الرزق لسليمان بن داود، ولذي القرنين، وأبي بكر،

وعمر، ومن كان على مثالهم ممن بسط له فلم يبغِ.

وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: {فَبَغَى عَلَيْهِمْ} [القصص: ٧٦] . ونمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج في ربه، وفرعون حين قال موسى: {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس: ٨٨] .

فلما اجتمعوا في الاسم الواحد فجرى عليهم اسم البغي كان الكفار أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح.

فلما قال الله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} [الأنبياء: ٢] .

فجمع الله بين ذكرين: ذكر الله، وذكر نبيه،

ذكر نبيه أي السنة.

فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجرِ عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: ٤٥]

يعني ذكر الله أكبر من ذكر آخر.

{هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ} [الأنبياء: ٥٠] .

وإذا انفرد ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[الصافات: ٩٦] .

فذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– له عمل، والله له خالق محدث،

والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} [الأنبياء: ٢]

يعني من تبعيضية، إذًا هناك ذكر يقع عليه اسم الحدث وذكر اخر لا يقع عليه.

فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر، وقال الله: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: ٥٥] . {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى: ٩] ، {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} [الغاشية: ٢١] .

هذا نفس الكلام الذي قرأناه عن العمراني لكن بصياغة أخرى، راجعوا كلام العمراني.

فلما اجتمعوا في اسم الذكر، جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق، ولا حدث،فوجدنا دلالة من قول الله: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} [الأنبياء:

٢] إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وحتى لما يقال: علمه الله، إذًا هو يذكر فعلا لله عز وجل اختياريا.

هذه خلاصة هذا المبحث والذي حصل فيه إشكالات كثيرة، ولي مقال في قول داوود ومحدث وأيضا في شرح هذا الموضوع يرجى أن يراجع وأيضا صوتية المحدث عند أئمة السلف، هذا المبحث مهم جدًا بارك الله فيكم.

وتقريبا هذا إطناب لكلام موسع في المحنة، أحمد لما أُمتحن أحتج عليه بهذه الآيات وأجاب بهذا الكلام، حتى على مسألة نسبة الرسالة وغيره تقريبا هذا الكلام بالضبط موجود في رواية المحنة، وبالمعنى العام الإجمالي هذا اختيار أحمد هذه أجوبة على شبهات الجهمية تمامًا، لكن هنا في الكلام ضرب من التوسيع على أنه هنا يعني كان لا يذكر الحديث كثيرًا بخلاف الوارد في المحنة أنه كان يذكر الحديث، حتى أن أحدهم قال له: نراك تنتحل الحديث.

يعني أنت تستدل بالسنة ويبدو أن هذا الرجل يعني كان لايعترف بالسنة. فقال له أحمد:

قول الله عز وجل: {للذكر مثل حظ الأنثيين} ما تقول به؟

قال: عمت المؤمنين.

فقال له أحمد: فإن كان عبدًا أو قاتلا؟.

يعني رجل قتل أباه يرثه؟ أو كان عبدا وأبوه حر يرثه؟ بإجماع أهل الإسلام لا يقع الميراث.

أنت الآن خصصت عموم القرآن بالسنة أو بآثار الصحابة، طبعا لماذا الإمام أحمد أستدل بهذا؟ لأن كان فيه قضاة موجودين، لا يمكن أن يقولوا والله نحن لا نقول بهذا أو لا نحكم به.

سيقول لهم :كل أسلافكم يحكمون بهذا وهذا إجماع.

هذا وصل اللهم وسلم على نبينا محمد.

المجلس التاسع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا مجلس جديد في الرد على الزنادقة والجهمية، وهذا الدرس يا أخوة أرجو أن تركزوا سنقرأ قليلا ولكن سنذكر شيئا كثيرا إن شاء الله تبارك وتعالى فيه إفادة في جواب شبهة مشهورة للجهمية، وسنتحدث قليلا عن دين النصارى وعن شبه كلام النصارى بكلام الجهمية.

يقول الإمام أحمد:

ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر فقال: إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق.

فقلنا أي آية؟

فقال: قول الله: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ} [النساء: ١٧١] .

وعيسى مخلوق.

فقلنا: إن الله منعك الفهم في القرآن، عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يسميه مولودًا وطفلا وصبيًّا وغلامًا، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى: هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} [النساء: ١٧١] .

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن،فكان عيسى: بكن وليس عيسى هو الكُنُّ، ولَكِنْ بالكُنِّ كَانَ، فالكُنُّ من الله قول، وليس الكن مخلوقًا.

وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، لأن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله. وكلمته من ذات الله. كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

وأما قول الله: {وَرُوحٌ مِنْهُ} [النساء: ١٧١]يقول: من أمره كان الروح فيه كقوله: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية: ١٣] .

يقول من أمره وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال:عبد الله وسماء الله وأرض الله.

الآية التي يستدل بها الجهمي يستدلون بأن الله عز وجل سمى عيسى كلمة وأن عيسى عليه الصلاة والسلام مخلوق،

تلاحظون إشكالا في هذا الاستدلال؟

الآن نحن موطن نزاعنا مع الجهمية: هل الله يتكلم أو لا يتكلم، والنصوص في ذلك قطعية أن الله يتكلم ويقوم به كلام، هم بنوا قولهم بخلق الله على أن الله عزوجل لا يتكلم،

الآن هذه الآية التي استدلوا بها:

هل فيها كلام عن القرآن؟

هل هذه الآية التي استدلوا بها فيها كلام عن كلام الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام؟ ليس فيها.

هل فيها كلام عن كلام الله عز وجل للخلق قبل خلقهم وبعد خلقهم ويوم القيامة؟ ليس فيها.

وإنما جاءوا وقالوا أن هذه الآية فيها تسمية الخلوق كلمة، وبما أن المخلوق سمي كلمة فأنتهى الأمر فإذًا كل الكلمات مخلوقات.

فيقال لهم لماذا الله عزوجل يخصص عيسى بن مريم بالذكر؟

دائمًا لا بد أن ننتبه لهذه النقطة ألا وهي: أن كل دليل يستدلون به هو دليل ضدهم.

الآن لماذا خص عيسى بن مريم بقوله: {وكلمته}؟ أليس عند الجهمية أن عيسى لا يختلف عن غيره؟

هم أليس عندهم أن كل كلمات الله مخلوقة،

هم أصلا لا يفرقون بين {ألا له الخلق والأمر} هم لا يقولون أن هناك خلقا غير الأمر، يقولون الأمر خلق والخلق خلق،

ويقولون {كن} مخلوقة، إذًا لا فرق بين خلق عيسى وخلق أي كائن آخر، لماذا الله عزوجل نص على عيسى أنه كلمته؟

يقال لهم: إجابة هذا السؤال به تنتقض شبهتكم.

سيقولون لنا: وأنتم أيضا عندكم عيسى عليه السلام كغيره خُلق.

نقول: نعم عيسى مخلوق كغيره ولكنه خلق بطريقة مختلفة وهذا معنى قوله تعالى: {وكلمته} في القرآن الله عز وجل أبان لنا: ﴿قالَت رَبِّ أَنّى يَكونُ لي وَلَدٌ وَلَم يَمسَسني بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمرًا فَإِنَّما يَقولُ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]

فأصلا بنص القرآن أن عيسى يقول الله له (كن) فيكون.

وهذا تفسير أحمد يقول كلمته معناه أن الله عزوجل خلقه بالكلمة، وهذا يدل عليه ظاهر القرآن ويدل عليه الآية الأخرى ﴿إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]

فـ(كن) كانت قبل عيسى: فيكون، فـ للتعقيب.

لماذا خصص عيسى بالذكر وبأنه كلمة الله؟ لماذا استحق هذا اللفظ؟ مع أن كل المخلوقات خلقت بـ {كن}

عيسى استحق هذه اللفظ لأنه خُلق بكلمة خاصة، ففي العادة الله عز وجل يقول لنا كونوا بماذا؟ بزواج رجل بامرأة بأب وأم،

فـ (كن)من خلال أب وأم،

وأما عيسى فـ(كن) هذه التي جاءت له خاصة به،

هي كلمة خاصة أن (كن) بلا، فهي كلمة تختلف عن كلمات الخلق للآخرين، فلهذا هو خصص بالذكر.

وهذه عادة أن من أخذ صفة خاصة يأخذ الاسم، مثل قول الله عزوجل: {سبحان الذي أسرى بعبده} فالنبي ﷺ لما كان أعبد العباد استحق الاسم لوحده وإن كان غيره عباد أيضا.

والآيات الأخرى قد وضحت هذه الآية:

﴿إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]

الكلمة الآيات الأخرى شرحتها.

ويقول البخاري في خلق أفعال العباد صـ ٣٠:

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ عُمَرَ، عَنْ قَتَادَةَ:{وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} [النساء: ١٧١] قَالَ: " هُوَ قَوْلُهُ: {كُنْ} [الأنعام: ١١٧] فَكَانَ ".

إذًا عندنا التابعي قتادة بن دعامة فسر الآية.

وقال الله عز وجل: {وروح منه}

يقول الإمام أحمد: من أمره كان الروح، كقوله تعالى: {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} يعني منه بدأ الأمر.

في النصوص أحيانا تطلق آثار الصفات على الصفات

وهذا من باب الآثار، كقول الله عزوجل للجنة: أنت رحمتي.

هل هذا ينفي وجود صفة قائمة في ذات الله عزوجل هي الرحمة؟

لأن الرحمن معناه من تقوم به الرحمة، الرحيم معناه من تقوم به الرحمة.

لكن هو من آثار رحمته سبحانه وتعالى: الجنة.

لماذا قال لها أنت رحمتي وهناك أشياء كثيرة فيها رحمة الله عزوجل.

كما قيل لعيسى: الكلمة، لأن الجنة هي الرحمة الخالصة.

وكما قال للنار: أنت عذابي.

وهذه مسألة مهمة ألا وهي: أن الصفة تقوم في ذات الله ثم لها آثر يخرج.

(أن الله جميل يحب الجميل)

الله رحيم ثم رحمته هذه يكون لها آثار متعدية ظاهرة في مخلوقاته، المعطلة الجهمية يحصرون الأمر بالمنفصل عن الله عز وجل، لكن أهل الإسلام أهل السنة يقولون أن هناك أمرًا يقوم بالله عزوجل ومن آثاره يظهر، فالله جميل يحب الجمال، والله بكلمته خلق وأوجد.

الله عز وجل من آثار سمعه وبصره أن وجد في المخلوقات سمع وبصر، من آثار نوره أن وجد في المخلوقات.. {وأشرقت الأرض بنور ربها} ما النور هذا؟ قد يقول قائل: ممكن المقصود

أشياء مخلوقة تنير، لكن هذه الأشياء المخلوقة التي تنير.. لهذا نقول فاقد الشيء لا يعطيه، الله عزوجل لما أعطانا الحياة هذا من آثار حياته، وهكذا أنت تفهم الأمر تمامًا.

فعيسى كلمة لأنه من آثار الكلمة، كما أن الجنة رحمة لأنها من آثار الرحمة.

لماذا هو خص بالذكر؟ لأن كلمته مختلفة عن كلمات بقية الخلق، فبقية الخلق يقول الله عزوجل لهم: (كن) من أبوين وعيسى قيل له: (كن) من أم فقط.

الآن مثلا عندنا الآية: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}

طيب الصحابة الكرام طوال غزواتهم يرمون المشركين {يعذبهم الله بأيديكم} والله مؤيد للصحابة الكرام،

لماذا قيل في هذه بالذات: {ولكن الله رمى}؟

لأن النبي ﷺ رمى رمية فالله عزوجل أدخل فيها الإعجاز وأدخل فيها البركة حتى أصابت أعين المشركين جميعًا،

فهنا نسبت لله عزوجل لأنه قام بفعله الخاص وإلا كل أفعال العباد مخلوقة لله عزوجل لكن هذا لأن فيه فعل خاص على جهة الإعجاز.

أيضا روى الإمام الطبري في تفسيره عن قتادة قال [٦/٤١١]:

قوله:"بكلمة منه"، قال: قوله:"كن".

فسماه الله عز وجل"كلمته"، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدّر الله من شيء:"هذا قدَرُ الله وقضاؤُه" ، يعنى به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث.

نحن نقول قدر الله وماشاء فعل أو هذا قدر الله، على أشياء مخلوقة نرجعها للفعل الأساسي أن الأمر بدأ من الله هو الذي أمر به سبحانه وتعالى.

يقول أبو عبيدة القاسم بن سلام فيما روى عنه البخاري في خلق أفعال العباد صـ٤٤:

وَأَمَّا تَحْرِيفُهُمْ:إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَلَوْ كَانَ كَمَا قَالُوا لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ: وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ لِأَنَّ عِيسَى مُذَكَّرٌ، وَالْكَلِمَةُ مُؤَنَّثَةٌ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَلَقَ اللَّهُ عِيسَى بِالْكَلِمَةِ لَا إِنَّهُ الْكَلِمَةُ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} [النساء: ١٧١] يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى:{فأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا}[مريم: ١٧] ، وَقَالَ: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩] فَخَلَقَ عِيسَى وَآدَمَ بِقَوْلِهِ: كُنْ وَلَيْسَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ خِلَافٌ.

يقول الدارمي في رده على المريسي [٢/٦٧٥]:

عَامَّةُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ: أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: "كُنْ فَيَكُونُ"، وَمَتَى لَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، لَا يَكُونُ، فَإِذَا قَالَ: "كُنْ"كَانَ، فَهَذَا الْمَخْرَجُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ بِإِرَادَتِهِ وَبِكَلِمَتِهِ لَا أَنَّهُ نَفْسُ الْكَلِمَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وَلَكِنْ بِالْكَلِمَةِ كَانَ، فَالْكَلِمَةُ مِنَ اللَّهِ "كُنْ" غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَالْكَائِنُ بِهَا مَخْلُوقٌ.

وَقَوْلُ اللَّهِ فِي عِيسَى "رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ" فَبَيْنَ الرُّوحِ وَالْكَلِمَةِ فَرْقٌ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الرُّوحَ الَّذِي نَفَخَ فِيهَا مَخْلُوقٌ امْتَزَجَ بِخَلْقِهِ، وَالْكَلِمَةُ مِنَ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ لَمْ تَمْتَزِجْ بِعِيسَى، وَلَكِنْ كَانَ بِهَا، وَإِنْ كَرِهَ لِأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ أَمْرٌ، فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قُلْنَا.

النصارى الآن ما عقيدتهم؟ عندي أنا صوتية تكلمت فيها عن الاتصال المنهجي بين النصارى والجهمية،

ما عقيدة النصارى في المسيح؟

يقولون هو ابن الله ؟ ويقولون هو الله صح؟ ويقولون ثالث ثلاثة صح؟

هل هذه فرق مختلفة للنصارى كل واحد يقول قول؟

لا، هذا قول النصارى جميعهم، هذه الأقوال الثلاثة عندهم واحد.

هم يقولون أن عيسى هو الله، وأن الله ثلاثة أقانيم ثالث ثلاثة، وأن عيسى هو الكلمة وهو الله.

فأنت إذا قلت أن عيسى هو كلمة فقط، فهم سيعتقدونك مهرطقا كما يقولون.

إن قلت أن عيسى أدنى رتبة من الله سيكفرونك ويعتبروك مهرطقا.

تعرفون قصة فاعل فعل مفعول؟

نحن نثبت لله أنه الفاعل، ونثبت له فعلا (أنه يتكلم)، ونثبت له مفعولات: مخلوقات.

الجهمي ماذا يثبت؟ يثبت لله أنه فاعل ولا يثبت له فعلا ويثبت له مفعولات فقط.

النصراني ماذا يقول؟ الفاعل الذي هو الله والفعل الذي هو الكلمة والمفعول الذي هو عيسى المخلوق واحد لا يختلفون.

واحد زائد واحد زائد واحد يساوي كم؟ عندهم واحد، وهذا منتهى السفسطة والكفر.

لكن هم خصصوا هذا في المسيح عليه السلام، ومقالتهم عجيبة جدًا وهي كفر وضلال، ولكنهم من جانب آخر يثبتون لله الكلمة الفعل والمفعول في غير المسيح، فيقولون الله يخلق الأشياء بكلمته لا مشكلة.

بخلاف الجهمية الذين نفوا أفعال الله كلها، ولهذا كان السلف يقولون: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا يمكنغ أن نحكي كلام الجهمية.

فالنصارى جاءوا إلى فعل من أفعال الله ومفعول من مفعولاته فجعلوه هو الله،

أما الجهمية فجاءوا إلى أفعال الله عز وجل كلها وحطموها لم يثبتوها كلها، جعلوها هي والعدم سواء، والعدم شر من المخلوق، يعني أنت لو قلت أن أفعال الله مخلوقات فاضلة فأنت أثبت شيئا موجودًا أحسن من اللاشيء، وإن كان كله لا يجوز كله كفر.

فالإمام يقول لهم أنتم عليكم أن تنظروا في السياق، فعيسى عليه الصلاة والسلام تجري عليه ألفاظ مثل أنه مولود وطفل وصبي، الآن لو فرضنا جدلا أن لله عزوجل كلمات تسمى مخلوقة من أين لنا أن له كلمات أخرى غير المخلوقة؟ ليست له كلمات غير مخلوقة

يعني الآن فيه رحمة لله عز وجل مخلوقة التي هي الجنة رحمة الله،

لكن لله رحمة غير مخلوقة التي هي صفته القائمة بذاته التي هي منه سبحانه وتعالى.

فكذلك الكلمات، أنت مجرد أن تثبت أن المسيح من صفته كذا وكذا..

ولا تستهن باستدلالهم هذا لو قالوا أن المسيح هو الكلمة تمامًا؛ طيب إذًا المسيح لم يُخلق بشيء.

الآن نحن حين نستدل نقول:

﴿أَم خُلِقوا مِن غَيرِ شَيءٍ أَم هُمُ الخالِقونَ﴾ [الطور: ٣٥]

فنقول أن الشيء لا يوجد نفسه لأنه لم يكن موجودًا، لو كان المسيح هو الكلمة ما الذي أوجد المسيح أصلا؟ لكان المسيح هو الذي أوجد نفسه،

لو كان المسيح هو (كن)، فما الذي أوجده؟

فهمت الآن لماذا أحمد شبههم بالنصارى؟ النصارى يقولون أن المسيح هو خلق نفسه هو أوجد نفسه، لا الله أوجده بـ(كن) لكن كن خاصة.

أما مسألة: {روح منه}

فهذه روح منه على القاعدة التي ذكرناها آنفا:

أن الله عزوجل إذا نسب إليه شيء لا يقوم بنفسه يكون إضافة صفة إلى موصوف، علم الله قدرة الله.

طيب الروح تقوم بنفسها أو لا تقوم؟

فيه ملك يسمى روح {يوم يقوم الروح والملائكة صفا} فيه مخلوق يسمى الروح، وفيه ملك جبريل يسمى روحا لأن جاءت معه الحياة، فلفظ الروح ولفظ النور هذا لفظ يطلق ويراد به صفة تقوم في ذاته ويطلق ويراد به ذات قائمة بنفسها،

فجبريل سمي روحا لماذا؟ لأن جاء معه الروح الوحي، مثل ما أن الروح هي الفارق بين حياة الأبدان وموتها فكذلك الوحي هو الفارق بين حياة القلوب وموتها.

فلهذا سماه الله عز وجل روحا، وكذلك سماه نورا لأن النور هو الذي إذا جاء إلى العين أبصرت الأشياء فكذلك الوحي إذا عقلته القلوب أبصرت الأشياء على حقائقها.

هنا نقرأ أيضا يقول:

ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر، فقال: إن الله يقول: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [السجدة: ٤] .

فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما فشبه على الناس ولبّس عليهم.

فقلنا له: أليس إنما وقع الله –جل ثناؤه–والخلق والمخلوق على ما في السموات والأرض وما بينهما فقالوا: نعم.

فقلنا: هل فوق السموات شيء مخلوق؟

قالوا: نعم. فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق السموات مع الأشياء المخلوقة، وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة لم يسمِها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السموات والأرض وما بينهما.

وقلنا فيما ادعوا: إن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما، فقلنا:الله تبارك وتعالى يقول: {مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ}[الروم: ٨] .

فالذي خلق به السموات والأرض، قد كان قبل السموات والأرض والحق الذي خلق به السموات والأرض هو قوله؛ لأن الله يقول الحق وقال: {فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} [ص: ٨٤] ، {وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ} [الأنعام: ٧٣].

فالحق الذي خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض، والحق قوله، وليس قوله مخلوقًا.

طبعا هذا من أتفه الشبهات وأضعفها، هو يقول لك: أن القرآن في السماوات والأرض.

فقال لهم أحمد طيب وما فوق السماوات والأرض؟ هو القرآن من الله عزوجل. والله عزوجل فوق السماوات والأرض عرشه فوق السماوات.

وعلى فكرة **هنا فائدة** انتبهوا لها:

الله عزوجل إذا أطلق السماء فالسماء تشمل كل ما علا حتى العرش، لهذا حين نقول الله في السماء هذا لا يناقض قولنا فوق العرش، لأن السمو العلو {فرعها ثابت وأصلها في السماء}

لكن إذا قلنا السماوات فإنما يراد هذه السبع المبنية، وقد نبه على هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية.

السماوات والأرض خلقها الله عز وجل في ستة أيام، وخلقها بـ(كن) وكلامه منه، فإنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء بائن من خلقه والكلام بدأ منه فهذه الشبهة ليست بشيء، لكنها هذه الشبهة تظهر لنا معنى جميلًا جدًا قول الله عزوجل {في ستة أيام} هذا يرد على الجهمية وهذا واجبنا اليوم: ما الحكمة في أن الله عزوجل خلق الخلق في ستة أيام؟

هذه في ستة أيام الله عزوجل جعلها الله للرد على الفلاسفة والجهمية والملاحدة، وهذه تراجعون صوتيتي: فاعل فعل مفعول وحكمة الخلق في ستة أيام إذ ذكرت الحكمة في ذلك وهذا هو الواجب بارك الله فيكم هنا نقف.

الدرس القادم إن شاءالله نبدأ في الكلام عن رؤية الله عزوجل يوم القيامة.

المجلس العاشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد

الدرس العاشر في الرد على الجهمية والزنادقة،

اليوم حديثنا ان شاء الله عن صفة الرؤية، نقرأ بارك الله فيكم ما قاله الإمام رحمه الله يقول:

بيان ما جحدت الجهمية من قول الله سبحانه:

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

قال أحمد –رحمه الله– فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟

فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، لا يرى إلا شيء يفعله.

فقلنا: أليس الله يقول: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣] ؟

فقالوا: إن معنى: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته. وتلو آية من القرآن: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} [الفرقان: ٤٥] .

فقالوا: إنه حين قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ} أنهم لم يروا ربهم، ولكن المعنى: ألم تر إلى فعل ربك؟

فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} .

فقالوا: إنما تنتظر الثواب من ربها.

فقلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها.

فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة،

وتلوا آية من المتشابه من قول الله جل ثناؤه:{لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}[الأنعام: ١٠٣] .

وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعرف معنى قول الله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} وقال: "إنكم سترون ربكم".

وقال لموسى: {لَنْ تَرَانِي} ، ولم يقل: لن أُرى، فأيهما أولى أن نتبع: النبي –صلى الله عليه وسلم– حين قال: "إنكم سترون ربكم" أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم؟!

والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف فيها أهل العلم.

ومن حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد في قول الله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] ، قال: النظر إلى وجه الله.

ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى [عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم]. قال: "إذا استقر أهل الجنة في الجنة ونادى منادٍ: يا أهل الجنة إن الله قد أذن لكم في الزيادة، قال: فيكشف الحجاب [فيتجلى لهم". وذكر الحديث.

قال الإمام أحمد رحمه الله] ٤ فينظرون إلى الله لا إله إلا هو، وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله، لأن الله قال للكفار: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟

والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده.

اليوم ندخل في درس الرؤية وفي هذا الدرس وفي هذا المجلس فوائد إن شاء الله،

وهذا هو **أعظم ثواب أهل الجنة أن يروا ربهم سبحانه وتعالى**، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقَائِهِ﴾ هذه منيا أهل الإيمان، يقول الحسن البصري رحمه الله: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم عز وجل في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا. [السنة لعبدالله ٤٧٠ ط عادل آل حمدان]

هذا أعظم ما تتمنى النفوس أن ترى ربها، في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم إني اسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. [مسند أحمد ١٨٣٢٥]

علامة الإيمان الشوق إلى الله عزوجل، وهذا الشوق عند أهل الذوق من أعظم البراهين، فالإنسان يجد في نفسه تشوفا شديدًا إذا سمع حديثا عن رؤية الله عزوجل يتحرق قلبه مباشرة، وهذه بقايا الفطرة وكلما كانت الفطرة أقوى كلما تحرق قلبك بشكل أكبر، وهذا الشوق أنا اسميه الشوق المبدد للشبهات.

كل شبهات أهل الباطل كلام فارغ.. يمين وشمال، الوثني يعبد غير الله ولو عبد الله وحده لارتاح، هو يزيد يأتي بدعوة جديدة: يعبد غير الله، الجهمي يأتي بدعوة من عنده جديدة يزيدها أنه يأول النصوص ولو تركها على ظاهرها لارتاح وهكذا،

لكن أهل الإيمان هم السائرون كما يقال على الطريق المضمون، موضوع الرؤية، هذا الموضوع الجليل

أول جملة للإمام أحمد هنا جليلة، يقول:

قال أحمد –رحمه الله– فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟

الجهمية هؤلاء صادقين جدًا الذين كانوا يكلمون أحمد

فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، لا يرى إلا شيء يفعله.

هذه العبارة هي خلاصة خلافنا مع الجهمية، "لأن المنظور إليه معلوم موصوف"

تعرف معلوم موصوف أيش معناها؟

معناها ما يقال: قائم بذاته، معناها: ما له وجود حقيقي الذي هم يسمونه تجسيم،

معناها أنه وجوده في الأعيان ليس وجوده فقط في الأذهان، هؤلاء الجهمية منتهى قولهم كما يقول نعيم بن حماد إلى التعطيل يعني إلى الإلحاد، هم لا يؤمنون بوجود الله عز وجل وجودًا حقيقيًا، يؤمنون أنه موجود في الذهن فقط، ولهذا كونه سبحانه وتعالى يُرى هذا معناه أنه موجود في الخارج أن له صفات حقيقية، لهذا يقول ابن خزيمة: يقول ليس شيء أنقض على الجهمية من الرؤية.

لأن في الرؤية تنتقض كل مذاهبهم:

إذًا لله عزوجل وجه يُرى.. إذًا الله عزوجل فوق في العلو

حتى النبي ﷺ لما حدث الصحابة عن رؤية الله عز وجل ماذا قال لهم؟ قال لهم: إنكم سترون ربكم كما ترون القمر.

القمر منير والله عزوجل حجابه النور لو كشف عنه لأحرقت سبحات وجهه، والقمر فوق.. النظر من أدنى لأعلى،

لهذا الجهمية على فريقين:

• فريق نفى الرؤية صراحةً وهذا تجده اليوم مذهب الرافضة ومذهب الإباضية ومذهب الزيدية، ورثوا قول الجهمية هذا ومتقدموهم ما كانوا على هذا.

• وأما الأشعرية والماتريدية فقالوا بقول عجب، قالوا: أن الله يُرى إلى غير جهة.
ولهذا الغزالي أنتهى في إحياء علوم الدين إلى أن الرؤية زيادة علم، فأنتهى إلى قول الجهمية هو والرازي، ويقول ابن تيمية أنه أنتهى الخلاف بينه وبين الجهمية الأولى أنه خلاف خلاف لفظي والله المستعان.
لدي مقال: حين تنطق الفطرة على لسان اللغة.

يقول: لأن المنظور إليه معلوم موصوف.

يعني أيش؟ وما المشكلة أن يكون الله عزوجل معلوم موصوف؟ هذا شرحناها لكم في الدروس الأولى أنهم وصفوا الله بصفات العدم وجعلوه عدما وكل صفة تجعله موجودًا تعالى الله عزوجل يقولون: تجسيم! تشبيه! ويخوفونك، وهم في الواقع يعدمون الإله. سبحان الله

يقول: لا يُرى إلا شيء يفعله.

هذا مثل قولهم في الكلام، الكلام هو فعل الله جعلوه مفعولاته، والرؤية أيضا جعلوها لمفعولاته، إذًا كل شيء نحن نتعامل مع مخلوقات الله ، الله لا يسمع له كلام – تعالى الله – ولا يُرى ولا يُشار إليه.
هذا هو العدم! وكل شيء أرجعوه إلى المفعولات التي هي المخلوقات،

ثم بعد ذلك ذكر عنهم تأولهم للآية: { إلى ربها ناظرة } قالوا: تنتظر الثواب.

هم الآن وركز في هذه النقطة، هم بحثهم ليس لغويًا، **هم يرون أن الله يستحيل عليه أن يُرى،** ولهذا النصوص الموجودة لابد أن نأولها، انظر بعض الناس يقولون هم عندهم شبهة لغوية.

لا ليس عندهم شبهة لغوية، لأن لو فرضنا أن في اللغة للنظر معنيين:

معنى النظر بالعين والنظر الانتظار، أنا رجحت النظر بالعين وأنت رجحت النظر انتظار الثواب،

هذا أيش يصير؟ يصير خلافًا فقهيًا أو خلافًا لغويًا يعني خلاف فقهي بمعنى يشبه الخلاف اللغوي، أو خلافًا .. لا أصير أنا مشبه وأنت موحد صحيح؟

لا هم يقولون هذا يستحيل على الله وهذا في كل تأويلاتهم،

الآن يقول لك اليد ممكن تأتي في اللغة بمعنى القدرة،

قل له طيب ممكن تأتي بمعنى غير القدرة لا مشكلة،

لماذا أنت حريص على أن يكون معناها القدرة؟

لماذا أنت حريص أن يكون معنى الوجه الذات؟

لأنك ترى أنه يستحيل على الله أن يكون له وجه أو يد أو يُرى،

من أين أتيت ببرهان قطعي على أن الله يستحيل عليه هذا؟ في القرآن والسنة؟ لا يوجد.

الدليل عندك من سفسطة اليونان، لهذا يا أخوة لا يوجد معطل لا يقدم العقل على النقل، بعض الناس يقول لك: انظر هم نوعين منهم من يقدم العقل على النقل ومنهم من لا يقدم لا يا حبيبي كلهم يقدمون العقل على النقل،

مجرد ما يقول لك: هذا يستحيل على الله هو أتى بالعقل اليوناني، ثم بعد ذلك يستخدم أدوات تعسفية من تأويلات التي هي تحريفات، خطأ نسميها تأويلات هي تحريفات، يأتي بهذه الأدوات التعسفية، والآن تعال إلى أي زنديق: رجل علماني رجل عنده أفكار نسوية، ما الذي يستخدمه؟ يستخدم هذه الأدوات، يتحاكم إلى هذه الأمور التي في رأسه، ثم بعد ذلك حين يتعامل مع النصوص يبدأ يعسفها عسفًا، الحديث يكذبه والآيات يعسفها على خلاف مراد الله عزوجل وأصلا لا يهمه مراد الله،

هنا اقرأ كلامًا جميلًا لابن القيم في كون الآية **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** لا تحتمل إلا معنى النظر إلى وجه الله عز وجل، وقد ورد هذا عن عكرمة صح عنه أنه فسر النظر بالنظر إلى وجه الله عزوجل، عكرمة البربري الذي تنتحله الإباضية ولهذا نصصت عليه. يقول ابن القيم في كتابه الجميل حادي الأرواح وهذا الكتاب بحثه في الرؤية جميل جدًا والواجب أن تقرؤونه لأنه من أجمل الأبحاث التي ممكن الانسان يطلع عليها لذلك ابن الوزير في كتابه العواصم ان يجوي محاكمة بين المعتزلة واهل السنة اختار بحث ابن القيم

يقول ابن القيم [حادي الأرواح ٢/٦٢٢ ط عطاءات العلم]:

الدليل السابع: قوله عز وجل: {وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)} [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها = وجدتها منادية نداء صريحا: أن الله سبحانه يرى عيانا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلا،

هنا ابن القيم يركز على أننا ما ينبغي أن نسميها تأويلات، نسميها تحريفات، لهذا في الواسطية شيخ الإسلام يقول: تحريفات. قالوا له تأويل؟ قال: لا. تحريف.

ما الفرق بين التأويل والتحريف؟

التأويل أنني أحاول أن أفهم مراد المتكلم.

أما التحريف لا. أحاول أن أعسف كلام المتكلم على هواي.

فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك،

هنا ابن القيم يلزمهم إلزاما، فيه فلاسفة قلنا أنهم لا يرون معاد الأجسام، يرون أن البعث للأرواح فقط، الذي هم ابن سينا وجماعته.

وفيه ناس أولوا الصراط والميزان وكذا، ابن القيم أنتم أيها الجهمية الذين ترفضون هذا أسهل عليكم وأنتم ترفضون التأويلات الأخرى ما رفضتموه أهون مما قبلتموه من التأويل.

ابن القيم يقول:

ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل

ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا.

انظر ابن القيم يقول أن هذه التأويلات أفسدت الدين والدنيا

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة "إلى" الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه

المعدى بـ "إلى"خلاف حقيقته، وموضوعه = صريح في أن الله سبحانه أراد بذلك نظر العين

الآن ابن القيم يبين أن هذه الآية صريحة في الدلالة على رؤية الله عز وجل من ناحية أنه أضاف الأمر إلى الوجوه والوجوه فيها البصر، فهذا دليل أنه يتكلم عن نظر العين،

ثانيًا: عداها بـ (إلى) ممكن أقول نظرت فلانا بمعنى انتظرته ممكن تتعدى بنفسها لا مشكلة، وممكن أقول نظرت على فلان بمعنى راقبته، لكن النظر إذا تعدى بـ (إلى) فيراد به نظر البصر الرؤية البصر العين، ثم يقول أن الكلام أُخلي من أي قرينة، وهذه مسألة مهمة جدًا إذا كان الله عز وجل لا يريد منا أن نؤمن بصفاته كما يزعم المعطل لماذا النصوص دائما تنادي على الاثبات بدون أي قرائن يبينها الرسول ﷺ أو تكون مبينة في النصوص تدلنا على أنه لم يرد الحقيقة،

الآن لما ورد في الحديث: مرضت فلم تعدني.

قال: وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: مرض عبدي فلان ولو زرته لوجدتني عنده.

هنا لما نُسب لله عزوجل ما ينافي الكمال بُيِّنَ ووضح ..

الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال لأمهات المؤمنين أنه تلحقني أطولكن يدًا، ما لبث إلا أن جاءت القرينة التي دلت على مراد النبي صلى الله عليه وسلم أنها أكرمهن، وهذا أيضا يدل على العطاء الحقيقي على اليد لأن الإنسان بيده يعطي.

وأيضا نصوص العلو الذي وضعناها مرة واجبًا لكم أن تجمعوها، لماذا أنا طلبت منكم أن تجمعوا الأدلة؟ لتلاحظوا تنوعها، تارة يقال أن هناك أشياء تعرج إلى الله وتارة يقال لك أن الله في السماء وتارة يقال لك أنه على العرش استوى وتارة يقال لك أنه ينزل وتارة يقال لك

أنه تنزل الأشياء من عنده وتارة ... حتى نصوص الرؤية دالة على العلو، فهذه النصوص الكثيرة المتكاثرة المتوافرة على نفس المعنى كيف أن الله عز وجل لا يريد منا أن نؤمن بظاهرها؟

لهذا ابن تيمية له عبارة جميلة جدًا في درء تعارض العقل والنقل:

حذاق هؤلاء المتأولين يعلمون أن الله عزوجل لا يريد تأويلاتهم.

التي هي تحريفات، وهذه كلمة أطلقها الدارمي في رده على المريسي قال: إنني لأظن أنك تعلم أنك تحرف وأن الله عزوجل لم يرد ما تقول.

بقي لهم قشة يتعلقون بها، ماذا يقولون؟

يقولون أن الصحابي حسان بن ثابت قد قال:

وجوه ناظرات يوم بدر .. إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

فقالوا هذه الآبيات ناظرات جاءت بمعنى الانتظار انتظار الفرج،

فيقال لهم: أولا: هذا البيت ذكره الرازي في تفسيره، والرازي بنى تفسيره على أربعة تفاسير معتزلية ولو رجعت إلى الكتب المتقدمة فلن تجد لهذا التفسير أثرا، وسبحان الله تكذبون بالأحاديث والآثار الصحيحة ثم تستدلون ببيت لا إسناد له هذا أولًا.

ثانيًا: البيت ممكن يحمل على الحقيقة، يقول : وجوه ناظرات يوم بدر ..

يعني أنها تنظر إلى السماء والله عزوجل فوق العرش تنظر إليه تدعوه تنتظر الخلاص.

ثم بعد ذلك صاروا ناس أثرية هم، قالوا نحن معنا أثر، مجاهد فسر نظرها إلى ربها بانتظار الثواب، ومجاهد إمام جليل.

حسن السقاف هذا المعاصر لما أحتج بهذا، رد عليه الجهمي الآخر سعيد فؤدة قال له لا تأخذ بكلام مجاهد هذا مجاهد عنده كلام آخر تجسيم، فمجاهد مثلا هو قال أن النبي صلى الله عليه وسلم يُجلس مع الله على العرش يوم القيامة، فسعيد فؤدة يقول لحسن السقاف هذا تجسيم، ومجاهد من الذين فسروا {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} فسرها بالنظر إلى وجه الله عزوجل كما ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره، ثم لماذا أنت تأخذ بقول مجاهد وتترك قول عكرمة؟ ثم هل مجاهد قال الرؤية مستحيلة على الله وقد هو فسرها لاحقا؟

وهناك من فسر كلام مجاهد

• يقول الدارمي [ص ١١٧ ط الشوامي] : وأحتج محتج منهم بقول مجاهد: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**

قال: تنتظر ثواب ربها.

قلنا: نعم تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

• وقال الكرجي في النكت [٤٤١/١] : قول مجاهد لا يدفع نظر العين، لأنه قال هي منتظرة تنتظر الثواب لتثاب، والنظر إلى الله -جل وعلا- من أجل الثواب.

وتلاحظ أن الإمام أحمد استخدم هذه اللغة أيضا يعني نفس هذا التوجيه.

• وقال اللالكائي في كتاب السنة [٣/٥١٢]:

ذكره عبد الرحمن -ابن أبي حاتم- قال: حدثنا أبي، قال حدثنا عبد الرحمن بن خلف الرقي، قال حدثنا مؤمل بن إسماعيل، قال حدثنا حماد بن سلمة، عن ليث، عن مجاهد: {للذين أحسنوا الحسنى} قال: الحسنى الجنة والزيادة: النظر الى وجه الله.

وهذا إسناد محتمل في التفسير.

• وقال إسحاق بن راهويه في مسنده [٣/٧٩٦]:

أخبرنا جرير عن منصور قال: كان أناس يقولون في حديث: إنهم يرون ربهم، قال: فقلت لمجاهد: إن أناسا يقولون: إنه يُرى.

فقال: ألا تسمع إلى قول الله عز وجل {وجوه يومئذ ناضرة} يقول: نضرة من السرور إلى ربها ناظرة.

وهذا إسناد قوي عن مجاهد وفيه إثبات رؤية الله عز وجل.

هم أستدلوا بـ {ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل} ونحن لا نرى ربنا.

فالإمام أحمد بيّن لهم أن النظر في الآية أضيف للوجوه، {ألم ترى إلى ربك} يعني إلى فعال ربك فعلا.

لكن النظر يوم القيامة قال: {وجوه يومئذ} إذًا هذه رؤية في ذلك اليوم، ونحن نرى فعال ربنا في كل يوم، وهذا مثل تأويلهم خبر النزول بنزول الرحمة، ونحن نرى الرحمة تنزل في كل وقت.

وأما الآية الأخرى:{لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}

أحتج عليهم بتفسير السنة فيها، {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} بعضهم قالوا: محمول على الدنيا، الله عزوجل قال في الكفار:{ولن يتنموه أبدًا} على الموت وفي الآخرة يقولون: {يا مالك فليقض علينا ربك}

ومر معنا توجيه عكرمة الذي في الرد على الزنادقة لما قال أنت تنظر للسماء ولا تدركها وكذلك النظر إلى الله عزوجل تنظر إلى الله عزوجل ولا تدركه. لا تحيط به. وهذا أيضا عندنا في آية الكرسي { ولا يحيطون به علمًا } فالله عزوجل لا نحيط به علمًا ولكن نعلم عنه سبحانه وتعالى وهذا أيضًا ذكرناه في الدرس.

وهنا أحمد أورد من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد، هذا اختبرته من الأدلة على أن هذا الكتاب للإمام أحمد، لأن طريقة قطع الأسانيد هذه هي طريق علماء العلل القدامى الذين في وقت أحمد قبل مقاتل، علماء الحديث إذا الحديث رواه جماعة عن شخص عندهم أمر يسمونه المدار، المدار الذي منه يبدأ التفرد في الاسناد، فهم دائما يقطعون يبدأون من هذا المدار، هذا أول شيء.

ثاني شيء: إذا حصل اختلاف على راوي هم يرجحون

أبو إسحاق هذا الحديث روي عنه بأسانيد مختلفة تارة روي مرفوعا تارة روي من كلام عمر تارة .. أقوى راوية عن عامر بن سعد التابعي.

طيب الآن ممكن إنسان أيش يقول؟ يقول كيف نستدل على الجهمية برجل تابعي؟ هو يستدل على الجهمية بأن هذا التابعي حدّث بهذا في زمن التابعين ولم ينكر عليه أحد قبل ظهور جهم لا أحد قال هذا منكر هذا كذا هذا كذا.

فهذه الطريقة في القطع، وقوله: ومن حديث فلان، هذه طريقة مشهورة لو كان مقاتل هو صاحب الكتاب مقاتل يحدث مباشرة عن سفيان عن أبي إسحاق يقول سمعته، لكن هذا الكلام كتبه إنسان متأخر فيقطع الأسانيد،

ومن حديث ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صهيب، طبعا هذا رواه حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب هذا في صحيح مسلم، وقد رواه الترمذي وغيره عن عبدالرحمن بن أبي ليلى موقوفا عليه، لكن الناس رجحوا رواية حماد بن سلمة على الأكثر لأنه من أخص الناس بثابت ولأنه هذا ليس جادة هذا بحث حديثي إسنادي الآن ما لنا علاقة فيه.

وقوله: إنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا يرون ربهم ....

سبحان الله تجد الجهمي إذا سمع هذا يتألم، ألست أنت تنكر الرؤية؟ إذًا هذه بقايا الفطرة فيه.

أنس بن مالك رضي الله عنه لما بلغه أن أناس ينكرون الحوض قال: من أنكر الحوض لا سقاه الله من حوض. -كان أنكره عبيدالله بن زياد ورجع- قال: من كذب بالحوض فليس له منه نصيب.

وكذلك الآن من كذب بالرؤية ليس له منها نصيب.

والله عزوجل حين يكشف عن ساقه تعالى الله، يقول: بينك وبينه علامة.

أهل السنة يؤمنون بهذه الصفة فيسجدون هذا الخبر وارد.

طيب الجهمي أين يكون؟

هذه من أدلة أهل السنة على تكفير هؤلاء الناس وأنهم ليسوا من أهل الملة،

ومما استدلوا به على كفر تارك الصلاة والمسألة فيها أخذ وعطاء لكن الأدلة القوية على كفره، لكن حين يكشف الله عن ساقه يسجد من كان يسجد لله في الدنيا ومن كان يسجد نفاقا يعود ظهره طبقا، ففي طرف ثالث نتساءل عنه تارك الصلاة أين هو؟ قال لك هو ليس مع الأمة أصلا.

حين يقول الله عزوجل بيننا وبينكم علامة الساق فيكشف الله عن ساقه فيسجد أهل الإيمان، طيب أين القوم هؤلاء؟

وسبحان الله كثير من الناس الذي يهون الخلاف مع هؤلاء الجهمية، ألا يدرون أن هؤلاء الناس أبطلوا أعظم ثوابنا؟ الآن لو يجي إنسان يقول لك: ما فيه حور عين .. ما فيه أنهار في الجنة ولا كذا ولا كذا.

هذه لا نشك في زندقته صحيح؟

طيب إنسان يقول لك أنك لن ترى الله!

هذا أمل الآملين هذا عليه عمل العاملين، كل شيء نفعله في هذه الدنيا الأمل الأخير هذا أعظم الثواب وما نتمناه هذا هو، فالإنسان الذي يخالفك في أعظم الثواب هذا الخلاف معه هين ويؤجل وغيره ؟

أصلا الإنسان الذي ما يجد في نفسه حرقة وهو يتحدث في هذه الأبحاث يراجع إيمانه – لا أقصد تكفيره ولكن نقصد ممكن إيمانك ضعيف ما هو قوي-

يعني تخيل إنسان يبعد عنك هذا الأمل العظيم.

نختم بهذه، التوحيدي المتهم بالزندقة في كتابه البصائر والذخائر ذكر عن شيخ كان يناظر المتكلمين في هذه القضايا قضايا الرؤية والصفات وغير ذلك وكذا، يقول: فكان البحث لا ينتهي إلى شيء -الظاهر أنه يناقش المتكلمين على أصولهم-

فقال: ولكن كان يدفعني عن القول بإنكار الرؤية شيء عظيم أجده في قلبي شوق عظيم لله عز وجل لا أستطيع أن أدفعه.

أبو حيان التوحيدي أورد هذا ليبين إشكالات المتكلمين وأن في كثير من الأحيان الإنسان ما ينجو منها إلا بتوفيق إلهي إذا لم يكن عنده يعني معرفة.. سبحان الله.

بارك الله فيكم نقف هنا، هذا وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس الحادي عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس الحادي عشر من التعليق على كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، في هذا المجلس إن شاء الله تبارك وتعالى سنذكر أدلة جديدة على كون هذا الكتاب للإمام أحمد رحمه الله تعالى، وسننبه على بعض الأمور التي لم ينبه عليها أحد من محققي الكتاب، يوجد نقاط لم ينبه عليها لا أحد من الشراح ولا أحد من المحققين، وهذه نقاط مهمة، فأرجو أن تركزوا معنا، المادة وإن كانت مألوفة إلا أننا سننبه على مجموعة من النقاط غير المألوفة في هذا البحث، وستكتشفون هذا إن شاء الله عند القراءة.

يقول الإمام أحمد رحمه الله:

بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى

فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟

قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم. إنما كون شيئا فعبر عن الله،

وخلق صوتا فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين.

فقلنا: هل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول: {يا موسى، إني أنا ربك} [طه: ١١، ١٢] ، أو يقول:{إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري} [طه: ١٤] فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهم أن الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون: {يا موسى إني أنا الله رب العالمين} [القصص: ٣٠]وقد قال جل ثناؤه: {وكلم الله موسى تكليما}[النساء: ١٦٤] ، وقال: {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه} [الأعراف: ١٤٣] وقال: {إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي}[الأعراف: ١٤٤] . فهذا منصوص القرآن.

فأما ما قالوا: إن الله لا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان".

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات. أليس الله قال للسموات والأرض: {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت: ١١] .

تراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال: {وسخرنا مع داود الجبال يسبحن} [الأنبياء: ٧٩] .

أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار. فقالوا: {لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء} [فصلت: ٢١] .

أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان.

قال أحمد رضي الله عنه: فلما خنقته الحجة قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره.

فقلنا: وغيره مخلوق؟

قال: نعم.

فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون.

وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال:نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة الآف لسان ولي قوة الألسن كلها وأنا أقوى من ذلك وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت.

قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك، قال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟! قالوا: فشبهه. قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها، فكأنه مثله.

وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: {يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} [المائدة: ١١٦] .

أليس الله هو القائل؟

قالوا: فيكون الله شيئا فيعبر عن الله، كما كون شيئا فعبر لموسى.

قلنا: فمن القائل: {فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين، فلنقصن عليهم بعلم}[الأعراف: ٦، ٧] .

أليس الله هو الذي يسأل؟

قالوا: هذا كله إنما يكون شيئا، فيعبر عن الله.

قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.

نقف هنا، في هذه الفقرات التي قرأناها عدة مواطن تحتاج إلى إيضاح، وعدة أسئلة تطرح، وعدة أمور تؤكد عناوين تحدثنا عنها مسبقا،

قلنا لكم مبدئيا.. من البداية مشكلة الجهمية أنهم لا يثبتون لله أفعالا اختيارية، لا يثبتون لله أفعالا نهائيا، بمعنى أن الفاعل له فعل وله مفعول أليس كذلك؟

هم يثبتون مفعولات ولا يثبتون فعلا، لهذا كانوا يقولون للإمام أحمد رحمه الله: الله عز وجل كوَّن شيئا.

يعني أرجعوا فعل الله إلى مفعولاته فقط، فنفوا الفعل الاختياري القائم بالذات وأثبتوا المفعولات المخلوقات،

وهذا الأمر من أعظم التناقضات حتى أن الفلاسفة القائلين بقدم العالم وغيرهم قالوا لهم: هذا لا يعقل، لا مفعول من غير فعل.

الآن نحن حين نرد على الملاحدة نقول له كيف مخلوق من غير خالق؟ كذلك لا مفعول من غير فعل.

لماذا الجهمية نصصوا على موضوع الجوف؟ فقالوا الكلام لابد له من جوف؟

طيب يأتي إنسان يتحامق أو يتغافل فيقول ما الدليل على أن الله عز وجل لا جوف له؟

الدليل سورة الإخلاص التي نحفظها جميعا ويحفظها كل الناس، قول الله عز وجل: ﴿قُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِد وَلَمْ يولَد ۝ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

الصمد في تفسير عامة السلف: الذي لا جوف له.

وروي أن الملائكة صمد يعني لا جواف لهم.

وهذا من كمال الله عز وجل، ونحن البشر عندنا كمالات لنقصنا والله منزه عن هذا، يوجد أشياء في حقنا كمال لأننا ناقصون، والله عز وجل هذه الأمور ليست كمالًا في حقه لأنه لم يصر فيه نقص من البداية.

ما معنى هذا الكلام؟

مثلا: نحن من كمالنا أن نكون اجتماعيين وأن يكون لنا أزواج،

لماذا؟ لأننا فانون نحتاج أن نتزوج حتى نتكاثر، وإلا كان في فناءنا ذهاب ذكرنا، ونحن محتاجون إلى مخلوقات غيرنا فكوننا ننتفع بغيرنا ونتعامل معهم هذا من كمالنا، أما الله عز وجل فقال: ﴿قُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو أحد سبحانه وتعالى،

قال: ﴿لَمْ يَلِد وَلَمْ يولَد﴾ نحن إذا لم نلد هذا عيب فينا لأننا لا نتكاثر، وإذا لم نولد هذا عيب فينا لأننا صرنا عدما.

هذا عيب فينا لكن كمال في الله، لماذا؟ لأن الله هو الأول الذي لا بداية له ولا يفنى، فهذا كمال فينا لنقصنا والله مستغن عنه. هذا من دقائق سورة الإخلاص وعظمتها وجلالتها.

كذلك قال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الصمد له عند السلف عدة تفسيرات،

تفسير: الذي يصمد اليه في الحوائج. يعني يُحتاج إليه ولا يحتاج إلى أحد.

وتفسير: الذي لا جوف له. أي أنه لا يأكل الطعام ولا يشرب كما قال السلف.

هذا في حقنا كمال، نحن الذي لا يأكل ولا يشرب يمرض يذهب للطبيب خلاص لأنه سيمرض أما الله عز وجل فليس محتاجا إلى أحد، فالكمال في حقه أنه لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب تقدس اسمه سبحانه وتعالى.

قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

فهناك صفات كمال في البشر هي كمال بسبب نقصان، هذه التي ركزت عليها سورة الإخلاص، وهذا من أدق أبواب الكمال في صفات الله عز وجل.

وهذا الافتقار افتقارنا للزوج افتقارنا للمأكل والمشرب يدلنا على الله لأن كل الكائنات يحتاج بعضها إلى بعض فإذًا من أوجدها؟ لا يمكن أن أكون أنا أوجدتك وأنت السبب في استمرارية وجودي، إذًا لنا موجد، فسورة الاخلاص سورة عظيمة جدًا وأسرارها لا تنقضي.

فالجهمية وأهل الحديث كانوا متفقين على هذا المعنى: أن الله عز وجل لا جوف له، وذكروا اللسان والشفتين وكذا، وموضوع الشفتين وكذا وفيها كلام لكن هنا الكلام على التنزل.

من الأمور المضحكة أن ابن تيمية رحمة الله عليه لما ذكر قصة أن الله عز وجل لا جوف له، جاء سعيد فؤده وقال: ابن تيمية مجسم لأنه يقول الصمد الذي لا جوف له.

وهذه قالها أيضا أظن ابن فورك قديما أنكر هذا، وهذا من قوة تعطيل الجهمية المتأخرين أن الأمور التي رويت عن السلف وأتفق عليها الجهمية وأهل السنة تجدهم يعارضون فيها، وهذا شدة حمقهم وسفههم ومن شدة تعطيلهم لله عز وجل واعتباره عدمًا.

هذه من النقاط التي ينبغي إيضاحها وكثير ممن يقرأ هذا الفصل لا ينتبه إلى هذه النقطة.

الآيات التي ذكرها الإمام أحمد:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى تَكليمًا﴾

هذه الآية كل آية لوحدها قطعية الدلالة على المقصود، لأن الله عز وجل وكلم الله موسى تكليما، التكليم التوكيد هذا يدل على الحقيقة.

المعتزلة بماذا فسروا التكليم؟ قالوا: جرّحه بأظافر الحكمة. بعضهم قال.

والكِلام: الجرح

" فلما كلمتني، كلمتني

وقالت يا إسماعيلُ ؛ صَبراً

فقلتُ يا أسما عيلَ صَبري "

يعني جرحتني، وعيل صبري يعني أنتهى صبري وتعرفون قصة مثلث قطرب،

عمومًا ففسروها بهذا لكن لو كانت كذلك لكان: (وكلم الله موسى كِلاما)

وزيادة على ذلك الآن لا خصوصية لموسى عليه الصلاة والسلام، والجهمية جردوا آدم من خصوصيته قالوا الله ما خلقه بيده لا فرق بينه وبين إبليس، وجردوا موسى من خصوصيته قالوا الذي حصل لموسى هو الذي حصل لمحمد صلى الله عليه وسلم ولعيسى ولإبراهيم وللجميع، وجردوا إبراهيم من الخُلة فقالوا الخلة يعني الافتقار. كل المخلوقات مفتقرة لله عز وجل!

فأيش فرق موسى عن الخضر؟ الله عز وجل قال في الخضر: ﴿وَعَلَّمناهُ مِن لَدُنّا عِلمًا﴾ طيب أيش فرق موسى عن الخضر؟ بل الخضر كان عنده من الحكمة ما ليس عند موسى، هذه من أدلة قصة موسى والخضر إبطالها على قول الجهمية.

أما إيراده لقوله: ﴿يا موسى إِنّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ العالَمينَ﴾

إذًا لا يمكن أن يكون أن الله عز وجل خلق الكلام في الشجرة أو في أي مكان آخر تقول هذا الكلام، -وهذا أنا سمعت عدنان إبراهيم يقولها أن الله خلق الكلام في الشجرة- أيضا ﴿وَلَمّا جاءَ موسى لِميقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾

الآن ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى تَكليمًا﴾ ممكن يأتي واحد يضع فتحة على الله فيصير لفظ الجلالة في محل نصب مفعول به وموسى يصير هو الفاعل، يعني موسى هو الذي كلم الله، لكن لما تأتي ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ هذه ما فيها مجال.

أيضا ﴿يا موسى إِنِّي اصطَفَيتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتي وَبِكَلامي﴾

مهمة جدًا لو كان الكلام هو الرسالة التي جاءت لكل الناس لكان العطف لا فائدة منه لكان تكرارًا إعادة، لكن أُصطفي.

فقال: فهذا منصوص القرآن.

وأيضا ذكرت لكم كثير من الناس الذين يقولون: الجهمية هؤلاء عندهم شبهات وعندهم كذا...

هم ينكرون أن الله تكلم وقلت لكم أن الله عز وجل سيكلمنا يوم القيامة (ما من أحد إلا سيكلمه الله) وكلم موسى وكلم آدم والملائكة، وهذه الآيات انظر كلها يتأولونها بل أصلا يتأولون {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها} يقولون أن الله لم يسمعها الآن، وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم، وكلم جبريل وتكلم بالوحي: (فصعق من في السماوات).

أيضا عندهم شبهتهم التافهة التي نقضها الإمام أحمد أنهم قالوا لا يكون إلا من جوف، فقال لهم السماوات والأرض قالتا أتينا طائعين والجبال سبحت مع داوود والجوارح تكلمت وأيضا عندنا خبر في كلام الجنة وكلام النار وأخبار لا تحصى في هذا الباب.

والعجيب أنهم يقولون بمفعول بدون فعل -ركز-،

الجهمية الأولى يقولون بمخلوق بدون فعل أوجده ثم يقولون الكلام لا يكون إلا بجوف و..

طيب مثل ما عقلت أنت مفعول بدون فعل، أعقل الثانية

أيضا الجهمية المتأخرة الذين يقولون الله تكلم بلا حرف ولا صوت.

طيب أنت عقلت كلام بلا حرف ولا صوت ولا تعقل كلام بلا جوف.

لاحظ هنا الإمام أحمد يقول: **فلما خنقته الحجة قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره.**

فقلنا: وغيره مخلوق؟

قال: نعم.

فقلنا: هذا مثل قولكم الأول،

هذا يبين لنا لماذا السلف شنعوا على الجهمية قولهم القرآن مخلوق يريدون أن الله لا يتكلم، فحتى أحمد يقول لهم هي نفس الشيء، لهذا عامتهم حتى الجهمية المتأخرين أنت لا تظن أن الأشعرية والماتريدية يثبتون لله عز وجل كلاما حقيقيا، نفس القصة، أصلا يقولون الله لا يتكلم بصوت، طيب الله عز وجل قال: ﴿وَنادَيناهُ مِن جانِبِ الطّورِ الأَيمَنِ ﴾

يوجد نداء من غير صوت؟

ولاحظوا حجة أحمد هنا كلها تنقض على القول.

ثم أحمد أورد آثارًا، هذه الآثار من أدلة أن هذه الرسالة للإمام،

لماذا؟ لأن الأثر الذين أورده لما قال: وحديث الزهري: لما سمع موسى كلام ربه.

وإن كان لم يذكر لفظه بدقة هذا الخبر الله يحفظكم تجده في السنة لعبد الله بن أحمد –رسالة ابن المصنف– ولا شك أنه استفاد من والده، وأصلا أوردها من طريق عبد الرزاق شيخ أحمد أيضا.

والأثر لكعب الأحبار، لكن لماذا أحمد نصَّ على الزهري؟ نقول لكم..

معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أنه أخبر جزء بن جابر الخثعمي أنه سمع كعب الأحبار.. قال عبدالله: وحدثني.. وذكر عدة أسانيد إلى معمر يقول: لما كلم الله موسى كلمه بالألسنة كلها -يعني بكل اللغات-، فطفق موسى يقول: يا رب والله ما أفقه، حتى كلمه آخر ذلك بلسان مثل صوته -يعني مثل لغته- فقال موسى: يا رب هذا كلامك؟ فقال: لو كلمتك كلامي لم تكن شيئا أو لم تستقر.

يقول: والحديث على لفظ أبي عن عبد الرزاق.

عبد الله بن أحمد نصَّ على أن والده روى هذا الخبر، وهذا الخبر موجود فقط في كتب السنة القديمة وما له حضور في كلام مقاتل الذي نُسبت له الرسالة.

طيب الآن يأتي واحد يقول: كيف نحتج نحن بكعب الأحبار؟.

كعب الأحبار أين كان يعيش؟ كعب الأحبار كان يعيش بين الصحابة والتابعين لما يتكلم بشيء لا يليق بالله عز وجل سيسكتون له؟!

يقول ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة صـ٤٣٦:

وهب أن المعطل يكذب كعبا ويرميه بالتجسيم، فكيف حدث به عنه هؤلاء الأعلام مثبتين له غير منكرين؟.

ولهذا أحمد نص على اسم الزهري لأن الزهري إمام جليل جدًا عليه اتفاق بين كل الطوائف، مكحول قالوا له: من أعلم من لقيت؟

قال: ابن شهاب الزهري. قال: ثم من؟ قال: ابن شهاب الزهري.

كان رجلا يعني على الغاية من الفضل والعلم، من الستة الذين عليهم مدار الإسناد، فالإمام أحمد نص على اسمه هو بالذات لأن عليه المدار لكي يبين لهم أن هذا الرجل الجليل روى ما يناقض مذهبكم، هذه الآن رواية عن المشافهة وتناقض أيضا مذهب الأشعرية.

طيب الخبر المذكور أن بنو إسرائيل قالوا لموسى لو شبهت لنا كلام الله..

هذه أيضا أورد فيها عبد الله بن أحمد آثارًا [السنة لعبدالله ٥٢٦ ط عادل آل حمدان]:

عن محمد بن كعب، قال: قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: بما شبَّهت صَوت ربك عز وجل حين كلمك من هذا الخلقِ؟ قال: شبَّهتُ صَوتَه بصوتِ الرَّعدِ حين لا يترَجَّع "

يأتي واحد يقول: ها تشبيه! والله عز وجل {ليس كمثله شيء}.

بعض الناس قالوا: خلاص نأخذ هذا على التشبيه ونقول: هذا ورد فيه النص وهذا ورد فيه الأثر.

والأمر ليس كذلك لابد أن تجمع الأخبار، الله عز وجل {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} هذه محكمة، لفظ الشبه في زمان السلف يقصد بها: القدر المشترك، ولا يقصد بها الشبه بمعنى أنه مثل المخلوق تلحقه الآفات والنقص،

فكلام الله عز وجل ليس مثله، بدليل الآثار الأخرى التي أوردها أن موسى لما كلمه الله صار لا يلتذ بكلام الناس وصار من شأنه كذا وكذا وكذا وكذا، فإذًا هو سمع شيئا ليس كالأمور..

لكن هذا الأثر هذا له تخريجات،

التخريج الأول: أنه شبهه بالأثر بالأثر أو أقرب شيء بهذا.. الأثر بالأثر يعني كما أن النبي قال سترون ربكم كما ترون القمر.

يعني مشابهة الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، فهذا كذلك الأثر بالأثر.

أو أقرب المخلوقات كمالاً أو أقواها أثرًا، فإننا نعلم أن المخلوقات تتفاوت في كمالاتها، نحن نعلم أن الله كريم ونعلم أن المخلوقات فيها كرم فهذا كريم وهذا أكرم وأكرم، كل ما كان المخلوق أكرم كل ما كان جاءه من الله مدد أكثر وأفضل، الله رؤوف رحيم و الراحمون يرحمهم الرحمن، لكن ليس معناه أن صفته كصفة الله عز وجل.

طيب ما وجه المغايرة؟ وجه المغايرة أن صفات الله عز وجل لم يلحقها العدم الأصلي، حتى أفعاله الاختيارية هو كل فعل قبله وفعل قبله إلى ما لا بداية، ثم أنها في كيفيتها وكونها مختلفة ولا تلحقها الآفات ولا يلحقها الفناء والموت وغير ذلك ومستغنية وإلى آخره من هذه الأوجه.

يعني الآن مثلا أنت عندك سمع وعندك بصر، لكن سمعك له بداية وله نهاية، سمع الله لا بداية له ولا نهاية،

سمعك محدود وسمع الله عزوجل غير محدود، وإلى ما شئت أن تحصي من أوجه الخلاف والكمال في صفات الله،

لكن أنت سمعك إدراك لصوت وسمع الله عزوجل إدراك لصوت، هكذا الفارق عظيم بين الأمرين.

فالقدر المشترك هذا الذي ينفيه يقع في التعطيل، والذي لا ينتبه للقدر الفارق يقع في التشبيه.

ولاحظ أن الآثار التي أوردها الإمام أحمد هنا كلها أسندها ابنه عبد الله في كتاب السنة معه شيء من المغايرة في الألفاظ، وهذا يؤكد ما طرحناه في الدرس الأول أن هذه الرسالة هي من كلام الإمام أحمد بلا مثنوية إلا أن فيها ألفاظا لم تضبط بدقة فحسب، يعني رويت على المذاكرة على طريق المذاكرة وإلا الرسالة له،

وأيضا لما يقول: فشبهتموه بالأصنام

عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة بوب بابا هكذا قال: [باب من قال القرآن مخلوق فهو كعابد الأوثان]

إذًا عبارات أبيه التي في الرد على الجهمية بالضبط وهذه نقطة لم ينتبه لها كثير من المدافعين عن الكتاب.

يقول: **لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.**

تتحرك يعني فعل اختياري، وهذا يدعمه ما نقله حرب عن الإمام أحمد أنه أثبت الحركة بمعنى الفعل الاختياري أن الله يفعل ما شاء متى شاء.

ولا تزول من مكان إلى مكان.

وعلى مسألة مكان، لفظة مكان هذه نريد نعطيكم إفادة سريعة جدًا:

بعض الناس ينقل عن بعض المتحنبلة المتأخرين: ابن بلبان في آخر الزمان هكذا يقول يعني: يُنزه الله عز وجل عن المكان ويقول: أن الحنابلة قالوا من أثبت الله مكانا فقد كفر.

من أثبت له مكانا مخلوقًا أن الله يحيط به شيء، أما كون الله عز وجل (فوق كل شيء) فهذا وصف ذهني، (ولا شيء فوقه)

هذا أصلا وردت فيه أخبار، فابن منده وهو فقيه حنبلي كبير روى في كتاب الإيمان [٢/٧١٧] أخبارًا فيها:

(...حتى أتى الجبار وهو في مكانه...)

وهو أورد هذا الخبر للرد على الجهمية.

وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية [صـ١٠١ ط عطاءات العلم]، وقد روى ذلك ابن قدامة في كتابه إثبات صفة العلو [صـ ١٠٧] أن عباس بن مرداس قال أبياتا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم:

تعالى علوا فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلى وأعظما

وهذا أورده ابن قدامة محتجا وابن القيم محتجا وابن تيمية محتجا وابن تيمية نسب الأبيات إلى حسان بن ثابت،

وأيضا ابن عبد الهادي في الصارم المنكي [صـ ٢٢٩] أورد خبر حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل الحديث الذي جاء: ينزل الله إلى السماء الدنيا يتحول من مكان إلى مكان، فسكت حماد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء.

وأيضا عبد القادر الجيلاني العارف الكبير أنه قال الله عز وجل وهو في جهة العلو مستوي.

هذه إفادة سريعة.

فيقول: نقرأ كلام الإمام أحمد حتى ننهي هذا الفصل، يقول:

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق،

ليس هذا الكلام الذي يعرفه الناس، هل السمع معناه أن الله يخلق سمعا في خلقه؟ أم صفة تقوم فيه؟ كلام فاضي سبحان الله، يكابرون القطعيات بناء على فلسفة فارغة شرحناها لكم في الدروس الماضية.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق،

هم شبهوا الله بالعدم أيضا

ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه.

رأيتم هذه الحجة؟ هذه ابن تيمية ركز عليها جدًا جدًا في شرح الأصبهانية وفي الصفدية وغيرها وهو الوحيد الذي فهم دقة كلام أحمد هنا حقيقة، يا جماعة الخير مذهب هؤلاء الجهمية خطير جدًا جدًا، لماذا؟ تعرف أيش حقيقة مذهبهم؟

إذا أتاك وجلس يقول لك: نحن ننفي التسلسل وما تسلسل لم يتحصل وإلى آخر هذا. هذا من أخبث القول، لماذا؟

الآن لو تأتي إلى عامي من عوام المسلمين وتسأله تقول له: تعال يا طيّب كوننا هذا كم عمره؟ سيقول لك: كذا وكذا سنة. تقول: يعني الله خلقه في وقت معين؟ يقول: طبعا. تقول له: قبل كوننا كان الله؟ يقول لك: لا شك. تقول له: كانت قدرة الله؟ يقول: لا شك الله بصفاته. تقول له: عقلا عقلا يجوز أن يخلق الله كونا قبل كوننا بألف سنة؟ -عندنا حديث (أن الله كتب المقادير قبل ان يخلق الخلق بخمسين ألف سنة) في وقت-

فيقول لك: نعم صحيح ممكن. فتقول له: الكون هذا الذي الله خلقه قبل كوننا بألف سنة خلقه وأفناه لنفرض؟ يقول لك: نعم طيب. تقول: ويجوز أن الله يخلق كونا قبله بألف سنة أيضا أو بمليون أو بأي مقدار زمني؟ سيقول لك: نعم.

امشي معه قل له: متى نقدر نقف ونقول خلاص وقفت وتمت؟ سيقول لك: لا نقدر. قل له: لماذا؟ يقول: لأن الله دائما موجود سبحانه وتعالى هو الأول الذي لا بداية له ودائما قدرته حاضرة. قل له: هذا الذي يسمونه تسلسل الحوادث.

الجهمية كلهم معتزلة وأشعرية وغيرهم عقيدتهم أن الله عز وجل كان الفعل عليه ممتنع، يعني خلق الأشياء كان ممتنعا وأنتقل من هذا الامتناع إلى الإمكان في كوننا هذا، لهذا دائما يقولون أنه قبل كوننا لم يكن فيه شيء أو قبل الأشياء المذكورة في النصوص.

فيقول لهم ابن تيمية: الآن عقلا كيف ينتقل من الامتناع الذاتي العجزي الذي نسبتموه لله عز وجل إلى الامكان بدون أي علة؟ بدون أي مرجح؟ إلا أن يكون المرجح أنه هو أصلا قادر من البداية.

لهذا هم لما تسألهم عن هذا.. هم لا يتحدثون عن أن هذا لم يرد في النصوص. هم دجالون. قل لهم: هل هذا ممكن عقلا؟

لهذا عندهم لله كلام بمعنى الخلق هو أول الخلق، هم يقولون أن كلام الله بمعنى خلقه أليس كذلك؟ وخلقه فيه أول عندهم أن الله بدأ الخلق في وقت معين قبلها لم يكن يخلق ولا يصلح أن يخلق.

وأتحدى أن يخرجوا من هذا، لو قالوا قبلها يمكن أن يخلق لوقعوا بإشكالية التسلسل الذي يزعمون أنهم ينكرونه.

أرجو أن تكون فهمت هذه النقطة وهذه نبه عليها ابن تيمية،يقول ابن تيمية: أساس ردنا على الملاحدة أننا نقول لهم أنه انتقال الشيء من حال إلى حال لا يمكن إلا بسبب، أنا كنت نطفة صرت مولود إنما جاء ذلك بسبب، يستحيل من غير سبب، وأنتم تأتون وتزعمون أن الله تبارك وتعالى أنتقل من اللا فعل امتناعا عقليا إلى الفعل، والفعل عندهم مفعول جوازًا عقليًا ووجوبًا عقليًا بدون أي مرجح بدون أي صفة ذاتية قائمة فيه ترجح هذا الأمر

وهذا منتهى الكفر، لهذا ابن تيمية قال: أصلا لا يستطيعون أن يقيموا الحجة على الملاحدة. ونحمد الله أن كثيرا من الملاحدة لا يعرفون ضعف حججهم، ولا يعرفون حقيقة مذاهبهم.

الآن انظر لكلام الإمام أحمد، أيش يقول؟

يقول: **ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم**

إذًا الإمام أحمد يرى أن الله في كل وقت يتكلم أو ممكن أن يتكلم صحيح؟ نعم.
وكلام الله فعل. أو عند الجهمية: مفعول. هذا تسلسل الحوادث، وهذا مذهب الكرامية أيضا وافقوا فيه الجهمية، الكرامية يثبتون لله أفعالا اختياريه ولكن يثبتون أنها كانت ممتنعة ثم أنتقلت إلى الجواز.

وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه. وتعالى الله عن هذه الصفة،بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء

هذا قديم النوع حادث الآحاد لابن تيمية،

ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام.

وهذا مذهب كل القوم أشعرية ومعتزلة وكذا، سواءً فسروا الكلام بكلام حقيقي ولا يفسرونه بكلام حقيقي،
ولهذا الجهم كان أذكى واحد فيهم، قال لهم: تسلسل حوادث في الماضي نحن منعناه ونمنعه في المستقبل فالجنة والنار فانيتان، الله مثل ما أن له فعل هو أول أفعاله، فكذلك له فعل هو آخر أفعاله، وأفعاله بمعنى مفعولاته، لهذا الجهم قال بفناء الجنة والنار، وقال بهذا أبو الهذيل العلّام.
ولهذا ابن تيمية دائما يرجع الأمر يقول: الأصل الجهم وأبو الهذيل وكل من جاء من أهل الكلام معتزلة أشعرية حتى كرامية تبعوهم في هذا.

حتى ابن الزاغوني الحنبلي لما تأثر بشبهتهم على فناء الجنة والنار قال: العقل مع القائلين بالفناء، لكن نحن نقدم النص.

يعني تأمل العقل هو كلام القوم! وابن الزاغوني رجل حنبلي.

يقول: **ولا نقول: إنه قد كان ولا علم حتى خلق علما فعلم،**

خلق العلم هذا أيش؟ يكون بقدرة فالصفة موجودة، الصفات موجودة.. هو قول متناقض جدًا وعجيب جدًا يشبه أقوال النصارى، انظر هذا وكفرهم أشد من كفر النصارى.

ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة،

هذا سفسطة، بقدرته خلق قدرة.. سفسطة واضحة جدًا.

ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة. فقالت الجهمية: لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا، أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته.

أحد المشتغلين بالرد على الإلحاد كتب كتابا اسماه: من خلق الله، وأنكر التسلسل وقال أن اثباته قول النصارى القائلين بالتثليث الذين يقولون أن الله عز وجل كان ثلاثة فلم يزل موجودًا.

مع أن النصارى لم يقولوا أن هذه صفات لله أصلا، النصارى أصلا في دينهم أنه الآب والأبن والروح القدس ليست صفات، هذه قالها مكاري يونان كفروه.

الروح القدس والأبن ليست صفات لله، الأبن والروح القدس والآب أقانيم، كل واحد ذات قائم بذاته.

قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدر، ولا كيف قدر.

هذه صفاته، صفاته ليست غيره، وقد شرحنا مسألة الغيرية سابقا، صفاته منه.

فقالوا: لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء.

هذا اللفظ ورد في الحديث: (كان الله ولا شيء معه)

وإلى اليوم يستدل بها الجهمية، حتى ابن تيمية شرح الحديث.

جاء صحابة وفد بني تميم للنبي صلى الله عليه وسلم وفد، فقالوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: جئنا نسألك عن أول هذا الأمر. -يسألونه عن العالم المرئي-

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: كان الله ولا شيء قبله.

هذه رواية. وجاءت رواية: كان الله ولا شيء معه.

-يعني مما ترون، بدليل ما بعدها:- وكان عرشه على الماء.

إذًا هناك مخلوقات، فحين قال النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء، ما الذي يريده؟ يريد كان الله ولا شيء مما ترون من المخلوقات ليس كان الله ولا توجد أي مخلوقات، بدليل ذكره للعرش، ودائما يقولون كان الله ولا مكان والآن الأمر على ما كان. الذي قالها الجويني وغيره وهذه الخرابيط.

كأنك تقول: كان الله ولا يقهر عباده والآن الأمر على ما كان. مع علو القهر يقال فيه ما يقال، فالله المستعان.

وقال لك: "لا تكونون موحدين"

ابن تومرت بعد مئات السنين ألف كتاب المرشدة وسمى جماعته الموحدين، وكان توحيدهم هذا: نفي الصفات بالكلية وإثبات المطلق بشرط الإطلاق الذي هو هنا.

وحتى قال ابن تيمية: لما قرأته ما توقعت أن هذا الرجل وصل إلى هذه المرحلة من الفلسفة والكفر.

ويقول السبكي: قرأت المرشدة ما وجدت فيه شيئا يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء. ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلها واحدا بجميع صفته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا. فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؟ أليس لها جذع وكرب، وليف وسعف وخوص وجمار؟..

هذا كلام حماد بن زيد

واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها

الله عزوجل قال في القرآن: {ذرني ومن خلقت وحيدًا}

هو له عدة صفات سماه الله وحيدًا.

فكذلك الله، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد

هذا القياس الأولى في الصفات، الله عز وجل لا يشمله مع عباده قياس شمول أو قياس تمثيل تستوي أفراده، لكن له قياس أولى لما يُضرب المثل فيقال: ولله المثل الأعلى، كما ضُرب المثل في الشركاء المتشاكسين، وأن لله المثل الأعلى أنه يعني هو منزه عن ذلك.

لا نقول:إنه قد كان في وقت من الأوقات. ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز،ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم. والذي لا يعلم

هو جاهل. ولكن نقول: لم يزل الله عالما قادرا، لا متى ولا كيف. وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال:{ذرني ومن خلقت وحيدا} وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة. قد سماه الله وحيدا بجميع صفاته. فكذلك الله، وله المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إله واحد.

بعدها ندخل على صفة العلو إن شاء الله، الدرس هذا مهم، بارك الله فيكم، نقف هنا.

المجلس الثاني عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:
فهذا هو المجلس الثاني عشر في التعليق على الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

اليوم إن شاء الله الدرس سيكون في أجل مسألة اختلف فيها أهل القبلة ألا وهي مسألة علو الله عز وجل على خلقه، وسنبين وجه جلالتها،

يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى:
بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش
فقلنا: لِمَ أنكرتم أن يكون الله على العرش،وقد قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[طه: ٥] وقال: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد: ٤].
فقالوا: هو تحت الأرض السابعة. كما هو على العرش، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان. وتلو آية من القرآن: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ}[الأنعام: ٣] .
فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟
فقلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء.
وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ} [الملك: ١٦] .
{أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الملك: ١٧] .
وقال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠] .

وقال: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥] .

{بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨] .

وقال: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ} [الأنبياء: ١٩] .

وقال: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: ٥٠] .

وقال: {ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج: ٣] .

وقال: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: ١٨].

وقال: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥] .

فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذمومًا بقول الله جل ثناؤه: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: ١٤٥] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ}١ [فصلت: ٢٩] .

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس [مكانه مكان، ومكان الشياطين مكانهم مكان] فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد.

وإنما معنى قول الله جل ثناؤه: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ} [الأنعام:٣] .

يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢] ، ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صافٍ وفيه شراب صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى دارًا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار. فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، وعلم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق.

الدرس مهم، وكلام الإمام أحمد هنا جليل، لماذا قلت أن المسألة هي أجل مسألة اختلف فيها أهل القبلة؟

أولاً عندنا مجموعة فوائد في هذا الباب،

هذا الباب بذاته يدل دلالة متينة في الرد على من يقول أن الخلاف مع الجهمية انتهى، فإن هذا الفصل يرد على جهمية أهل زماننا، فالجهمية من أشعرية وماتريدية قائلون بنفي علو الله عز وجل على العرش بل هم ليسوا قائلين بذلك فحسب بل هم قائلون بقول هو أسوأ من قول الجهمية الأوائل،

يقول ابن تيمية في درء العقل والنقل [٦/١٥٤]: ولهذا كان العامة من الجهمية إنما يعتقدون أنه سبحانه في كل مكان.

العامة التي كان أحمد يناقشها.

يقول: وخاصتهم لا تظهر هذا لعامتهم، لأن العقول تنفر عن التعطل أعظم من نفرتها عن الحلول.

لهذا حتى في زماننا هذا هم يقولون لخواصهم الله في كل مكان، لكن هم في حقيقة أمرهم يعتقدون أن الله ليس في مكان لا داخل عالم ولا خارجه.

وتنكر قول من يقول الله أنه لا داخل العالم ولا خارجه أعظم مما تنكر أنه في كل مكان، فكان السلف يردون خير قوليهم وأقربهما إلى المعقول.

إذًا قول الاشعرية المتأخرين منهم دون المتقدمين فالمتقدمون على قول آخر وقول الماتردية المعاصرين قولهم هو أسوأ من قول الجهمية الأولى والسلف ردوا على خيري قوليهم.

لماذا كان هناك محنة القول بخلق القرآن ولم يكن هناك محنة في علو الله عز وجل على خلقه؟ أليس الجهمية ينفون العلو كما يقولون بخلق القرآن؟ فلماذا الجهمية الأولى جاؤوا وامتحنوا الناس بالقول بخلق القرآن ولم يبرزوا هذه المسألة مسألة العلو ولا المسألة الأخرى مسألة الرؤية؟ هذا كان من مكرهم، فإنهم خافوا إن اظهروا مسألة العلو أن الناس لا يطيقون هذا

نهائيا فمسألة القول بخلق القرآن يمكنهم أن يتلاعبوا فيها لفظيا فلا يفهم العامي ما الذي يريدونه من خلق القرآن، لكنهم إن قالوا للناس الله لا داخل العالم ولا خارجه فهم الناس أنهم معطلة وربما نسبوهم إلى الإلحاد وإلى انكار وجود الله عز وجل، وقد نص على هذا المعنى الغزالي في كتابه إلجام العوام، فقال إن عقيدتنا أن الله لا داخل العالم ولا خارجه لا يفهمها الناس وهي ثقيلة على النفوس.

وصرح بذلك العز بن عبد السلام أيضا ونبه على أننا لا ينبغي أن نخاطب العامة بمثل هذه العقيدة، وصرح غير واحد منهم، وهذا يبين لك كذبهم في قولهم أننا نحمي عقائد العوام بعلم الكلام فإذا كنتم يوحي بعضكم إلى بعض زخرف القول غرورا، يوحي بعضكم إلى بعض ألا تكلموا العامة بما لا يفهمون، فكيف تحمون عقائد العامة بما لا يفهمون وبما لو علموه لأدى بهم ذلك إلى الالحاد لأنهم لا يفهمونه على هذا الوجه، ولهذا التفتازاني لما نفى الجهة كما يسمونها وقيل له لماذا عامة الكتب.. -وهو أورد على نفسه هذا الاشكال- لماذا عامة كتب الأنبياء والرسل مصرحة بالجهة مع أن الحق على خلاف ذلك؟ فقال: لأن العامة لا يطيقون إلا هذا ولا يفهمون إلا هذا، ومن هاهنا تسلط عليهم الملاحدة والزنادقة والقرامطة جماعة ابن سينا والعبيدين وكذا الذين كانوا ينكرون البعث بعث الأجساد، فقالوا لهم: إذًا نقول الأمر نفسه في نصوص بعث الأجساد، فنقول أن العامة لا يفهمون نعيما إلا نعيما حسيا وإلا النعيم الحسي غير موجود في الحقيقة، فكان قولهم في نفسه كفرًا وفاتحًا الباب للزنادقة كأشد ما يكون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: كان الجهمية يدورون على ذلك ولم يكونوا يصرحون به.

يعني على انكار العلو لم يكونوا يصرحون به كثيرا، بل في الغالب كانوا يدورون عليه حتى أن ابن كلاب يقول: إنما ينكر العلو جهم وستة معه، لهذا كثير ممن جهمهم السلف لم يكونوا يصرحون بنفي العلو.

يقول: لوفور السلف والأئمة وكثرة أهل السنة، فلما بعد العهد وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه ويدورون حوله، وهكذا البدع كلما طال الأمر وبعد العهد أشتد أمرهم وتغلظت.

الآن يريد أن يوهمك أن الجهمية الذين في زمن الإمام أحمد رحمه الله أهون من الجهمية الذين في زمن ابن تيمية والأمر ليس كذلك بتنصيص الشيخ، يريدون أن يوهموك أن كل ما قيل مثلا في المأمون أو في المعتصم لو قيل فيهم إعذار فهو ينطبق من باب أولى على متأخري الجهمية، وما قيل فيهم من إدانه لا ينطبق ضرورة على الجهمية المتأخرين والأمر معكوس تماما، فإن الجهمية المتأخرين أشد في مسألة العلو بالذات ومسألة العلو هي أشد من مسألة القرآن أصلا كما نبه عليه ابن تيمية في الاستغاثة، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام وهذه من فوائد تاريخ الإسلام التي لم يوردها في كتاب آخر له [٨/٦٧]:
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ مُدْرِكٍ الْقَاصُّ: سَمِعْتُ مَكِّيَّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: ظَهَرَ عِنْدَنَا جَهْمُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَمِائَةٍ فَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَلْخٍ يَقُولُ بِتَعْطِيلِ الله عن عرشه وأن الْعَرْشَ مِنْهُ خَالٍ.

هذه عقيدة الأشعرية بالضبط، هو لم يقل أن الجهم يقول بأن اسماء الله مخلوقة لم يقل أن جهم يقول أن علم الله محدث لم يقل أي شيء أقبح مقالة عنده للجهم هذه.
وقال الحسن بن موسى الأشيب كما روى البخاري في خلق أفعال العباد صـ٣٧: الجهمي إذا غلا قال ليس هاهنا إله.

نحن حين شرحنا مسألة القول بخلق القرآن بينا لكم مسألة أفعال الله الاختيارية وأنه لا يمكن اثبات حدوث العالم واثبات وجود الله بدليل سليم بدون اثبات أفعال الله الاختيارية، طيب مسألة العلو ما مكانها؟ مسألة العلو مكانها اثبات وجود الله حقيقة، فالشيء الذي لا يشار إليه ولا يوجد لا داخل العالم ولا خارجه هذا عدم، الآن لو عرفت لك العدم أقول لك: ما لا يسمع له كلام ولا داخل عالم ولا خارجه ولا يشار إليه. هذا تعريف العدم.

ولهذا محمود بن سبكتكين قال لابن فورك وقد اضطرب ابن فورك في مسألة العلو، قال: مِز لي هذا الذي تتكلم عنه عن العدم.

ويقول ابن تيمية مظهرًا عجز الجهمية المتأخرين عن الرد على الجهمية الأوائل [درء تعارض العقل والنقل ٦/١٤٥]:

فإذا قال النافي -يعني الذي ينفي أن الله في كل مكان ولكن لا يثبت أن الله فوق العرش- هذا لا يعقل -يعني لا يعقل أن الله في كل مكان-

قال له نظيره الذي يقول: لا داخل العالم ولا خارجه: وقولك أيضا لا يعقل فكلا القولين مخالف للمعروف في العقول، فليس إبطال أحدهما دون الآخر بأولى من العكس، وإنما يرد على الطائفتين أهل الفطرة السليمة الذين لم يقولوا ما يناقض صريح العقل.

الله أول لا بداية له وكل شيء بعده، والله فوق كل شيء وكل شيء تحته، هذه المسألة فطرية فإن قال قائل كيف فطرية؟ يعني الآن ما موضوع الفطرة هذا؟ انت كيف تستدل على الفطرة؟ وكثير من المشتغلين بالرد على الملاحدة يتحدثون عن حجية الفطرة، فكيف نستدل بحجية الفطرة؟ يعني كيف نقول هذا الأمر فطري؟ والناس قد يتواطؤون على الضلالة.

الآن يقال للجهمي: ألست تزعم أن العقل يأخذك إلى نفي العلو؟ فيقول لك نعم.

فتقول له أليسا العقول ليست على درجة واحدة وهي متفاوتة وهناك من الناس من يمكن أن يهتدي لنفي العلو بنظره المجرد؟ يقول لك نعم.

فتقول له إذًا دلالة العقل على وجود الله فوق العرش ودلالته على عدم وجوده فوق العرش متساويتان أو متقاربتان أو الثانية أعلى من الأولى. يقول لك بلى. فتقول له فلماذا عامة البشر كما يقول الدارمي مسلمون ويهود ومجوس ونصارى وكما قال ابن كلاب أيضا.. بدون أي استدلال يتجهون للعلو؟ هذا لا يمكن، هذا كأنك تقول أننا عندنا انتخابات وكان المرشح الفلاني والمرشح الفلاني هذا المرشح وهذا المرشح على نفس المستوى من الفصاحة وعلى نفس المؤهل العلمي وعلى برنامج انتخابي متقارب ثم لما جاءت الانتخابات بدون أي علة مرجحة هذا أخذ تسعين بالمئة وهذا أخذ عشرة بالمئة، لا بد أن تكون هناك علة مرجحة، إن قلت النصوص، النصوص هذه عامتها ظواهرها تدل على العلو، إن قلت والله

أقوام الأنبياء ربما حرفوا الوحي، طيب وحينا غير محرف وفيه هذا، طيب حتى الذي ما عنده وحي يتجه للسماء حتى الذي يعبد البقر حتى الذي كذا... إذا سألته عن إله يقول لك في السماء، يجد ذلك في نفسه ضرورة حتى الملحد حتى غيره والضرورات هذه لا تحتاج أن نستدل عليها أصلا، الضرورات هذه هي التي بنيت عليها العلوم، الضرورة لا نحتاج نستدل عليها، الأمور النظرية أنا لكي أعلمك لابد أن تكون عندك ضرورات: عندك عقل عندك فطرة عندك عندك.. هذه الضرورات من خلالها نستطيع أني أبني، لو كنت أعلمك بناء بناء على شيء نظري لأحتجت أن تتعلم من غيري هذا الشيء النظري، وهذا الشيء النظري لأحتجت أن تتعلم من غير غيري هذا ويتسلسل إلى ما لا بداية، لكن هذه ضرورة ولهذا لما قال الهمداني للجويني لما الجويني قال كان الله ولا مكان والآن الأمر كما كان، قال له: دعنا من هذا وحدثنا عن الضرورة التي نجدها في أنفسنا إذا قلنا يا الله نتجه إلى السماء. فقال الجويني: حيرني الهمداني.

هذا لأن الجويني يفهم أن الأمور النظرية مبنية على الضرورات فإذا استدل علي إنسان بضرورة لا أعرف كيف أدفع ذلك.

حتى شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: القائلين بهذا القول يقهرون فطرهم.

فعلا هذا الأمر قهر للفطرة، ثم أنه عقلا نحن لنا وجود حقيقي والله له وجود حقيقي، الله حين خلق المخلوقات إما أن يكون خلقها في نفسه وهذا ما قالها أحد وإما أن يكون خلقها خارجًا عن نفسه يكون مباينا لها فإذًا خلقها مبينا لها إما خلقها تحته أو فوقه والفوق جهة أجل انتهى الموضوع، هذا عقلا ثبت.

لكنهم في الحقيقة لا يثبتون وجود الله حقيقة هذه الصراحة، والله عندهم وجوده ذهني فقط، بعد ذلك جاءوا يستدلون بنصوص من القرآن.

عموما فهذا الصنف من الجهمية الصرحاء جدًا الذين نفوا علو الله وغالب الجهمية لم يكونوا يظهرون نفي علو الله، لهذا مثلا الإمام أحمد لما كان يُسأل عن الجهمية يقال له الذي يقول القرآن مخلوق يقول لا تصلي خلفه.

لا يقولون له الذي يقول الله ليس على العرش، لأن ما كان هذا مصرحا به في ذلك الزمان.

فكل ما قيل في من يقول القرآن مخلوق ينطبق من باب أولى على منكر العلو، وكلام السلف في تكفير من يقول القرآن مخلوق لا يحصى، فهو ينطبق من باب أولى.

ومن هاهنا تفهم أن هذه المسألة من أخطر المسائل على الإطلاق وأن الجهمية الأولى ما انقرضت إلا لتفسح لجهمية هي أسوأ وأقبح، ولك أن تتخيل أن المقالة التي كانت في زمن السلف الجهمي يستحي من اظهارها تصير في آخر الزمان سنة وجماعة ويصير القائلون بها هم أهل السنة والجماعة ومن يخالف حشوي مجسم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. حتى أن بعضهم إذا تكلمت مثلا عن الأشعرية، يقول لك الأشعزية تتحدث في الأشعرية يا أخي فلان قال باللفظ فلان أوّل حديث الصورة فلان فعل فلان فعل.

مهما فعلوا فلم يقل أحد منهم بخلق القرآن صراحة وخلق القرآن صراحة أخبث منه: انكار العلو باتفاق كل القائلين باثبات العلو، لهذا ليس السلف أهل الحديث فقط من يقولون باثبات العلو، بل قال باثبات العلو من الفرق الكلامية: الكلابية واللفظية والسالمية والكرامية والأشعرية الأولى، كلهم قالوا باثبات علو الله عز وجل على خلقه، وهؤلاء ليسوا أهل سنة ولا أهل حديث، كما أن الخوارج الأولى والشيعة الأولى والمرجئة الأولى كلهم كانوا يقولون باثبات العلو، فقد ذُكر عن الحسن ابن صالح وكان شيعيا يرى السيف أنه كان لا يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله، وذكر عن ابن أبي رواد وكان مرجئا أنه لم يكن يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله، وسبحان الله.

علما أن الأشعرية الأولى تثبت العلو ولا تثبت الاستواء على خللهم في انكار الصفات الفعلية.

يقول: أنهم قالوا أنه سبحانه تحت الأراضين كما هو على العرش.

هذا في حقيقته انكار، هو يريد أن يقول الله هو العالم والعالم هو الله ونحن مظاهر الله، هذا بلاء فرعون، فرعون عليه لعنة الله إذا أردت أن تفهم عقيدة المصريين اقرأ في عقائد اليونان فإن بينهما تداخلا كما ذكر هيرودورس وكان اليونان هم أئمة الجهمية وكانوا ينفون أن الله يفعل ما شاء متى شاء بطبيعة الحال وينفون صفات الله، كما يقول أفلاطون عن الله: الإله

الذي لا يسمى، وكما قيل في بعض البرديات المصرية أن هناك احتفالا بالإله الذي لا اسم له ينزهونه حتى أن يكون له اسم، فإلاله لما ما كان له اسم ولم يكن له فعل اختياري وإنما كان يظهر في مفعولاته وكان هذا الإله لا يشار إليه، لهذا فرعون سخر من موسى {يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب} يعني يسخر إني سأذهب إلى إلهك الذي تقول أنه في السماء، فالله ما الذي نرى منه؟ ما الذي نراه وهو متحقق الوجود؟ مفعولاته مخلوقاته، مخلوقات هذه فرعون رأى نفسه هو أعلى المخلوقاتذ فقال: إذًا أنا الله لأني أنا التمظهر الأعظم للإله، هذا الذي يقولونه جماعة اليوجا وغيره وغيره: كن إلها.

نفسها هذه العقيدة دخلت علينا: العقيدة الفرعونية، وما دخل حلول ودعوة إلهيه إلا من هذا الباب اللعين: باب التجهم وما عبد الناس الأولياء والصالحين إلا من هذا الباب، فالنفوس تميل إلى معبود يشار إليه، لهذا تجدهم لا يكتفون بدعاء الحسين أو عبد القادر أو البدوي، بل يذهبون ويزورونه ويشيرون إلى قبره، هذه فطرة وجهت على غير توجيهها نكست، فالفطرة كانت أن تتجه للسماء وتشير كانت هذه هي الفطرة، فكل بلاء تراه في الدنيا من هذا الأمر: من باب التعطيل وهذا هو أعظم الكفر كفر فرعون وهو من معه، ولهذا ابن تيمية يصف الرازي وابن عربي بأنهما جحدا رب العالمين مع أنهما يثبتانه باللسان، فيقولون في كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان، وتلو الآية {وهو الله في السماوات وفي الأرض}.

طيب فيه شيء غير السماوات والأرض، وما تحت الأراضين؟ والعرش وما فوق السماوات إذا جمعت يراد بها السموات السبع المبنية.

يقول: فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء. فقالوا أي مكان؟ قلنا: أحشائكم أجوافكم أجواف الخنازير.

يقول ابن المبارك: نقول أن الله فوق العرش لا كما تقول الجهمية أنه هاهنا وأشار إلى الأرض. هذا هو المعنى، ويقول الدارمي: أن من يكون على رأس المنارة هو أقرب إلى الله، هذا قرب حسي.

بعضهم يورد إيرادا، يقول: أليس الأنبياء في الأرض؟ والملائكة في السماء؟ ونحن نقول أن جهة العلو هي فاضلة.
فنقول الأنبياء في الأرض لداعي الدعوة، ثم بعد ذلك مكانهم في عليين {إن كتاب الأبرار لفي عليين} وفي النهاية سيقربون من الله عز وجل أشد ما يكون القرب، لهذا الجنة سقفها عرش الرحمن.

فقلنا: أحشاؤكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش.

الملائكة التي هي الملائكة وهي خلق من خلق الله لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة، أليس كذلك؟ فهل الله يدخل؟ وهذا استدلال ذكره شيخ الإسلام، لا إله إلا الله.

يقول: وقد أخبرنا أنه سبحانه في السماء فقال: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ}

جاء المعطلة وقالوا هذا جبريل، بسيطة! جبريل هو الذي يخسف بكم الأرض.
الله عز يحذركم نفسه ويخوفكم نفسه، الله المستعان. ثم إن جبريل إن خسف بالناس سيكون في الأرض لا يخسف بهم وهو في السماء بل ينزل ويخسف.

{أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} هذه لا تكون إلا لله.

وقال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} يصعد لله.
وقال: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}
رافعك إلي يعني رافع مكانتك؟! بحيث أن مكانة المسيح تكون كمكانة الله؟ لا.
طيب يقول لك: إبراهيم قال: إني مهاجر إلى ربي.

نعم مهاجر للمكان الذي فيه طاعة الله عز وجل وإذا مات سيذهب إلى الله، يعني أنا مهاجر للمكان الذي سيؤدي بي إلى القرب من ربي كما يقال: (مراء في القرآن كفر) يعني يؤدي إلى الكفر.

وقال: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ}

آيات العندية تدل على العلو، لأن عنده إما تكون عندية قدر ومكانة والله عز وجل ليس أحد قريب من مكانته سبحانه وتعالى، فما الذي بقي؟ بقي عندية القرب وفعلا الملائكة (ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) {الذين عند ربك لا يستكبرون}
الصحابة الكرام لما النبي صلى الله عليه وسلم أسري به، ما السؤال الذي خطر عليهم؟: (هل رأيت ربك؟).

وقال: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}

(من) إذا وضعت قبل فوق هذه لا تدل إلا على فوقية المكان، أنا قد أقول الدينار فوق الدرهم من باب أن هذا أعلى من هذا، لكن إذا قلت الدينار من فوق الدرهم فهذه فوقية مكان ولا تجد في لغة العرب (من) بعدها فوق ألا وتدل على شيء حقيقي مكاني.

وقال: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}

ذكر الشيخ شمس الأفغاني في كتابه عداء الماتردية أن بعض الماتريدية اعترف أن تأويل هذه الآية بفوقية القهر باطل لأنه يؤدي إلى تكرار في الآية، فالله قال هو القاهر فهنا الآن خلاص فهمنا القهر لكن هنا شيء زاد: {فوق عبادة وهو الحكيم الخبير} أيضا في آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل: {وهو العلي العظيم} وفي اقتران هذين الاسمين فائدة:

نحن إذا رأينا الشيء في السماء مهما كان عظيما نستصغره، فإذا رأينا القمر نراه صغيرا إذا رأينا الشمس نراها صغيرة، يقول الله عز وجل أنه مع علوه عظيم فإذا رأيناه يوم القيامة نسأل الله عز وجل ذلك لن نتصاغره على علوه.

ثم قال:

فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذمومًا.

يطيب لي أن أقرأ عليكم اعترافا قرأته في كتاب منهج الاشاعرة للدكتور سفر الحوالي، يقول دكتور سفر صـ١٢١:

وقال شارح الجوهرة: وأعلم أن معتقد الجهة لا يكفر -يعني نحن لا نكفر الذين نؤمن بعلو الله عز وجل-

يقول كما قاله العز بن عبد السلام وقيده النووي بكونه من العامة -يعني لا يكفر إذا كان عاميًا إما إذا كنت عالمًا طالب علم وتؤمن بعلو الله عز وجل فقد ذهبت لماذا تؤمن بالفطرة؟ لماذا تؤمن بالقرآن والسنة؟ مصيبة هذه!-

يقول: وابن أبي جمرة قال بعدم التكفير بعسر فهم نفيها. فقال لا لا لانكفر لأن نفي العلو صعب

يقول: وفصل بعضهم، فقال إن اعتقد جهة العلو لم يكفر لأن جهة العلو فيها شرف ورفعة بالجملة، وإن أعتقد جهة السفل كفر.

علق الدكتور سفر يقول: انظر إلى المكابرة، فهم يعترفون أن انكار العلو عسير لمصادمته الفطرة والعقل، ويعترفون أن اثبات العلو شرف ورفعة ولا يؤمنون بذلك مع تواتر النصوص، ثم أيها أعسر فهما وأبعد عن الشرف بل عن مجرد التصور: اثبات علو الله أم القول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا عن يمينه ولا شماله ولا فوقه ولا تحته ولا وراءه ولا أمامه.

يقول:

وإنما معنى قول الله جل ثناؤه: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ}

يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض،

وهذا هو الجمع بين النصوص، يعني أنت الآن تقرأ {إنك لا تهدي من أحببت} وتقرأ {إنك لتهدي إلى صراط مستقيم} تفهم أن الهداية هنا غير الهداية هنا، المنفي هنا غير المثبت هنا، فخلاص هذا هو الجمع والنبي جمع لنا (أين الله؟ قالت في السماء)

وهو على العرش وقد أحاط علمه من دون العرش
ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان.

ثم ضرب أمثلةً شرح فيها الأمر وقربه تمام التقريب، وقد صح عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان.

يقول ابن تيمية معلقا على كلام الإمام أحمد [بيان تلبيس الجهمية ٥/١١٠]: وهذا أيضا قياس عقلي من قياس الأولى قرر به إمكان العلم بدون المخالطة فذكر أن العبد إذا صنع مصنوعا كدار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها.

ثم قال المصنف:

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله:
{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ}
قالوا: إن الله معنا وفينا. فقلنا: الله جل ثناؤه يقول: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} [المجادلة: ٧] .
ثم قال: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: ٧] يعني الله بعلمه، {وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ} يعني الله بعلمه {سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ} يعني بعلمه فيهم {أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ} يفتح الخبر بعلمه، ويختم الخبر بعلمه.
ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

فإن قال: نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه، وإن قال: لا. كفر.

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله:
{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ}
قالوا: إن الله معنا وفينا.

لاحظ الآية تقول: {معهم} و"مع" هي غير "في"، فالآية أصلا لا تتكلم عن عقيدة الجهمية ولو بالشبهة، لأنهم يقولون الله محايث، والمعية تقتضي المباينة،
فأقول: أنا جالس مع فلان.
فهذا معناه إني معه فقط يعني أنا في مكان وهو في مكان وأنا منفصل عنه لكننا يجمعنا مكان واحد.
لكن حقيقة عقيدة الجهمية أن الله محايث، أن الله فينا وليس فقط معنا، وهذه لفتة جميلة في ألفاظ الجهمي كانوا دقيقين فاهمين ما الذي يقولونه، فالآية لا تتحدث عما يريدون أصلا

فقلنا: لم قطعتم الخبر من أوله؟ إن الله عزوجل يقول:﴿أَلَمَ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ ﴾ [المجادلة: ٧]
هذا السياق، ثم ذكر النجوى النجوى التي هي الهمس، فإذًا السياق كله عن العلم
﴿إِلّا هُوَ رابِعُهُم وَلا خَمسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُم﴾ يعني بعلمه ﴿وَلا أَدنى مِن ذلِكَ وَلا أَكثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُم أَينَ ما كانوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِما عَمِلوا يَومَ القِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾ يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه والسياق كله في العلم.

ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟
فإن قال: نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه، وإن قال: لا. كفر.

وقد ذكر ابن بطة في الإبانة عن أحمد مثل هذا اللفظ، أنه قال: قد تجهم. في إنسان يقول إن الله معنا فقال أحمد: قد تجهم يأخذون الآية ويدعون أولها.

فكلمة أحمد أنه لا بد أن تقرأ أول الآية هذه أيضا

رويت عنه في كتاب آخر، وحقيقةً كلام السلف في مسألة العلو كثير.

فيقول محمد بن يوسف الفريابي: من قال أن الله ليس على عرشه فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر.

يعني كل واحدة كفر على حدة، مسألة العلو لوحدها مصيبة وإن لم يقترن بها شيء.

ويقول محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش صـ٢٧٩: ذكروا أن الجهمية يقولون ليس بين الله وبين خلقه حجاب.

-القول أن الله في كل مكان، يعني انكار أيضا أخبار الحجاب- وأنكروا العرش -لأن العرش ما منه فائدة ما فوقه وما تحته نفس الشيء- وإن يكون تعالى فوقه فوق السماوات، وقالوا إن الله في كل مكان.. إلى أن قال: توافرت الاخبار أن الله فوق العرش فاستوى عليه بذاته فهو فوق السماوات فوق العرش بذاته ومتخلصا من خلقه بائنا منهم علمه في خلقه لا يخرجون من علمه.

أيضا هنا تعليق لابن تيمية [بيان تلبيس الجهمية ٥/٧٩] على كلمة من عظم الرب، يقول ابن تيمية: فالذي ذكره الإمام أحمد متضمن اجماع المسلمين، ويتضمن ذلك من المعروف في فطرتهم التي فطروا عليها، وقوله من عظم الرب كلمة سديدة فإن اسمه العظيم يدل على أن العظم الذي هو قدره كما بينا في غير هذا الموضع وذكر الاحشاش والاجواف، لأن علم المسلمين بذلك ببديهة حسهم وعقلهم، ولأن في ذلك ما يجب تنزيه الرب عنه إذ كان من أعظم كفر النصارى دعواهم ذلك في واحد من البشر -أعظم كفر النصارى دعواهم أن الله حل في المسيح- فكيف من يدعيه في البشر كلهم؟ وكذلك ما ذكره من أجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة فإن هذا كما تقدم مما يعلم بالضرورة العقلية الفطرية أنه يجب تنزيه الرب وتقديسه أن يكون فيها أو ملاصقا لها أو ماسا.

ثم بعد ذلك المقالة الأخرى الأسوأ أن الله لا داخل العالم ولا خارجه: عدم.
حتى تجدهم إذا تحدثوا عن حديث أن الله يضع قدمه على النار أو أن الله مس بيده بعض الأشياء، يتحسسون جدًا يعني كأنهم ينزهون الله فيتحسسون يقولون: لا! كيف!
ثم هم بعد ذلك أثبتوا شيئا أفظع أن جعلوه في كل مكان أو جعلوا عدما لا يمس شيئا ولا يمسه، وكل الأشياء إليه نسبة واحدة لا فرق بين ملك وشيطان،
هم الآن أسأل أي جهمي قل له: إبليس وجبريل شيء واحد بالنسبة لله عز وجل؟ يقول لك: نعم شيء واحد إبليس على عرشه الذي على الماء وجبريل في السماء السابعة شيء واحد بالنسبة لله، لأن الله ليس له مكان ولا شيء أقرب إليه من شيء.
فهذه هذه عقيدته، وهذه حقيقة إعدام الإله ولا تتضلع هذه العقيدة في قلب إنسان كما قال ساجقلي زادة أنها تقود الناس للالحاد.
وإني أتعجب ممن يأتي ويقول لك لنتعاون مع من يقول بهذه العقيدة لأجل حرب أهل الإلحاد.
يا أستاذ هي عقيدتهم في نفسها إلحاد! وهي في نفسها تؤدي إلى الإلحاد هلّا فهمت الأمر قبل أن تزعجنا بأحلامك!

وأيضا يقول الإمام:
وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟
فيقول: نعم.
وهذه الحجة ذكرها ابن معين أيضا في القرآن،

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا من نفسه؟

هذه الحجة ذكرها الرازي في تأسيس التقديس من حجج الكرامية، وهم أي حاجة من كلام أهل السنة يلصقونه بالكرامية.

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لابد له من واحد منها.
إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

فيكون الله عز وجل منهم مخلوق ومنه غير مخلوق تعالى الله.

إن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا كفرًا أيضًا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قذر رديء. وإن قال:خلقهم خارجًا عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة.

بل قول أهل الإسلام قاطبة لكن هم أصلا الجهمية المتأخرين أفصحوا ان الله عز وجل ليس له وجود حقيقي أصلا فحين خلق الأشياء هو كان لا شيء ثم صار شيء، العالم هذا الذين هم يتحدثون عنه، فالله عز وجل ما وهبنا شيء من نفسه.. تعالى الله
ما وهبنا الوجود الحقيقي بل وجودنا في حقيقة القول.. سبحان الله تعالى الله وهذه يعني من أشنع المقالات، ودائما هم يغلفونها بتنزيه لله عز وجل عن المكان وأن الله ليس في مكان وكذا فيهولون على العامي المسكين الذي لا يفهم، وأنت تسأله تقول ما الذي تريد بالمكان؟ تريد أن الله فوق كل شيء ولا شيء فوقه؟ هذا معنى سليم، أو تريد أن شيئا أحاط به من كل جهة؟ فهذا لا يقول به عاقل أصلا، والله المستعان هذا وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم.

المجلس الثالث عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد المجلس الثالث عشر في التعليق على الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

قبل البدء عندي بشرى قرأتها قبل خمسة أيام في حساب الدكتور دغش بن شبيب العجمي الذي حقق هذا الكتاب الذين نتدارسه معا، يقول: الحمد لله على فضله طبعت الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء تحقيقي لكتاب الرد على الجهمية والزنادقة ضمن مشروع الجامع في كتب العقيدة وشروحاتها الذي قدم له سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز آل الشيخ، وقد طبع منه ستة عشر مجلدا توزع بالمجان بالافتاء بالسعودية.
يعني هذا الكتاب الآن رأت رئاسة الافتاء أن توزعه بالمجان، وهذا لأهمية هذا الكتاب الذي نتدارسه جزاهم الله خيرا.

نقرأ تبقى من كتاب الإمام أحمد رحمه الله

قال أحمد رحمه الله:

إذا أردت أن تعلم الجهمي لا يقر بعلم الله فقل له: الله يقول: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ}[البقرة: ٢٥٥] .

وقال: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء: ١٦٦] .

وقال: {فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} [هود: ١٤] .

وقال: {وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ}[فصلت: ٤٧] .

فيقال له: تقر بعلم الله هذا الذي أوقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا؟ ... فإن قال: ليس له علم، كفر.

وإن قال: لله علم محدث كفر، حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علمًا فعلم.

فإن قال: لله علم وليس مخلوقًا ولا محدثًا، رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل السنة].

هنا قد يقول قائل لا فائدة كبيرة من هذا الكلام لأن الجهمية لا يقولون بهذا، لكن أقول لك: لا هناك فائدة كبيرة، وسأذكرها لك:

أولًا: ما دليل الإمام على تكفير من يقول أن علم الله مخلوق؟ أقوى دليل صنيع عبد الله بن عمر رضي الله عنه وأرضاه مع القدرية وإن كان الصواب أنهم لاحقا ما صاروا ينكرون العلم، حين قال لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما قبل الله منه حتى يقر بالقدر.

طيب ما الذي نستفيده؟

الإمام أحمد رحمه الله الجهمية الأوائل كانوا لا يرون فرقا بين العلم والكلام هذه حقيقة مذهبهم، وهذه حقيقة طرد أصولهم، فالآن شبهاتهم مرت معنا مثل شبهة التركيب يقول لك إذا أثبت لله كلاما فهذا معناه أن الله كمل بغيره.

طيب علمه هو هو ولا غيره؟

إن قالوا علم الله صفة لله؛ إذًا هو ليس مخلوقا

يقال له: ولماذا لا تقول هذا في الكلام؟ بدلا من أن تقول لي أليس الكلام غير الله والله خالق كل شيء؟ فتقول له العلم أيضا وفقا لأصوالك غير الله ونحن نقول صفته وتحدثنا عن مسألة لا هو هو ولا غير هو، طيب فلماذا لا تنزل عليه قول الله عز وجل: {الله خالق كل شيء}؟ لماذا لا تنزل عليه شبهة الاستكمال بالغير؟ وقد أنكر الفلاسفة علم الله بالأمور بحجة الاستكمال بالغير لما قالوا إذا كان لله علم فيكون استكمل بغيره.

وهذا غير صحيح هي صفته ليست غيره، ففي الحقيقة كثير مما يريدونه على أهل السنة وعلى أهل الإسلام في الصفات التي ينفونها هي واردة عليهم بالصفات التي يثبتونها مثل صفة العلم، بل حتى مسألة الكثرة والتعداد الآن حين يقال لهم الله عز وجل يعلم بالأمور المختلفة بأعدادها المختلفة؟ يقولون لك: نعم يعلم بالأمور المختلفة بأعدادها مختلفة.

فيقال لهم: إذًا هذا ما تسمونه الكثرة والتعدد والتركيب أليس كذلك؟!

فنحن نقول لله عز وجل كلام وكلامه متمايز فكلامه بالتوراة غير كلامه بالإنجيل غير كلامه بالقرآن، وعلم الله عز وجل أيضا علمه بالشيء الفلاني غير علمه بالشيء الفلاني وسماعه الفلاني غير سماع الشيء الفلاني هذا من علم الله.

ولهذا أضطر الفلاسفة على أن يقولوا أن الله لا يعلم بالجزئيات، لماذا؟ حتى يهربوا من مسألة ما يسمونه بشبهة الكثرة والتركيب، وهي عينها الشبهة التي يستخدمها المتكلمون في صفة الكلام.

فخذ هذه الفائدة: الكثير من الشبهات التي يوردها أهل الكلام على صفة الكلام الفلسفية هي واردة على صفة العلم تمامًا، ومن فقه الائمة ربطهم للأمرين، لكن المتأخرين من أهل الكلام دائما يمارسون التناقض ولكن يمارسونه بتزويق لفظي يخفى عليك تناقضهم فيه، الأوائل كانوا أكثر إخلاصا.

وهنا فائدة: الإمام أحمد لما قال له رجل علم الله مخلوق وهذا في المحنة، قال له مباشرة: كفرت يا كافر!

لأن هذه من المسائل الضرورية التي حتى لا تحتاج إلى نقاش طويل.

يقول الإمام أحمد:

بيان ما ذكر في القرآن {وَهُوَ مَعَكُمْ}

صفة المعية، في العادة الجهمية ماذا يقولون؟ الجهمية الأولى يقولون هذا الدليل معنا {وهو معكم أينما كنتم}، الجهمية المتأخرة ماذا يقولون لنا؟ يقولون لنا: هذا تأويل أنتم تولون حين تقولون أن الله معنا بالعلم.

فنقول لهم: التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وظاهر الآيات يدل على أن المعية بالعلم كما مر معنا في الآية {ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض} [المجادلة:٧] فالسياق كله في العلم، فنحن اعتبرنا السياق هذا أولا، ثانيًا الجمع بين النصوص لا يعتبر تأويلا نحن عندنا نصوص قطعية أن الله فوق العرش، وجاءت عندنا نصوص تنص على المعية، وثالثًا جاءت المعية كما سيذكر الإمام خاصة ببعض البشر دون بعض، فعلم أن المعية لها أحوال

فتكون المعية نصرة وتأييد وغير ذلك، أما التأويل فهو صرف عن ظاهره لعلة عقلية عندهم لا اعتبار الظاهر واعتبار السياق بل بالعكس نحن نعتبر الظاهر والسياق أو نجمع بين الظواهر.

بيان ما ذكر الله في القرآن:

{وَهُوَ مَعَكُمْ} ، وهذا على وجوه:

قال الله جل ثناؤه لموسى: {إِنَّنِي مَعَكُمَا} [طه: ٤٦] .

هذه معية خاصة، لو كانت المعية يراد مطلق العلم فالله مع فرعون ومع موسى ومع هارون ومع الجميع، فهنا أُعتبر ظاهر النص.

يقول: في الدفع عنكما.

وقال: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] .

يقول: في الدفع عنا.

الشيعة يستدلون بالحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: أنت مني بمنزلة هارون لموسى، ولا ينتبهون أنه في القرآن الله عز وجل جمع المعية لهارون وموسى وجمع المعية لأبو بكر والنبي والعجيب أن هذا في سورة التوبة، يعني بعد حادثة الغار بعدة سنوات وسورة التوبة آخر ما نزل من القرآن، واضح التنبيه للأمة على فضل أبي بكر، لهذا عمر أستدل بهذه الآية على حداثة نزولها على استحقاق أبو بكر للخلافة مع أنها في قصة سابقة صار لها سنوات مرت الحوادث بدر وأحد والخندق وغيره وغيره حادثة الغرب يعني نسيت عند كثير من الناس، فجاءت في سورة التوبة آخر القرآن نزولا التذكير بالأمر التذكير بفضل الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وقال: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩] .

يقول: في النصر لهم على عدوهم.

وقال: {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} [محمد: ٣٥] .

في النصر لكم على عدوكم.

وقال: {وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ}[النساء: ١٠٨] .

يقول بعلمه فيهم.

هذه المعية لا يمكن أن يقال نصر وتأييد أليس كذلك؟ تختلف عن معية موسى وهارون.

وقال: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦١، ٦٢] .

يقول: في العون على فرعون.

فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه.

بالله ركز على هذا الكلام عن الإمام رحمه الله لأنه كلام مهم جدًا جدًا جدًا في الرد على الجهمية الذين في عصرنا، الجهمي أيش قال؟ قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين.

غير مماس ولا مباين أليست هذه بعينها (لا داخل العالم ولا خارجه) التي هي عقيدة الجهمية المتأخرين التي ألف فيها سعيد فؤدة رسالته حسن المحاجحة.

فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماسًّا؟

قال: لا. قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين؟ فلم يحسن الجواب.

وإلى يومنا هذا لا يحسنون الجواب، الآن قالوا ليس في كل شيء طيب كيف؟ لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت، رفع للنقيضين بل رفع لكل الأوصاف.

فقال: بلا كيف. فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة وموه عليهم.

هم يسخرون من أهل السنة إذا قالوا بلا كيف، الزمخشري ماذا يقول؟ يقول:

(وجماعة سموا هواهم سنةً= لعَمْري حُمُرٌ مُوكَفَةْ

قد شبَّهوهُ بِخَلقهِ وتَخوَّفوا= شُنَعَ الورَى فتَستروا بالبَلْكَفَةْ)

يعني بلا كيف، والآن هم يستخدمون هذا، وفعلا حتى لو سألت الجهمية الأشعرية قلت له: كيف يرى إلى غير جهة؟ أنت تكايلهم مكايلة تكلمه على طريقته على أسلوبه يسكت ما يعرف.

تقول له: كيف كلام بلا حرف ولا صوت؟ كيف كلام معنى واحد؟ الناسخ والمنسوخ واحد التوراة والإنجيل والقرآن واحد كيف؟ هي معاني متعددة كيف صار واحدا؟ يقول لك هذا لا ندري معجوز عن إدراك كيفيته.

قرأت كلمة لأحد علماء المتكلمين الماتردية المتأخرين يقول نحن ننزه القرآن عن الحدوث يعني يقصد تنزيهه أن يكون فعلا لله تعالى الله، يقول: وقد قال قوم بقدم القرآن ونفوا الحرف والصوت، وقوم قالوا بقدم القرآن وأثبتوا الحرف والصوت يقول: فإن سألت كل فريق كيف؟ يقول لا ندري يقول: فلهذا نحن يعني نفوض الكيفية لله.

طيب مثل ما فوضت الكيفية لله وأنت استشكلت لأنك استشعرت التناقض في كلامك، ألم يكن أهون عليك أن تؤمن بالنصوص كما هي وتقول بلا كيف وترتاح؟ أم إنك تأتي إلى العقيدة اليونانية فإذا حدثوك عن تناقضاتها قلت بلا كيف وسلمت، حتى من عجائبهم إذا قالوا: الاستواء الاستيلاء، يقولون: لا الاستيلاء نحن نثبته على وجه ننزه فيه الله عن المغالبة.

طيب خلاص أثبت الاستواء على وجه تنزه الله فيه عن النقص وأنهي الموضوع، لماذا لا بد أن تخالف السلف؟!

يقول ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية [٥/١٢١]:

وأحمد رحمه الله ذكر ما يعلم بضرورة العقل

-هو تقريبا عامة فقرات الكتاب لابن تيمية تعليق عليها يعني تقريبا الشيخ شرح الكتاب-

وذكر ما يعلم بضرورة العقل من أنه إذا كان فيه وليس مباين لأنه لابد أن يكون مماسا له فإنه لا يعقل كون الشيء في الشيء إلا مماسا له أو مباينا يقول: فإنه لما كان خطابه مع الجهمية الذين يقولون أن في كل مكان ذكر أنه لابد من المماساة أو المباينة -على هذا التقدير وهو تقدير المحايثة والمحايثة يعني التداخل- فإن أولئك لم يكونوا ينكرون دخوله في العالم وإنما ينكرون خروجه.

بعد ذلك في نقل آخر ابن تيمية يقول [٥/١٢٢] على كلمة أحمد فيخدع الجهال يقول:

فبين أحمد أن هذه الكلمة إنما يقبلها الجهال فينخدعون بها لأنهم يعتقدون أن ما ذكره هذا ممكن وإن لم نعلم نحن كيفيته وإنما كانوا جهالا لأنهم خالفوا العقل والشرع وقبلوا ما لا يقبل بالعقل وأعتقدوا أن هذا من جنس ما أخبر به الشارع من الصفات التي لا نعلم كيفيتها.

طيب ابن تيمية لماذا يذكر هذا الكلام؟ يذكره في الرد على الرازي لأن هذه عقيدة الأشعرية.

يقول ابن تيمية أيضا [٥/١٢٠]: وهذا قول الجهمية الذين ينفون مباينته ثم يبقون مع ذلك مماساته فيقولون هو في كل مكان، والصنف الآخر — يعني من الجهمية- كالمؤسس -

المؤسس الذي هو الرازي- ينفون مباينته الحقيقية وإن قالوا أنهم يثبتون المباينة بالحقيقة والزمان ثم يقول: وكل من الصنفين خصم للآخر فيما يوافقه عليه الجماعة فالأولون كما تقول.. إلى آخر كلامه.

لماذا أنا أقرأ هذا الكلام حاليا؟ أقرأه لتعلموا أمرًا، بعض الناس يقول لك: يا أخي أين الجهمية؟ اليوم سمعت سؤالا موجها لبعض المشايخ يقولون لهم: الجهمية أين هم؟

الجهمية أين هم؟! حولك في كل مكان.

هذه العقيدة التي يرد عليها أحمد هي عقيدة الرازي وعموم الأشعرية المتأخرة بالضبط، والذي قرأناها في الرؤية هذه عقيدة الإباضية والرافضة، وخلق القرآن هذه عقيدة الإباضية والرافضة ووافقهم الأشاعرة والماتردية في المعنى، فلا يضحك عليك أحد ويقول لك والله الجهمية انقرضوا، اليوم قرأت كلمة لأحدهم يقول: اتركوا الجهمية ماتوا وشبعوا موت.

حتى لاحظ دار الإفتاء لماذا تطبع هذا الكتاب؟ ابن تيمية لماذا شرح هذا الكتاب في زمانه ما بين السابع والثامن الهجري؟

لأن لكل قوم وارثا، هناك كتاب كتبه أحد الجهمية المعاصرين اسمه سعيد فؤدة فسماه حسن المحاججة في أن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

الناس قالوا لهم يا جماعة أنتم تجئون وتكلمونا دائما بالمنطق وتكلمونا دائمًا بالمبادئ العقلية طيب هذا الذي تتحدثون عنه رفع للنقيضين حين تقولون لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت، النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، هذا المنطق،

ذهب يقرر أن النقيضين يرتفعان لا مشكلة.

طيب ما أدلتك يا سعيد فودة؟

قال: الملائكة ألسنا نقول ليسوا بذكور ولا إناث.

وجنى على نفسه بهذا، الجدار ألسنا نقول ليس عالما ولا جاهلا؟

وحقيقة جنى على نفسه جناية عظيمة بهذا الأمر أولا مسألة الملائكة ذكور أو إناث، السلف كما ثبت عن أبي مجلز كان يقول الملائكة ذكور، ليس ذكورا ولا إناثا هذا مروي عن سعيد ابن المسيب بلا إسناد.

لكن هذا ليس رفعا للنقيضين، فالذكورة والأنوثة ليسا نقيضين فقد يرتفعان ويوجد نصف هذا ونصف هذا في الخنثى، لكنك أنت ترفع الجنس من أصله تقول لا داخل العالم ولا خارجه، أنا ممكن أقول لك فلان لا هو داخل البيت ولا خارجه يعني بالمنتصف نصه في البيت ونصه برا البيت، لكن لا أنت تقصد أنه لا مدخل له نهائيا هذه أول نقطة،

النقطة الثانية فيه وصف قابل أو غير قابل، فأنت يمكن تقول تجوزا الجدار هذا ليس عالما ولا جاهلا مع أن الناس يقولون الجدار أصم وجدار كذا أصلا، لكن الجدار جماد فيقال هو غير

قابل أصلا، فلا يمكن أن تقول الجدار ليس جمادًا ولا حيا أو ليس قابلا للعلم والجهل وليس غير قابل، بل تقول هو غير قابل فأنت وصفته بوصف وأثبت له وصفا آخر فلم ترفع عنه النقيضين، زيادة على ذلك أنت الآن تشبه بالجمادات كذلك يعني لما نقول {لم يلد ولم يولد} اثبات للغنى والوحدانية، وغاية ما فعلته أنك شبهت الله أيضا بمخلوقات بجمادات وغيرها وشبهته بممتنعات لكن البشر لا يختلفون على أن هناك نقيضين لا يرتفعان، فأنت لا يمكن أن تقول والله هذا البشر لا هو عالم ولا هو جاهل ولا هو قابل للعلم والجهل ولا هو غير قابل للعلم والجهل لا يمكن تقول هذا، أنت تتحدث عن العدم، فهذا قال كلام الجهمية الأولى يستحون منه فهو ما استحى وقاله فصار ضحكة للعقلاء.

ولهذا الفلاسفة القرامطة لما أخلصوا لكفرهم هذا صاروا يقولون هذا الكلام بكل صراحة وبكل صلف يقولون: أن الله عز وجل لا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا كذا ما نصفه بأي شيء. فقط سلو سلو سلو.

فقلنا: أليس إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو في الجنة والنار والعرش والهواء؟

فيوم القيامة تفنى السماوات والأرض تبدل السماوات غير السماوات والأرض غير الأرض، تبدل تتغير، وعند الجهمية أصلا فيه فناء حقيقي يعني تعدم تماما،

قال: بلى. فقلنا: فأين يكون ربنا؟

فقال: يكون في كل شيء. كما كان حين في الدنيا في كل شيء.

فقلنا: فإن مذهبكم إن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء.

يعني وما كان من الله عز وجل في الدنيا فهو من الله طيب هذه ستفنى هل سيفنى الله معها؟ سبحان الله.

يقول: فعند ذلك تبين كذبهم على الله جل ثناؤه.

وعلى فكرة أنتبه تلاحظ أن الإمام أحمد يقول أن الجهمي إذا تبين له شيء غيَّر مذهبه أثناء النقاش، هذا كثير في أهل الباطل الذي يبطن خلاف ما يظهر هذا تجده يقول شيئا ثم إذا حاججته وأقمت عليه الحجة تغير مذهبه أثناء النقاش وهذا كثير حتى في الحركيين فلا تفهم هو على أي مذهب فيواجه أصحابه بمذهب ويأتيك بمذهب ويكلمك بمذهب آخر.

طيب هنا نأتي إلى مسألة أسماء الله عز وجل، الجهمية اضطروا أن يقولوا أن أسماء الله عزوجل مخلوقة، لماذا؟ لأن من أول من تكلم بأسماء الله؟ البشر المخلوقون،
القرآن قلنا محدث عندهم أنه بدأ من الأرض، فأسماء الله مخلوقة، السلف كانوا يقولون أن من قال أن أسماء الله مخلوقة هذا أعظم الكفر عندهم، الشافعي يقول: لا أشك في كفره.
خلف البزار يقول: أعظم كفر لأننا نحن ندعو الله بأسمائه إذًا نحن ندعو مخلوقا، وهذا تقاطع مسائل توحيد الألوهية مع مسائل توحيد الأسماء والصفات.
لهذا ابن تيمية في وقته لما أحتج على البكري قال له ابن تيمية أصلا السلف من جعل صفة الله مخلوقة أو اسمه مخلوقا ودعاه ما اختلفوا في الحكم عليه بالكفر.
يقول: فكيف أنت تأتي تدعو مخلوقا بإجماع الذي هو النبي أو غيره يعني لو كان المخلوق يجوز أن يدعى لقال لك الجهمي ما المشكلة نحن ندعو الجيلاني وندعو بالنهاية هي دعاء لله، أليس كذلك؟
(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) أستدلوا بها على الجهمية أنه لا يستعاذ بمخلوق، أستدل بها المروذي ونعيم بن حماد وأحمد قبلهم،
البخاري في صحيحه أحتج بحديث أعوذ بوجهك على أن الوجه ليس مخلوقا يعني الوجه صفة لله أتى بالآية {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} ثم جاء بحديث النبي حين يقول: أعوذ بوجهك.. أعوذ بوجهك، ولهذا الدارمي في رده على المريسي يقول: ولا يستعاذ بوجه

غير وجه الله ولا يستعاذ بكلمات غير كلمات الله، حتى أن الإمام أحمد رحمه الله لما كتب الآيات التي يستدل بها على الجهمية جاء بهذه الآية:

{دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين} وجاء بهذه الآية {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذ هم يشركون} وجاء بهذه الآية {وإذا غشيهم وجهه كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر} وجاء بهذه الآية {فادعوا الله مخلصين له الدين} وجاء بالآية {هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين} {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} على مذهبهم نحن ندعو مخلوقًا لأن أسماء الله مخلوقة، لأن أول من تكلم بأسماء الله: المخلوق، ولهذا تجد في دين الرافضة روايات في الكافي وغيره ماذا يقولون؟ يقولون: نحن أسماء الله يعني أهل البيت، وبهذا استباحوا دعاء أهل البيت، ومنهم انتشر الشرك في الأمة، ولهذا القحطاني في نونيته يقول:

من قال أن الله خالق قوله .. فقد استحل عبادة الأوثان

وهذا الذي وقع الآن من أكثر من يدعو المقبورين؟ من أكثر من يدعو الأضرحة؟ هم هؤلاء الجهمية، هم من أفشوا هذا في الأمة، وهذا كان موجودًا في اليونان، اليونان كانوا يعبدون الهياكل،

وبعض الجهمية الأشعرية يقول لك: لا نحن لا نقول أن أسماء الله مخلوقة،

لكن لو قلت له: تعال تعال أسماء الله هذه الله تكلم بها؟ الله تكلم بالرحمن الرحيم وجعل الرحمن قبل الرحيم؟ سيقف.

قل له الله تكلم بالرحمن الرحيم إذًا كيف غير مخلوق؟ أليس القرآن الذي بين أيدينا على مذهبك مخلوق؟ فكذلك أسماء الله ينبغي أن تكون مخلوقة، وهذا من أعظم الإشكالات وحاولوا الخروج منها ببلايا مثل قصة الاسم والمسمى، لا نطيل.

وزعمت الجهمية أن الله –جل ثناؤه– في القرآن إنما هو اسم مخلوق، فقلنا: قبل أن يخلق هذا الاسم، ما كان اسمه؟

قالوا: لم يكن له اسم.

فقلنا: وكذلك قبل أن يخلق العلم أكان جاهلا لا يعلم حتى يخلق لنفسه علمًا. وكان لا نور له حتى يخلق لنفسه نورًا. وكان ولا قدرة له حتى يخلق لنفسه قدرة؟
فعلم الخبيث أن الله قد فضحه، وأبدى عورته حين زعم أن الله –جل ثناؤه– في القرآن إنما هو اسم مخلوق.

ومع ذلك الإمام أحمد قالوا له من قال القرآن مخلوق ولم يقل أسماء الله مخلوقة يكفر؟ قال: نعم يكفر.
يعني حتى لو ما ألتزم هذا اللازم وما قال به، ذكر الشيخ شمس الأفغاني في رسالة عداء الماتريدية للعقيدة السلفية قال: الذي وجدته في كتب الماتردية –الذين اليوم بعض الناس يقول عنهم أهل سنة وجماعة– أنهم يقولون أن أسماء الله مخلوقة بكل صراحة.

وقلنا للجهمية: لو أن رجلاً حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذبًا كان لا يحنث، لأنه حلف بشيء مخلوق، ولم يحلف بالخالق، ففضحه الله في هذه.

هذه مسألة مهمة، من أدلة أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قول عبد الله بن مسعود: من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين.
وأن حلفنا بأسماء الله ينعقد بها اليمين ولا تنعقد بمخلوق، ومن هاهنا يتبين خطأ من نسب للإمام أحمد رحمه الله أنه يرى انعقاد اليمين باسم النبي صلى الله عليه وسلم والنبي مخلوق واسمه مخلوق إذ لا فرق بين النبي وغيره.
وأنا كتبت في هذا بحث ما ينقل في الكتب المتأخرة وهذه الحجة أحتج بها المروذي على رجل واقفي وأقره احمد، وإذا كان الإمام أحمد يقول أنه ينعقد الحلف باسم النبي كما ينسب له المتذهبون والمتأخرون فقد بطلت حجته على الجهمية وهذا غير صحيح.

وقلنا له: أليس النبي –صلى الله عليه وسلم– وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء من بعدهم، والحكام والقضاة، إنما كانوا يحلفون الناس بالله الذي لا إله إلا هو؟

الجهمي من بناء على مذهب الجهم انك تحلفه بالذي اسمه الله مو تحلفه بالله.

فكانوا في مذهبهم مخطئين، إنما كان ينبغي للنبي –عليه السلام– ولمن بعده في مذهبكم أن يحلفوا بالذي اسمه الله، وإذا أرادوا أن يقولوا: لا إله إلا الله. يقولون: لا إله إلا الذي خلق الله، وإلا لم يصح توحيدهم، ففضحه الله بما ادعى من الكذب على الله.
ولكن نقول: إن الله هو الله، وليس الله باسم:إنما الأسماء كل شيء سوى الله؛ لأن الله يقول: {ولله الأسماء الحسنى} ولا أن يكون اسم لاسم، ففي هذا بيان كفر الجهمية.

هذه مسألة الاسم والمسمى، الجهمية ربما يقولون الاسم هو المسمى ويريدون أن أسماء الله كلها معناها واحد، وأنه لا يختلف اسم القدير عن العين وهذا مذهب الحسن وهذا باطل، وربما يقولون الاسم غير المسمى ويريدون أن أسماء الله مخلوقة، وأما أخل السنة فيقولون الاسم للمسمى، اسم لله كما تحدثنا في أمر الصفة أنها لله عز وجل.

وزعموا أن الله لم يتكلم فبأي شيء خلق الخلق؟
قالوا: أموجود عن الله أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه؟ وحين قال: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: ٤٠].
فقالوا: إنما معنى: {قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ}يكون. قلنا: فلِمَ أخفيتم أن يقول له،

هم ركزوا على المفعول ونسوا الفعل، نبهناكم على أنه فاعل فعل مفعول، الله هو الفاعل تعالى اسمه الكلام هو الفعل المخلوق هو المفعول، هذا ما تدل عليه الآية، وانتبهوا يا أخوة الجهمية يقولون صفات أفعال ويريدون المفعولات، فتجد في بعض الكتب الفقهية يقولون صفات الأفعال لا ينعقد بها اليمين، ويعنون بالأفعال المفعولات لأنه الفعل والمفعول عندهم شيء واحد، ومن البلايا الموجودة في بعض الكتب الفقهية خصوصا عند الحنفية أنهم يقولون أن معتمد المذهب عندهم أن الحلف بالقرآن لا ينعقد به يمين، وهذا مذهب الجهمية ونبه ابن

أبي العز على هذا قال كثير من أصحابنا في المذهب الحنفي عللوا بتعليلات المعتزلة، ولهذا انتبهوا الكتب الفقهية ليست خلية في كثير من الأحيان من أصول مؤلفيها العقدية.

فقالوا:إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه، وقال الله مثل قول العرب: قال الحائط، وقالت النخلة فسقطت، فالجهمية لا يقولون بشيء، فقلنا: على هذا أفتيتم؟ قالوا: نعم.

وعلى فكرة أن الحائط لا يقول وكذا، ما دليلكم على هذا؟ يقول لك: على المجاز.
في الواقع أن الجمادات تقوم بها صفات تليق بها (أحد جبل يحبنا ونحبه) لهذا {جدارا يريد أن ينقض} إرادة حقيقية تليق به.

فقلنا: فبأي شيء خلق الخلق إن كان الله في مذهبكم لا يتكلم؟

تلاحظون أن هذه الحجج تأتي حتى على الأشعرية الذين لا يقولون بالفعل الاختياري لله، لو لم يكن أحمد يثبت الفعل الاختياري لله لما كان لهذه المحاججة من أولها لآخرها معنى، لقالوا: يا أحمد خلقه بمعنى قديم وانتهى الموضوع.

فقالوا: بقدرته. فقلنا: هي شيء؟

يريد أن يلزمهم بمسألة خالق كل شيء،
فتقول أنت قدرته شيء فلماذا لا تكون قدرته مخلوقة؟
فإن قال قدرته صفته ليست مخلوقة.
إذًا قل هذا أيضا في الكلام.

قالوا: نعم،فقلنا: قدرته مع الأشياء المخلوقة؟ قالوا: نعم.

فقلنا: كأنه خلق خلقًا بخلق، وعارضتم القرآن وخالفتموه

سفسطائية واضحة جدًا

حين قال الله جل ثناؤه: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٠٢] .
فأخبرنا الله أنه يخلق، وقال: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} [فاطر: ٣] .
فإنه ليس أحد يخلق غيره، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره، فتعالى الله عما قالت الجهمية علوًّا كبيرًا.

يعني إذا القدرة مخلوقة فالذي خلق غيره والله المستعان، في النهاية جاء الآن جاءوا الجهمية يستدلون بالأحاديث فجأة صاروا يستدلون بالحديث، مجرد ما يأتيك جهمي يستدل بأي حديث من الأحاديث، تقول له مباشرة: ألستم تقولون أخبار الآحاد لا تقبل في العقيدة؟! إذا أخذت حديثا فخذ بكل الأحاديث لا تلعب.

[بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق، من الأحاديث التي رويت]
فقالوا: جاء الحديث: "إن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن أظمأت نهارك وأسهرت ليلك"

إلى غير ذلك.
وعلى فكرة هذا الحديث منكر استنكره العقيلي وابن عدي لأنه من رواية حسين بن واقدة أظن عن عبد الله بن بريدة.

فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث.

فقلنا لهم: القرآن لا يجيء إلا بمعنى: أنه قد جاء من قرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} . فله كذا وكذا.

بعض الناس يقولون هذا تأويل أنكم تفسرون هذه الأخبار على الثواب، فنقول هذا ليس تأويلا بل هذا مراعاة للسياق، ففي الخبر أن البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غيايتان تذبان عن صاحبها.

طيب أليس القرآن صاحبه الله هو من تكلم به؟

فلما قيل صاحبهما دل أن الحديث على عمل العامل، فهذا على الثواب.

بل هذا الحديث يدل على بطلان مذهب الجهمية لأن المسلم قد قرأ كلام الله فسمي باسم كلام الله، والجهمية المتأخرون يقولون المسلم قرأ عبارة عن كلام الله، هذا مثل حديث من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما ونجد الصحابة لم يكفروا الخوارج استفادوا عدم تكفير الخوارج من الحديث نفسه، الحديث يقول: (من قال لأخيه) فالنبي صلى الله عليه وسلم أثبت بينهما الأخوة الإيمانية فدل على أن هذا باء به أحدهما ليس على التكفير الأكبر، وجاءت أخبار أن الصحابة كان بعضهم يتهم بعضهم بالنفاق ولا يخرج من ملة الإسلام ويكون الاتهام ليس صحيحا، وفي ذلك أخبار عديدة.

وهنا اقرأ كلمات لبعض العلماء في شرح هذا الضرب من الأخبار.

يقول ابن بطة في الإبانة [١٩٣/٦]:

مِثْلُ الْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ: " يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ الْقُرْآنُ: أَنَا الَّذِي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ فَيَأْتِي اللَّهَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ تَلَانِي وَوَعَانِي وَعَمِلَ بِي " وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ: «تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ»، فَأَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِهِ، وَإِنَّمَا عَنَى فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي قَوْلِهِ: يَجِيءُ الْقُرْآنُ وَتَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَتَجِيءُ الصَّلَاةُ وَيَجِيءُ الصِّيَامُ، يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكُلُّ هَذَا مُبَيَّنٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧]، فَظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنْ

هَذَا أَنَّهُ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لَيْسَ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَإِنَّمَا ثَوَابَهُمَا وَالْجَزَاءَ عَلَيْهِمَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

الى آخر كلام ابن بطة من أراده فليراجعه.

ونقل ابن بطة عن أبو عبيدة القاسم بن سلام أنه يقول: يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان إنما هو الثواب وهو بين في الكتاب والسنة.

نقله ابن بطه وقد أطال وأطاب في كل هذا.

وثبت أن الله يتكلم بأدلة قطعية، فكيف تعارض هذه الأدلة القطعية بفهمك لهذا الخبر؟

وهذه هي التي فيها الإمام أحمد قال لهم يجيء الثواب –على رواية حنبل إن صحت–، قال لهم: ألستم تؤولون مجيء الله بالثواب؟.

على جهة الإلزام لهم، فظن بعض الناس أن الامام احمد يتأول المجيء وفي رواية المروذي الإمام أحمد أستدل بالمجيء على إثبات الرؤية.

قال: لا يجئه إلا بثوابه، لأننا نقرأ القرآن فيقول: يا رب. لأن كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال. وإنما معنى: أن القرآن يجيء إنما يجيء ثواب القرآن. يا رب.

هم أستدلوا بهذه: يارب، فقالوا هذا مماز، وكان عبد الله ابن عباس يكره أن تقول رب القرآن.

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله:

{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ}

فزعموا أن الله هو قبل الخلق، فصدقوا، وقالوا:يكون الآخر بعد الخلق، فلا يبقى شيء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي.

وزعموا أن شيئًا مع الله لا يكون، هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشرًا كثيرًا.

وقلنا: أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها،فقال: {لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة: ٢١] .

فإذا قال جل وجهه: {مُقِيمٌ} وقال: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [النساء: ٥٧] وقال: {أُكُلُهَا دَائِمٌ}[الرعد: ٣٥] ، فإذا قال الله: {دَائِمٌ} لا ينقطع أبدًا.

وقال: {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: ٤٨]وقال: {وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر: ٣٩] .

وقال: {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٦٤] .

وقال: {مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} [الكهف: ٣] ، وقال:{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: ١٠٧] .

وقال: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٢، ٣٣] . ومثله في القرآن كثير.

وذكر أهل النار فقال:

{لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا}[فاطر: ٣٦] .

وقال: {أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي} [العنكبوت: ٢٣] .

وقال: {لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} [الأعراف: ٤٩] .

وقال: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧] .

وقال: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم: ٢١] .

وقال: {خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}[البينة: ٦] .

وقال: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} [النساء: ٥٦] .

وقال: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة: ٢٢] . وقال: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ} [الهمزة: ٨] .

ومثله في القرآن كثير.

وأما السماء والأرض فقد بادتا؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة والنار. وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}[القصص: ٨٨] . وذلك أن الله أنزل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦] .

قالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأنزل الله آية يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: {كُلُّ شَيْءٍ}من الحيوان {هَالِكٌ} يعني ميت {إِلاَّ وَجْهَهُ} أنه حي لا يموت، فأيقنوا عند ذلك بالموت.

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان

نشرح هذه المسألة نبهناكم من البداية أن جهما قال: أن الله لا يفعل ما شاء متى شاء ولهذا قال بخلق القرآن، ودائما يقولون قاعدتهم: ما تسلسل لم يتحصل. تسمع المتكلمين يقولون هذا.

فعندهم يمكن أن نقول الفعل الفلاني هو أول أفعال الله مطلقا، هكذا يقول أهل الكلام يقولون في بعض الأفعال هي أول فعل الله مطلقا، والفعل مفعول عندهم.

فلما أورد عليهم الناس قالوا: ألسنا نقول أن الله عز وجل أفعاله لا نهاية لها فهي متسلسلة في اللانهاية فهنا شيء تسلسل وتحصل.

ثم ألسنا نقول أن الله عز وجل لا يوجد فعل له نقول أنه آخر الأفعال مطلقا؟ ثم تعالوا ثم تعالوا الجنس يختلف عن الأفراد، فقد تكون للجنس صفة والأفرغد تختلف صفتها فمثلا أكلات أهل الجنة كل أكله لها بداية لكن جنس أكلات أهل الجنة لا نهاية لها، كذلك أفعال الله الاختيارية كل فعل له بداية ونهاية، كلمات الله كل كلمة لها بداية ونهاية ولكن جنس كلام الله لا بداية له ولا نهاية.

فهنا الجهم التزم قال لا أقول أيضا بتسلسل الأفعال في الأخير وأقول بفناء الجنة والنار ونعم ما تسلسل لم يتحصل لا في المستقبل ولا في الماضي والجنس والأفراد شيء واحد في أفعال الله وفي أفعال أها الجنة والنار وبناء عليه أنا قائل بفناء الجنة والنار.

وأبو الهذيل قال أنا قائل بفناء الحركات، وأما بقية الجهمية فصاروا يتسترون ويسترون تناقضهم هذا الذي بنوا عليه أصلا القول بانكار أن الله يتكلم والقول بخلق القرآن، فالإمام أحمد أستدل عليهم بآيات بقاء الجنة والنار ينتهي الأمر،

لهذا القول ببقاء الجنة ينقض عليهم قولهم في القرآن.. تأمل وهذا شيء عظيم، ولهذا يقولون لك نحن ننزه الله عن حلول الحوادث، تقول له ما الذي تريد بالحوادث؟ يقول لك أن الله يفعل. تقول له: ولماذا؟ قال: لأنه يلزم منه التسلسل وما لم تسلسل لم يتحصل. قل له يا أستاذ أنت قائل بالتسلسل رغما عن أنفك في الجنة والنار، وأستدلوا بالآية {كل شيء هالك إلا وجهه} فالمراد بالهلاك هلاك دون هلاك ليس الفناء التام وإنما الموت، لأن الملائكة لما سمعوا أن كل من عليها فان طمعوا أنهم لا يفنوا لا يموتون، لكن كما وردت الأخبار أن حتى الملائكة يموتون ويحيون بعد ذلك.

طبعا هذه فيها فائدة أنه ما فيه مخلوق لا يموت والله الحي الذي لا يموت، وكان يعني من صفة الله عز وجل التي يرغب فيها بدعائه أنه يقول: {وتوكل على الحي الذي لا يموت} وتخيل الناس الآن يدعون موتى ويتوكلون على موتى والولي عندهم إنما يجد إذا مات، الله يقول لكم يعني يعلل دعوته وعبادته أنه هو سبحانه لا يموت الأصنام ميتة وكل شيء، {أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون}

حتى هم إذا مدحوا الشهداء يقولون انظروا الشهداء يقولون أحياء عند ربك.

عند ربك! لا عندك.

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان فقلنا: أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} [الأعراف: ١٣٤] .

لِمَ يتجلى للجبل إن كان فيه بزعمهم؟

وهذه الحجة ذكرها الدارمي في رده على الجهمية، وأظنها واضحة.

فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، ولكن الله –جل ثناؤه– على العرش، وتجلى

لشيء لم يكن فيه، ورأى الجبل شيئًا لم يكن رآه قبل ذلك.

وأيضا شيخ أحمد إسماعيل بن علية استخدم هذه الحجة، فقال: لا يكون التجلي إلا لشيء حدث.

قال: وبهذا احتججت على الجهمية. في السنة لعبدالله

وقلنا للجهم: فالله نور؟ فقال: هو نور كله،

الجهمية المتأخرة تنكر أن الله نور، مع أأنه على فكرة اسم النور ثابت لله عز وجل، ابن القيم قال: عليه اجماع، وذكره من منده وكان السلف يسمون عبد النور.

اليوم لا يسمي عبد النور إلا النصارى.

بعض العلماء السلف حتى مر معنا في السنة للخلال كان سمى عبدالنور، الاسم ما فيه شيء الله نور حقا، لكن النصارى يقولون نور يقصدون النور المخلوق.

الله نور نور غير مخلوق، لما النبي قال: نور أنى أراه.

ترى هذا تعريف بالله، بعض الناس يفهم نور أنى أراه يعني حجبه النور عني.

هو نور أنى أراه (لو كشف عنه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره) السبحات هذه نور وحجابه النور

فقلنا: فالله قال: {وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر: ٦٩] . يعني يوم القيامة بنور ربها إذا جاء

فقد أخبر الله –جل ثناؤه– أن له نورًا.

فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور، فلِمَ لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إن زعمتم أن الله في كل مكان؟ يعني الشمس والشمعة أكمل من الله؟! تنير والله لا ينير!

وما بال السراج إن أدخل البيت يضيء؟.

فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى.

فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة. وقال بقول العلماء. وهو قول المهاجرين والأنصار، وترك دين الشيطان، ودين جهم وشيعته.

هذا آخر الدرس، هذا وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.